الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد
Université Abou Bekr Belkaid
Tlemcen Algérie
تلمسان الجزائر

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الصوتيات العربية

تخصص: الصوتيات العربية بين التراث والمعاصرة

البناء التشكيلي لسورة آل عمران وأثره في الدلالة

إعداد الطالبة :

فاطمة حجاري

إشراف:

أ.د. المهدي بوروبة

أعضاء اللجنة المناقشة

– أ.د. عبد الجليل مرتاض	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
– أ.د. المهدي بوروبة	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا
– أ.د. عبد القادر سلامي	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	عضوا
– أ.د. عبد الجليل مصطفاوي	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	عضوا
– د. أمينة طيبي	أستاذة محاضرة(أ)	جامعة س/بلعباس	عضوا

السنة الجامعية : 1431-1432هـ/2010-2011م

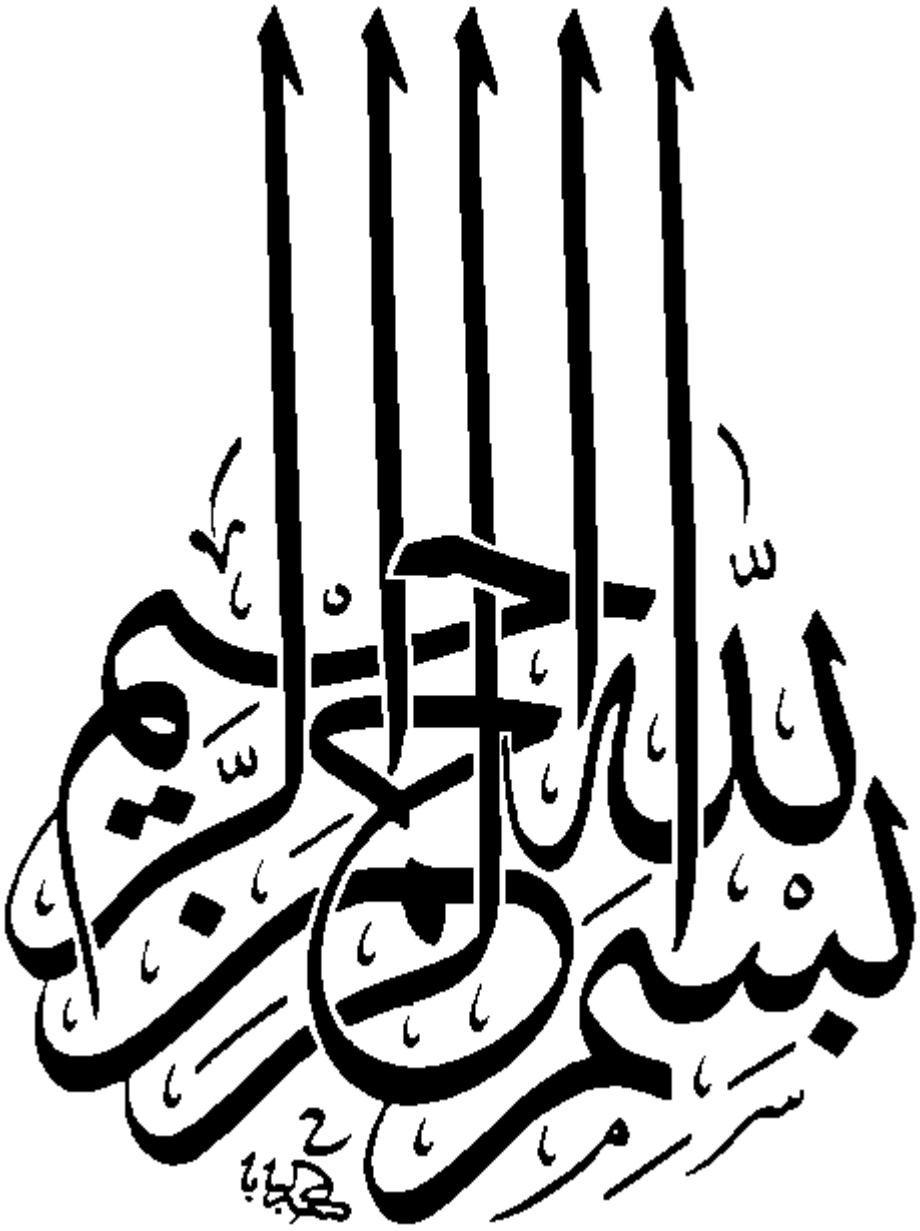
بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر وتقدير

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ ﴾ [الأحقاف ، الآية 15].

أحمد الله عز وجل على عونه وتوفيقه لي ، أن أنعم عليّ بإتمام هذا البحث المتواضع.

كما أتوجه بالشكر الجزيل والتقدير الكبير إلى أستاذي الفاضل الدكتور المهدي بوروبة ، الذي لم يبخل عليّ بتوجيهاته القيّمة ورعايته الفائقة التي رافقتني طوال مشوار هذا البحث، والتي كانت بمثابة السند القويم.

كما أشكر الأساتذة الذين سيتولّون تقويم هذا البحث على ما سيبذلونه من جهد في إصلاح ما اعوجّ من هذا العمل فلهم على ذلك منّي كل التقدير والاحترام.

حجاري فاطمة

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى من كنت ثمرة جهدهما ، والدي ووالدتي

إلى من أعطاني و لم يزل يعطيني بلا حدود

أبي العزيز

إلى الظل الذي آوي إليه في كل حين

أمي الحبيبة

إلى أعز الناس إخوتي ، خديجة ، نور الهدى، حنان ، و محمد نجيب

إلى من غمرتني بفضائلها وكانت لي نعم العون ، زميلتي فرح

إلى من كانوا ورودا في دربي.

إل كل الأهل والأصدقاء .

مـــقدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله الذي أنزل القرآن كلاما مؤلفا منظما وفصله سورا، وفصَّل سوره آيات ،والصلاة والسلام على رسوله محمد الذي تلقى عن ربه القرآن، فأحسن التلقي فأداه أوضح أداء، وبلَّغه أجمل تبليغ ، أما بعد

فإنّ من أهم ما يميز مجال العمل في الحقول اللغوية هو قابليتها للخضوع للدرس التطبيقي والذي يؤسس بدوره للدرس النظري ويدعمه، وحقل الصوتيات من أكثر الفروع اللغوية قابلية لهذا المنحى العلمي، بـــحيث يمكن العمل على نصوص مختلفة مع التركيز على جانبها الصوتي انطلاقا مما أقرّه علماء اللغة القدامى واللغويون المحدثون.

وأنا بدوري وقع اختياري على القرآن الكريم، إذ انطلقت منه في دراسة الجانبين الصوتي والتشكيلي لآيات الذكر الحكيم ،وذلك لأنه من أعلى الشواهد وأيسرها في استنباط قواعد اللغة ومعاييرها ،إلى جانب فصاحته ورقيِّ بلاغته ،وغنى أساليبه وقلة الشواذ والغريب فيه.

وقد اخترت سورة آل عمران مجالاً للبحث والوصف ،مع محاولة ربط ذلك كله بالدلالة، وبـــهذا استقر العنوان على الصيغة التاية " **البناء التشكيلي لسورة آل عمران وأثره في الدلالة**".

أما وقوع اختياري على سورة آل عمران خاصة فذلك راجع إلى كونها سورة مدنية، ومعلوم أن السور المدنية تتسم بالطول إذا ما قورنت بنظيراتـــها من القرآن المكي، مما عددته ميزة تسمح باستكشاف أكبر قدر ممكن من الظواهر الصوتية الواردة في القرآن الكريم ،إضافة إلى احتواء سورة آل عمران على العديد من المعاني والدلالات ، وكان هدفي محاولة إيجاد الصلة بين البناء الصوتي والتشكيلي وهذه الدلالات ،لتتبلور إشكالية بحثي كالتالي :كيف يتجلى توظيف القرآن الكريم –مجسدا في سورة آل عمران – للجوانب الصوتية ،وما مظاهر هذا التوظيف وما خصائصه ومستوياته ، وهل يمكن لهذا التوظيف أن يكون مظهرا من مظاهر الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم ؟ ما مدى بروز الظواهر ما فوق التشكيلية في القرآن الكريم ؟ وهل يمكن تلمس علاقة مباشرة بين الدال

(كمجموعة أصوات) والمدلول في القرآن الكريم ؟ وإن كان الأمر كذلك فهل يعزز ذلك من فرضية القول بوجود دلالة صوتية في اللغة العربية ؟

و قد تمَّ توزيع مباحث هذه المذكرة إلى مدخل وثلاثة فصول : فأما المدخل ، فكان تذكيرا بدوافع اهتمام العلماء بالظواهر الصوتية ،وكيف أن محور هذه النهضة العلمية كان دافعها الأساس هو القرآن الكريم ، مع التعريف بسورة آل عمران وموضوعاتها.

وعمدت في الفصل الأول إلى دراسة البناء الصوتي في سورة آل عمران،إذ تعرضت فيه لدراسة الصوت مفردا انطلاقا من مخرجه وصفاته مركزة على ربط ذلك كله بالأصوات التي تشكل بناء كلمات وآي سورة آل عمران مع دراسة إحصائية لأصوات السورة الكريمة.

وشمل الفصل الثاني معالجة الظواهر التشكيلية ومافوق التشكيلية الواردة في سورة آل عمران وقد تنوعت مابين مماثلة ومخالفة وتحليل للبناء المقطعي لأصوات سورة آل عمران وما يحمله من ظاهرتي النبر والتنغيم، وأخيرا الفصل الثالث الذي يشكل الجانب الفني في المذكرة إذ هو محاولة للربط بين بعض الكلمات ودلالاتها انطلاقا من علاقة صوتية بحتة، وانتهى البحث إلى خاتمة أجملت فيها النتائج المتوصل إليها.

وإن سُبقت هذه الدراسة بدراستين تلتقيان مع بحثي هذا في عديد من النقاط ، فأما الأولى فرسالة الماجستير الموسومة البناء الصوتي لسورة الكهف وقد أغفلت صاحبتها تناول الجانب الدلالي ، وأما الثانية فهي كذلك رسالة ماجستير، تناولت البناء التشكيلي للفواصل القرآنية وأثره في الدلالة . وهذه المذكرة تلتقي مع الرسالة الأولى في تناولها لسورة كاملة من الذكر الحكيم ، وتلتقي مع الثانية في تناولها للجانب الدلالي.

لقد أحاط المسلمون القرآن الكريم بدراسات عديدة ومتنوعة ، وكان ذلك سببا في تفتق علوم جديدة، يعنيني في هذا المقام الدراسات التي تناولت الجانب الصوتي للقرآن ونظمه، ككتب القراءات القرآنية نحو الرعاية في تجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة للمكي القيسي ،وكتاب التحديد في الإتقان والتسديد في صنعة التجويد للداني، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر للبنا الدمياطي.إضافة إلى كتب التقعيد النحوي والصوتي،

كالكتاب لسيبويه، والخصائص وسر الصناعة لابن جني ،وغيرها كثير؛ إضافة إلى كتب التفسير الزاخرة بالمعلومات الصوتية والجوانب الفنية في القرآن الكريم ،على نحو البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ،ومن المحدثين في ظلال القرآن لسيد قطب ، إضافة إلى كتب علم الأصوات الحديث ابتداء بالأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس،ومناهج البحث في اللغة لتمام حسَّان وأثر القراءات في الأصوات والنحو العربي لعبد الصبور شاهين وغيرها كثير.

وعلى الرغم من غزارة المادة وسهولة تهيئها إلا أنني عانيت من اختلاف القراءات القرآنية ، حيث شكَّل ذلك صعوبة لي في ضبط الظاهرة ، فقارئ يدغم وقارئ يفك ، وإن كان ذلك انطلاقا من مبدأ التيسير إلا أنه يعيي الباحث ويجعله مجبرا على الأخذ بقراءة دون سواها ، إضافة إلى صعوبة استكناه الظواهر ما فوق التشكيلية في القرآن الكريم لاسيما النبر والتنغيم.

وقد اعتمدت في ذلك كله على المنهج الوصفي حين جنحت إلى وصف الأصوات اللغوية والظواهر التشكيلية واعتمدت التحليل كإجراء منهجي في تحليل مقاطع أصوات سورة آل عمران و لجأت إلى العملية الإحصائية عند دراسة أصوات السورة الكريمة ومقاطعها.

وفي الأخير أشكر الأستاذ الدكتور المهدي بوروبة الذي شجعني على اختيار هذا الموضوع والذي لم يبخل عليَّ بتوجيهاته العلمية والمنهجية فأشكره جزيل الشكر وعسى أن يكتب له ذلك كله في ميزان حسناته.

حجـــاري فاطـــمة

بتاريخ :2010/04/08

بسيدي العبدلي

تلـــمسان

يعدُّ القرآن الكريم أكبر حافز للعقل العربي، إذ حمله على الإبداع في شتَّى مجالات العلوم والمعرفة ، وكانت العلوم اللغويَّة على اختلافها أول نتاج لهذه النهضة الفكرية "**ذلك أن الأساس الذي تنبني منه الدراسة الصوتية واللغوية هوالقرآن الكريم وقراءاته،، فقط انشعبت من ألفاظ القرآن الكريم علم اللغة، ومن إعراب ألفاظه علم النحو، ومن وجوه إعرابه علم القراءات، ومن كيفية التَّصويت بحروفه علم مخارج الحروف ،إذ أوَّل أجزاء المعاني التي منها يلتئم النُّطق هو الصوت.** "[1]

فعلم الأصوات واحد من هذه العلوم التي احتضن القرآن الكريم ميلادها ، وعُدَّ باعثا لإيجادها ،إلاَّ أنه يشترك معه في ذلك مجموعة من العوامل ، سنحاول إيضاح أهمها في مايلي

[1]- ينظر : الغزالي ، أبي حامد (ت505هـ) ، جواهر القرآن ، تحقيق : محمد رضا رشيد الفيايي ، دار إحياءى العلوم ، بيروت ، لبنان ،1986،ص36

أولا:دواعي نشوء ظواهر الدرس الصوتي في العربية :

يُؤرَّخ لنشأة الدرس الصوتي في عمومه بمجموعة من العوامل دعت إلى ميلاده، ويتصدر اللحن قائمة هذه العوامل، ذلك أنه جاء نتيجة لاختلاط البدو بغيرهم من طبقات السكان ،وكذلك عند تحولهم بوجه خاص إلى الإقامة والاستقرار، وبهذا إلى الاتصال بأهل الحضر إذ أصبحت عزلتهم أمرا غير ممكن ، وأدَّى هذا الاحتكاك إلى فقدان لغتهم الكثير من صفاءها وخلوصها[1].

فثقة الناس بالأعراب كانت باقية ما بقيت لهم صفاتهم، الّتي فطروا عليها ولطالما كانت ألسنتهم متمسكة بسليقتها، ولقد بلغوا في ثباتهم على هذه الفطرة مبلغه في أول عهدهم، ولكن طال مكث الأعراب في الحضر فلانت جلودهم، وتسرَّبت إلى ألسنتهم شوائب العجمة[2].

فعرب الجزيرة الفصحاء ظلوا محتفظين بلغاتِهم الصحيحة الفصيحة حتّى أواخر القرن الرابع الهجري، هؤلاء العرب هم الآخرون قد فسدت لغتهم، لكثرة ترددهم على الحواضر، ولشدة اختلاطهم بغيرهم من الأجناس الأخرى، ومن الحجيج الواردين من أمم مُفرَّقة في العجمة[3].

وتروي معاجم اللغة أن اللَّحن بسكون الحاء، إمالة الكلام عن جهته الصحيحة في العربية، يقال لحن لحنا، هذا ويرى ابن فارس " **أن اللحن بمعنى الخطأ، محدث، لم يكن في العرب العاربة الذين تكلموا بطباعهم السليمة**"[4].

---

[1]-ينظر : يوهان فك ، العربية ، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب ، ترجمة وتعريب : رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، مصر ، 1400 هـ/1980م ، ص 160 – 161.

[2]- ينظر: ابن جني أبي الفتح عثمان (ت 392هـ)، الخصائص ، تحقيق:محمد علي النجار،عالم الكتب،بيروت،ص1/ 383 384. وأيضا:عبد الحميد الشلقاني ، رواية اللغة ، دار المعارف ، مصر ، د.ت ، د.ط ، ص 79 ،

[3]- ينظر : كمال بشر ، علم اللغة – الاجتماعي مدخل ، دار غريب ، القاهرة ، ط3 ، 1997 ، ص 314.

[4]- ينظر: ابن فارس ، أبي الحسين أحمد بن فارس زكريا (ت:395) ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ، القاهرة،1399هـ/1979م، ص 5/239-240

لقد تفطن عمر بن الخطاب إلى الخطر الذي قد يشكله اللحن على اللسان العربي ، فروي عنه أنه أمر بجلد من وقع في اللحن كأنه إثم لا يُكفَّر إلا بالتَّأديب، فقد كتب كاتب **لأبي موسى الأشعري** إلى عمر رضي الله عنه وكتب مانصُّه :" **من أبو موسى "، فكتب إليه عمر : سلام عليك، أما بعد فاضرب كاتبك سوطا واحدا، وأخِّر عطاءه سنة"**[1].

ومن أقدم النصوص الَّتي وردت فيها كلمة اللحن، بمعنى الخطأ في الكلام،نصٌّ يُنسب إلى **عبد الملك بن مروان (ت :86** ه) أحد خلفاء الدولة الأموية[2] فقد روي عنه أنه قال :"**الإِعْرَابُ جمال للوضيع واللحن هُجنة على الشريف**"[3]، فاللحن في هذا العهد كان ظاهرة قبيحة تنفر منها الطباع ولا تستريح إليها النفوس، لأنها إخلال بسلامة اللغة وتحطيم لمقاييسها[4].

على أنَّ اللحن الصوتي خاصة، ظهر نتيجة للفروق الصوتية بين اللغات حيث تطغى طائفة من الأصوات، دون سواها في لغة معينة،في حين تغيب مجموعة أخرى من الأصوات في تلك اللغة وتتوفر في سواها.

وإن كان هذا الزَّلل الصَّوتي مسَّ بداية العوام،"**ومن لم يكن له حظ في المنطق السليم، فقد قيل أن مولى زياد،قال لزياد مرة:أهدوا إلينا همار وهش ،يريد حمار وحش، قال زيد : وأي شيء تقول ويلك، قالوا أهدوا إلينا أيرا يريد عيرا، فقال زياد الأوَّل أهون**"[5].

إلا أنه سرعان ما مسَّ الطبقة الخاصة، فها هو زياد بن سلمى، والذي عرف عنه أنه كان خطيبا وشاعرا، يروى عنه أبو عبيدة أنه أنشد:

فَتًى زَادَهُ السلتان فِي الحمد رغبة * إِذَا غيَّر السُّلتان كلَّ خليل

---

[1]– أبو الطيب اللغوي، عبد الواحد بن علي، مراتب النحويين،تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار الفكر العربي دط،دت،ص 23.

[2]– رمضان عبد التواب ، لحن العامة والتطور اللغوي ، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ، ط2 ، 2000 ، ص 14.

[3]– ابن عبد ربه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت 328 ه) العقد الفريد ، تحقيق : محمد عبد القادر شاهين ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، 284/2.

[4]– عبد العال سالم مكرم ، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ، دار المعارف ، مصر ، 1968م ، ص 48.

[5] –ينظر : الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحرت (255ه) ، البيان والتبيين ، تحقيق : درويش جويدي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ط2، 1421ه/2000م، ص 54 -55.

قال **المبرد** : يريد السلطان ، وذلك أن بين الطاء والتاء نسبا ، فلذلك قلبها تاء ، لأن التاء من مخرج الطاء ،فقال السلتان[1] .

وبعد أن ذاع اللحن الصَّوتي على ألسنة الأعاجم، بدأ يُمسُّ الألسنة العربية الأصيلة، ليستشعر ولاة أمور المسلمين وبإيعاز من علماء العربية، خطر هذه الظاهرة، ولينشأ من ذلك في أواخر القرن الأول(السابع الميلادي)،مبدأ: (تنقية اللغة العربية) الذي حمل راية المحافظة على نقاء العربية[2].

غير أن المميز في إنجاز العلماء كان صنيع القراء، حيث قسَّموا اللحن إلى جلي وخفي،" **فالجلي خطأ يطرأ على الألفاظ، فيُخل بعرف القراءة، سواء أخلَّ بالمعنى أم لا كتغيير حرف بحرف أو حركة بحركة، وسمي جليا أي ظاهرا لاشتراك القُراء وغيرهم في معرفته، والخفي هو خطأ يطرأ على الألفاظ فيخل بالحرف دون المعنى، كترك الغنة، وقصر الممدود ... وسمي خفيا لاختصاص أهل هذا الفن بمعرفته**[3].

فاللحن إذن كان العلة الأساس لنشوء الدرس الصوتي وإن كان يشركها في ذلك أسباب أخرى من ذلك، التعدد اللهجي، وكون قراء الذكر الحكيم ينتمون إلى قبائل عدة، فيهم القرشي وغيره، وكان الناس على اختلاف قبائلهم ولهجاتهم، في سعة من أمرهم في قراءة القرآن، كل يقرأ بلحن قومه[4]، حتّى إذا آنس أحدهم اختلافا في قراءة سمعها من إنسان عما أقرأه الرسول صلى الله عليه وسلم، هرع إليه شاكيا، فسمع الرسول من كل قراءته، فأقره عليها قائلا : (**هكذا أنزلت**) [5].

فمن ذلك اختلافهم في قوله تعالى ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾[6].

---

[1] –المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1999،ص241/2.

[2] – يوهان فك ،العربية، ص 36.

[3] – ينظر : محمد الصادق قمحاوي ، البرهان في تجويد القرآن ، ويليه رسالة في فضائل القرآن ، المكتبة الثقافية ، بيروت ، لبنان ، 1407هـ/1987م ، ص 05.

[4] – ينظر: ابن زنجلة أبو زرعة ، حجة القراءات ، تحقيق : سعيد الأفغاني ، مؤسسة الرسالة ، ط5 ، 1418هـ/1997م، ص 8.

[5] – ينظر: البخاري ،إسماعيل بن إبراهيم ، صحيح البخاري ، شركة الشهاب ، الجزائر ، د.ط، د.ت ، ص 100/6.

[6] –الآية (06) من سورة الفاتحة .

قرأ **ابن كثير** في رواية القواس (السِّراط) بالسين وحجته، هي أن السين الأصل ولاينتقل عن الأصل إلى ما ليس بالأصل، وروي عن ابن عباس أنه كان يقرأها بالسين، وقرأ **حمزة** باشمام الزاي،وروي عنه بالزاي، وهي لغة للعرب، وقرأ الباقون بالصاد وحجتهم أنها كتبت في جميع المصاحف بالصاد قال **الكسائي**(**ت**:189ه) (همالغتان) [1].

ومنه ما نقل من لهجات العرب،"**أن بعض أهل اليمن يزيدون (أم) في كلامهم فيقولون أم نحن نضرب الهام، أم نحن نطعم الطعام، أي نحن نضرب ونطعم...، وقد روي عن حمير أنّهم يجعلون آلة التعريف أم، يقولون طاب امضرب، يريدون طاب الضَّرب**"[2].

بل تعدت هذه الاختلافات إلى الخطأ في قراءة القرآن نتيجة لخلوه من النقط[3]، إذ أصبحت الكلمة الواحدة تحتمل أكثر من وجه من وجوه القراءة الّتي يحتملها الرسم.

هذه أبرز العوامل الّتي دعت إلى دراسة الأصوات العربية من ناحية المخارج والصفات، وليعقبها استثمارٌ لهذه المعطيات في دراسة الصوت داخل التركيب، وليلتفت اللسانيون العرب القدامى بذلك إلى كثير من الظواهر الصوتية الّتي تعتري الأبنية في التشكيل كالإدغام، والإبدال والإعلال وغيرها، مما لاحظوه أثناء إخضاع اللسان العربي للبحث والدرس. وقد أيقن هؤلاء العلماء أن هذه الظواهر الصوتية هي المسئولة عن إعادة الاستقرار والتوافق إلى أصوات هذه الأبنية الّتي عصفت بها تقلبات السياق المختلفة[4].

يقول **ابن الجزري**" **فإذا أحكم القارئ النطق بكل صوت على حدته موفٍّ حقه فليعمل نفسه بإحكامه حالة التركيب، لأنه ينشأ عن التركيب ما لم يكن حالة الإفراد، وذلك ظاهر، فكم ممن يُحسن الأصوات مفردة ولا يُحسنها مركبة بحسب ما يجاورها**

---

[1]– ابن زنجلة ،حجـــة القراءات ، ص 80.

[2]– ينظر:الحريري قاسم بن علي ، (446-516ه) ذرة الغَوَّاص في أوهام الخواص ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة، 1997م ، ص 151.

[3] – عبد الحسن محمد ورفـــاقه ، تاريـــخ العربيـــة ، مؤسسة دار الكتب ، د.ط ، د.ت ، ص 06.

[4]– المهدي بوروية ، ظواهر التشكيل الصوتي عند العرب حتّى أواخر القرن 3ه، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة ، جامعة أبي بكر بلقايد ،تلمسان، 1423ه/2002م، ص 15.

من مجانس ومقارب وقوي وضعيف، ومفخم ومرقق، فيجذب القوي الضعيف، ويغلب المفخم المرقق، فيصعب على اللسان النطق بذلك على حقه، إلا بالرياضة الشديدة حالة التركيب،فمن أحكم صحة اللفظ حالة التركيب حصَّل حقيقة التجويد بالإتقان والتدريب[1].

فهذه الظواهر السياقية دعت إليها مجموعة من الأسباب والعوامل، اهتم علماء العربية ببحثها واستخراجها، فمن ذلك أنهم قعَّدوا لهذه الظواهر انطلاقا مما وصل إلى سمعهم من كلام العرب، فها هو **الخليل** ينتصر لما وصل إلى سمعه من كلام العرب، ويحترز لما لم يسمعه بقوله لليث : "**فإذا ورد عليك شيء من ذلك فانظر ما هو تأليف العرب، وما ليس تأليفهم نحو قعثج، ونعثج، ودعثج لا ينسب إلى العربية، ولو جاء عن ثقة لم ينكر، ولم نسمع به، ولكن ألَّفناه ليعرف صحيح بناء كلام العرب من الدخيل**"[2].

غير أن الذوق العربي قد اختار منذ الزمن الأبعد أن يجانب المنطق في بعض اللغة ويميل إلى الموسيقا في اللفظ في كل لفظ تكسبه تلك الموسيقا خفة وجمالا[3]، "**ثم إن الذين دوَّنوا اللغة لم يجمعوها إلا بعدما انطبعت الألسنة على لغة القرآن وجرت في نهجه، وبعد تنقل هذه اللغة في أدوار التهذيب حتّى بلغت نهايتها من الكمال، فمن هاهنا تألف ذوق عام في تقدير لهجات القبائل المختلفة والتمييز بينها خفة وثقلا**"[4].

فهذه الموسيقية الّتي امتازت بها العربية، إنما جاءت محاكاة للنسق القرآني، وحين أحس **الشِّهاب الخفاجي** بالإيقاع القرآني لم يستطع الإشارة إليه على عِلاته، وإنما انتقى من العبارات القرآنية ما أمكنه أن يُطوِّعه للوزن الشعري.

قال في تحديد كمية البحر الطويل :

أَطَالَ عَزُولِي فِيكَ كُفْرَانَهُ الهَوَى * وَأَمِنْتُ يَا ذَا الظَّبْيِ فَأْنَس وَلاَ تَنْفُرِ

---

[1]– ينظر:ابن الجزري محمد بن محمد (ت : 833ه) ، النشر في القراءات العشر ، قدّم له : محمد الضياع ،خرج آياته :زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 1427ه/2006م، ص 170/1.

[2]–الفاراهيدي الخليل بن أحمد(ت175ه)،العـــين،تحقيق:عبد الحميد هنداوي،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،2003،ص 6/1.

[3]–ينظر:عمر فروخ ، عبقرية اللغة العربية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، 1401ه/1981م ، ص 108.

[4]– مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1421ه/2000م، ص81/1.

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن * فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُر

وقال في البسيط :

إِنِّي بَسَطْتُ يَدِي أَدْعُو عَلَى فِئَةٍ * لاَمُوا عَلَيْكَ عَسَى تَخْلُو أَمَاكِنُهُم

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن * فَأَصْبَحُوا لاَ يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُم[1]

فالسَّعي إلى الحفاظ على هذه الموسيقية الّتي تتميز بها العربية هو الذي دفع إلى محاولة إخضاع نظامها اللغوي إلى متطلبات السياق،"فالنظام الصوتي للغة يقرر مثلا أن الدَّال مجهورة وأن التاء مهموسة، ويُصرُّ النظام على اضطراد هذه القاعدة، وإطلاقها، ولكن الكلام، وهو التطبيق العملي لنظام اللغة قد يشتمل على دال ساكنة متبوعة بتاء متحركة، وهنا نجد أن تجاور الحرفين على هذا النحو، يتسبب في صعوبة عضوية تتحدى محاولة الحفاظ على ما قرره النظام، كما يتسبب التقاء المتقاربين دائما في احتمال اللبس لو حاولنا في نطقهما عبثا أن نرضي مطالب النظام ،لأن جهر الدال الساكنة المتبوعة بتاء متحركة أمر ثقيل التحقيق في النطق، وهنا تظهر مشكلة من مشاكل التطبيق يحلها السياق بظاهرة المماثلة التَّامة فتكون الدال والتاء في النطق كالتاء المشددة تماما(قَعَدْتُ-قَعَتُّ)"[2].

فالإدغام أو المماثلة التَّامة هي واحدة من الظواهر الّتي يدعو إليها تحقيق الانسجام الصوتي والتخلص من الثقل الناتج عن تجاور الأصوات المتحدة أو المتقاربة في المخرج **"فالتاء والدال مثلا كل واحدة منها تدغم في صاحبتها حتّى تصير التاء دالا والدال تاء، لأنهما من موضع واحد، وهما شديدتان ليس بينهما شيء إلا الجهر والهمس، وذلك قولك : انعدلاما، وانقتلك، فتدغم، ولو بينت فقلت : اضبط دلاما، واضبط تلك، وانعت دلاما لجاز، وهو يثقل التكلم به لشدقهن وللزوم اللسان موضعهن، لايتجافى عنه"**[3].

---

[1] – تمام حسان، البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني ،عالم الكتب، القاهرة ، ط1، 1413ه/1993م ،ص 267،268.

[2] – ينظر:تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1421 ه/1986م، ص 262.

[3]– ينظر:سيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت180ه) الكتاب،تحقيق: عبد السلام هارون،دار الجيل،بيروت، ط1، د.ت، ص 461/4.

يقول **المبرد** : " **إنما الإدغام نقل الأثقل إلى الأخف** " [1]، ويقرر **الفرَّاء** أن الغرض الأساس من هذه الظاهرة الصوتية هو الرغبة في التخفيف والسهولة، ويلخص ذلك بقوله :" **فما ثقل على اللسان إظهاره فأدغم** "[2]. وقال في حسن إدغام الذال في التاء، لما كانت سابقة عليها وساكنة :"**ومن قراءة عبد الله ﴿اتختم العجل ﴾و﴿ إني عتّ بربي وربكم﴾ فأدغمت الذال أيضا عند التاء، وذلك أنهما متناسبتان في قرب المخرج، والثاء والذال مخرجهما من طرف اللسان وكذلك الظاء تشاركهن في الثقل، فما أتاك من هذه الأحرف فأدغم وليس ترك الإدغام بخطأ، إنما هو استثقال**"[3].

فثقل تكرار المثلين أوالمتقاربين حاولوا التخلص منه بَحثا عن الخفة "**بأن يدغموا أحدهما في الآخر، حتّى يرتفع اللسان عن مخرج هذين اللفظين ارتفاعة واحدة ليخفف في اللفظ** "[4].

وقريب من هذا، ظاهرة المضارعة وهي شكل من أشكال المماثلة الجزئية –ومن خلالها تجنح العربية إلى تقريب الأصوات المتجاورة المختلفة في الصياغة على نحو ما يحدث في صيغة الإفتعال.

فكلما وجد العلماء في موضع التاء غيرها كالطاء في اصطبر والدال في ازدرع حكموا بأن هذا الحرف مبدل من تاء الافتعال في مواضع كقولهم من وزن اتزن ومن يبس إتَّبس، فحكموا عليها بالإبدال أيضا. "**وقد أبدلت التاء طاء في مواضع نحو اصطبر واضطرب واطرد واضطر وأصل هذا كله اصتبر واضترب واطترد واظتهر**"[5].

---

[1] –المبرد أبي العباس محمد بن يزيد (ت: 285ه) المقتضب ، تحقيق : محمد عبد الخالق عظيمة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1926م ، ص 222/1.

[2] – الفراء ،زياد بن عبد الله (ت 207ه) ،معاني القرآن،عالم الكتب،بيروت ،ط1، 1955،ط2، 1980 ، ص354/2.

[3]– نفسه ، ص 172/1.

[4] –العيني بدر الدين محمود بن أحمد (ت:855ه) ، شرح المراح في التصريف ، حققه وعلّق عليه : عبد الستار جواد ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، ط1 ، 1428ه/2007م ، ص 151.

[5]– يتظر:ابن جني أبي الفتح عثمان (ت: 392ه)،سر صناعة الإعراب،تحقيق:محمد حسن محمد حسن إسماعيل،شارك في التحقيق: أحمد رشدي شحاتة عامر ،دار الكتب العلمية ،بيروت ، لبنان ط2، 2007 ،ص229/1.

ويرجع السَّبب في هذه المماثلة الجزئية إلى أن تتابع التاء المرققة والصوت المفخم قبلها مستثقل مكروه في النطق، لأنه يجمع بين صوتين متجانسين أو متقاربين في المخرج ومتنافرين في الصفة فالاستثقال والترقيق الذي تمثله التاء مناقض للاستعلاء والتفخيم الّتي تمثله الأصوات المطبقة في العربية ، ومن هنا كان الحل التسوية وهو إطباق التاء على سبيل المماثلة الجزئية[1].

ولا يخرج تعليل **ابن جني** عن هذا التصور،وإن عبّر عنه في كتابه **المنصف** بالتجنيس فقال :" **والعلَّة في أن لم ينطق بتاء افتعل على الأصل إذا كانت الفاء أحد الحروف الّتي ذكرها وهي حروف الإطباق ، أنّهم أرادوا تجنيس الصوت وأن يكون العمل من وجه واحد بتقريب الحرف من الحرف ، وهذا يدلك من مذهبهم أنّ للتجنيس عندهم تأثيرا كبيرا**"[2].

ومن قبيل المماثلة أو التجنيس على حدِّ قول **ابن جني** وقوع السين قبل الدال الساكنة فتبدل زايا خالصة ، "**نحو يزدر في يسدر إذا تخير ويزدل في يسدل ثوبه إذا أرخاه ،والعلة في ذلك أنّ السين صوت مهموس والدال حرف مجهور،فكرهوا الخروج من صوت إلى صوت ينافيه ،ولم يكن الادغام،فقربوا أحدهما من الآخر فأبدلوا من السين زايا لأنّها من مخرجها وأختها في الصفير وتوافق الدال في الجهر فيتجانس الصوت**"[3].

ولعلّة الثقل نفسها لجأت العربية إلى ما يعرف في الدرس الصوتي الحديث بظاهرة **المخالفة** أو ما عبّر عنه **سيبويه** بكراهية التضعيف ، يقول **المبرّد** : "**واعلم أنّ التضعيف مستثقل وأنّ رفع اللسان عنه مرّة واحدة ثمّ العودة إليه ليس كرفع اللسان عنه وعن الحرف الذي من مخرجه ولا فصل بينهما ، فلذلك وجب**"[4].

---

[1] – فوزي الشايب ، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، 2004.ص226.

[2] – ابن جني ، المنصف،شرح الإمام أبي الفتح عثمان بن جني النحوي لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني النحوي البصري، تحقيق: إبراهيم مصطفى، عبد الله أمين، إدارة إحياء التراث القديم، ط1، 1373هـ/1954م، ص 2/324-325.

[3]– ينظر:ابن يعيش النحوي بن علي (ت:643هـ) ، شرح المفصل ، الطباعة المنيرية ، مصر ، د.ط ، د.ت ، ص 10/52.

[4] – المبرد ، المقتضب ، ص 1/272.

وعلى هذا الأساس "**تبدل الياء مكان أحد الحرفين إذا ضوعفا في مثل قولك "دينار" و"قيراط" فإنّما الأصل تثقيل النون والراء، ألا ترى أنّهما إذا افترقا ظهرا تقول دنانير وقراريط**"[1].

فالمخالفة تجري بين الحروف الّتي تحتاج إلى جهد عضلي ،وفي غير ذلك يبقى المثلان دون تغيير كاللامين والنونين فلا تتناولهما عملية المخالفة إلاّ في النادر من الأحيان[2].

ومن ذلك جنوح العرب إلى تخفيف الهمز بحثا عن السهولة والتيسير حيث حاولت بعض القبائل العربية القديمة التخلص من الهمزة وعلى الأخص قبائل الحجاز ،كما تخلصت منها معظم اللهجات العربية الحديثة ، وصوت الهمز عسير النطق لأنّه يتمّ بانحباس الهواء خلف الوترين الصوتيين ، ثمّ انفراج هذين الوترين الصوتيين فجأة ، وهذه العملية تحتاج إلى جهد عضلي كبير[3].

على أنّ الظواهر السياقية، لا تنبني جميعا على ثقل العملية النطقية بالضرورة، وإنّما تنبني كذلك على مراعاة أمن اللبس، وعلى الاعتبارات الذوقية في صياغة السياق العربي[4].

فالفراء مثلا لا يعتمد في تعليله على قواعد النحاة فقط، وإنّما يرجع إلى الحس اللغوي والذوق الصوتي، كما يبدو في تعليله لخفض الدال من الحمد يقول : "**هذه كلمة كثُرت على ألسن العرب حتّى صارت كالاسم الواحد فثقل عليهم أن يجتمع في اسم واحد من كلامهم ضمّة بعدها كسرة ، أو كسرة بعدها ضمة ، ووجدوا الكسرتين قد تجتمعان في الاسم الواحد مثل : إِبِل فكسروا الدال ليكون على المثال من أسمائهم**"[5].

والحق أنّ هذه الحركات المنسجمة وإن تعارضت مع الإعراب في حالة كسر الدال إلاّ أنّ لها وجها مقبولا ، إذ أنّ هذا التركيب لمـــّا كثُر تداوله عند العرب جعل هذا التركيب

---

[1] – نفسه ، 102/1.

[2] – عبد الغفار حامد هلال ، أصوات اللغة العربية ، مكتبة وهبة ، ط2 ، 1416 ه/1996 ، ص 242.

[3] – ينظر: رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره علله وقوانينه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1412ه/1990م، ص 76

[4] –ينظر : تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص 263.

[5] – الفراء ، معاني القرآن ،ص 03/1.

مثل الكلمة الواحدة ، ولا شكّ أنّ الكلمة الواحدة يستثقل فيها الانتقال من ضمّة يتلوها كسرة أو العكس فآثروا الكسرتين حينا مع أنّ الحمد مبتدأ مرفوع[1].

ولأجل هذا الانسجام بيَّنوا أنّ الأصوات كلما تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت[2].

واعتمادا على هذه الاعتبارات الذوقية أفاد دارسو الإعجاز من الدراسة الصوتية عند اللغويين، ووجهوا خطاهم نحو تأليف حروف الكلمة بحسب المخارج الصوتية وماله من دور في حسن التلفظ وفصاحته أو سوئه وعدم فصاحته[3].

قال الإمام **أبي الحسن الرماني : "مخارج الأصوات مختلفة ، منها ما هو من أقصى الحلق ومنها ما هو في الوسائط بين ذلك ،والسبب في التلاؤم، تعديل الأصوات في التأليف، فكلّما كان أعدل كان أشدّ تلاؤما وأمّا التنافر فالسبب فيه ما ذكره الخليل من البعد الشديد أو القرب الشديد ، فإذا قرب القرب الشديد كان بمنـــزلة المشي المقيد لأنّه بمنـــزلة رفع اللسان وردّه إلى مكانه ،وكلاهما صعب على اللسان ، والسهولة من ذلك في الاعتدال ولذلك وقع في الكلام الإدغام والإبدال"**[4].

وما الانصراف عما سمّي بالألفاظ المهملة إلاّ نتيجة لكونها مؤلفة من أصوات شديدة القرب في المخارج[5].

من هنا فإنّ صيانة القرآن الكريم من اللحن، والسعي وراء التيسير والسهولة واجتناب الثقل،هي العوامل الرئيسية الّتي دعت إلى اهتمام علماء اللغة بالظواهر الّتي تعتري

---

[1] -أحمد علم الدين الجندي ، اللهجات العربية في التراث ، القسم 1 : النظامين الصوتي والصرفي الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ، دط ، 1978،ص189

[2] -ينظر :ابن دريد أبي بكر محمد بن الحسين الأزدي البصري (ت: 321ه) ، جمهرة اللغة، دار صادر ، بيروت، د.ت، ص 9/1.

[3] – عبد القادر سلامي، الفصاحة بين اللفظ والمعنى، مجلة مجمع اللغة العربية،دمشق ، صفر،1425ه/ أبريل 2005 ،مج 79،ص 266 /2.

[4] – ينظر:الرماني أبو الحسن علي بن عيسى (ت 386ه) ، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، تحقيق وتعليق : محمد زغلول سلام ، محمد خلف الله أحمد ، دار المعارف ، مصر ، ط3 ،ص26.

[5] -ينظر :الخفاجي محمد بن سعيد بن سنان (ت 466 ه)،سر الفصاحة ،دار الكتب العلمية ،بيروت،لبنان ،ط1 ، 1402ه/ 1982م، ص 51-52.

الصوت داخل التركيب ، وهم في ذلك كانوا مستندين إلى أرقى نظام لغوي وهو القرآن الكريم ، ناظرين إلى ما احتواه من أساليب وطرائق وموحدين به القواعد الّتي توصلوا إليها.

ولأن **سورة آل عمران** تشكل جزءا من هذا النِّظام اللغوي المميَّز ، ولكونها مدوَّنة هذا العمل ،فكان لزاما التعرُّف على سبب نزوله وخصائصها وموضوعاتها، وهذا ماسنعرض له في المبحث الموالي .

– التعريف بسورة آل عمران :

ورد ذكر سورة آل عمران بأكثر من تسمية في ما روي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم،فهي تسمّى"**الزهراء والأمان والصدر والمعينةوالمجادلة وسورة الاستغفار وطيبة.**"[1]

ووجه تسميتها بسورة آل عمران أنّها ذُكرت فيها فضائل آل عمران وهو عمران بن ماتان أبو مريم وءاله زوجه حنّه وأختها زوجة زكريا النبيّ وزكريا كافل مريم إذ كان أبوها عمران توفي وتركها حملا فكفلها زوج خالتها[2].

وآياتها مائتان باتفاق العادين ولكنّهم اختلفوا في مواضع عدّها بعضهم دون[3].

وهي سورة مدنية فهي تحمل في عمومها خصائص القرآن المدني، فهي ممّا نزل بالمدينة وممّا نزل بعد الهجرة، إضافة إلى ما تضمنته من خطاب لأهل المدينة وذكر لأحوال المنافقين[4]، وأخرج **البيهقي** في الدلائل من طريق يونس بن بكير ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : "**كل شيء نزل من القرآن فيه ذكر الأمم والقرون ، فإنّما نزل بمكة ، وما كان من الفرائض والسنن فإنّما نزل بالمدينة**"[5].

ومن الأمارات الغالبة الّتي يمتاز بها القِسم المدني من القرآن الكريم ومتوفرة في سورة آل عمران، طول أكثر سوره وبعض آياته وأسلوبها التشريعي الهادئ وتفصيل البراهين والأدلة على الحقائق الدينية[6]. بالإضافة إلى أنّ السور المكية يتّجه فيها الخطاب إلى الجمهور الجمهور بقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس ﴾ بينما السور المدنية يكثر فيها توجيه الخطاب بقوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ وقلّما يجيء بها قوله تعالى: ﴿ يا أيها الناس﴾[7].

---

[1]– الأندلسي أبي حيان محمد بن يوسف (754ه) ، تفسير البحر المحيط ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ،ط 2،1413ه/ 1992م ، ص 373/2.

[2]–محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1984 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، د.ط ، د.ت ، ص 143/3.

[3]–محمد رشيد رضا ، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ، دار المعارفة ، بيروت ، لبنان ، ط2،دت ، ص 153/3.

[4]–ينظر : الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت،1391ه ، ص 187/1.

[5]–السيوطي جلال الدين بن عبد الرحمن (ت:911ه) ، الإتقان في علوم القرآن ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، 1424ه/2003م ، ص 448/1.

[6] –صبحي الصالح ، مباحث في علوم القرآن ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط8 ، 1974 ، ص 183-184.

[7] –محمد الصالح الصديق ، البيان في علوم القرآن ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1994 ، ص 124.

وعن سبب نزول هذه السور، قال المفسرون : **قدم وفد نجران وكانوا ستين راكبا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم، وفي الأربعة عشر ثلاثة نفر، إليهم جل أمرهم، فالعاقب أمير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون إلاّ عن رأيه واسمه عبد المسيح والسيد إمامهم وصاحب رحلهم واسمه الأيهم وأبو حارثة بن علقمة أسقفهم وحبرهم وإمامهم،وصاحب مدارسهم**[1]، فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا مسجده حين صلى العصر، وقد حانت صلاتهم فقاموا فصلوا في مسجد رسول الله ،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "**دعوهم**". فصلّوا،ثم كلّم السيد والعاقب رسول الله، وجادلهم في أمر **النبيّ عيسى عليه السلام** ،وموقفهم منه داحضا حججهم كاشفا أكاذيبهم وهم لا يملكون مايردون به على رسول الله، لينتهي جدل رسول الله لهم بنـــزول صدر سورة آل عمران في بضعة وثمانين منها[2].

والأرجح أنّ ذلك كان في سنة تسع من الهجرة[3]، ذلك أنّه واضح من طبيعة سورة سورة آل عمران أنّها نزلت في الفترة الأولى من الهجرة، حيث كانت الجماعة المسلمة بعد ناشئة،وكان لدسائس اليهود وغيرهم أثر شديد في كيانها وسلوكها[4].

كما واشتملت هذه السورة الكريمة على ركنين هامين: ركن العقيدة الإسلامية الصافية مع ذكر الأدلة والبراهين على وحدانية رب العالمين ،والثاني ركن التشريع وبخاصة فيما يتعلق بأحكام الجهاد في سبيل الله[5]، وتقرير قصة الشهداء ، وتفصيل غزوة بدر

---

[1]– الواحدي النيسابوري أبو الحسن علي بن أحمد (ت: 468هـ) ، أسباب النـــزول ، دراسة وتحقيق : السيد الجميلي ، دار الكتاب العربي ، مطبوعات ميمون ، الجزائر ، د.ت ، ص 83.

[2]– ينظر : خالد عبد الرحمن العك ، تسهيل الوصول إلى معرفة أسباب النـــزول ، الجامع بين روايات الطبري والنيسابوري وابن الجوزي والقرطبي وابن كثير والسيوطي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 1424هـ/2003 ، ص66.

[3]– محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، ص 146/3.

[4]–سيد قطب ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، ط1 ، 1402هـ/1982م ، ص 352/3.

[5]– محمد علي الصابوني ، قبس من نور القرآن الكريم من سورة البقرة وآل عمران (دراسة تحليلية موسعة لأهداف ومقاصد السورتين الكريمتين) ، مكتبة الرحاب ، الجزائر ، ط2 ، 1407هـ/1987 ، ص 97.

الصغرى وذكر للمنافقين والطعن في علماء اليهود والشكوى منهم في نقض العهد ، وختم السورة بآيات الصبر والمصابرة والرباط[1].

كل ذلك وسط نسق لغوي جذَّاب سنحاول الكشف عن جوانب من خصائصه الصوتية وظواهره التركيبية، وربط ذلك كله بمجموع الدلالات الّتي تضمَّنتها السورة الكريمة.

[1]- الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب (ت:817هـ) ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز،تحقيق:محمد علي النجار مطبعة نهضة مصر ط2، جمادى الآخرة 1406هـ/ فبراير 1986م ، ص1/ 160.

الأصوات الّتي يسمعها الإنسان في حياته كثيرة ومصادرها متعدّدة، فمنها ما مصدره الطبيعة كالرعد وخرير المياه، وحركة الرياح واصطدامها بالأشجار والجبال والمباني، ومنها ما مصدره الحيوانات، أو الآلات والمكائن ،ومنها ما مصدره الإنسان. وما يسمّى بالأصوات اللغوية لا يشمل إلاّ الأصوات الّتي يُصدرها الإنسان .

فالأصوات اللغوية هي تلك الأصوات الّتي تصدر من آلة النطق لدى الإنسان واصطلحت المجموعة البشرية الّتي يعيش بينها ذلك الإنسان على دلالة تلك الأصوات على المعاني حين تنضم في كلمات وجمل[1]. ويشير **ابن جني** إلى أنّ الصوت اللغوي" **هو عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا حتّى يعرض له في الحلق والفم والشفتين ، مقاطع تثنيه عن امتداده ، واستطالتة ، فيسمى المقطع أينما عَرض له حرفا وتختلف أجراس الحروف بسبب اختلاف مقاطعها**"[2].

وهو عند المحدثين عملية نطقية تدخل في تجارب الحواس، وعلى الأخص السمع والبصر، ويؤديه الجهاز النطقي حركة وتسمعه الأذن، وترى العين بعض حركات الجهاز النطقي حين أدائه[3].

و هناك ثلاثة اعتبارات تؤخذ عند تقسيم الأصوات(*):

1/ طبيعة الانتقال الاهتزازي للوترين الصوتيين.

2/ هيأة المخارج النطقية.

3/ كيفية الممر الهوائي[4].

وفي العربية ثمانية وعشرون (28) صوتا صامتا تتوزع وفق هيأة مخارجها النطقية العشرة :

- الأصوات الشفهية : الباء ، الميم ، الواو .
- الأصوات الشفهية الأسنانية : الفاء.

---

[1] -غانم قدوري الحمد ، المدخل إلى علم الأصوات العربية ، دار عمار ، الأردن ، ط1 ، 1425 ه/2004م ، ص 43.

[2] -ابن جني ، سر صناعة الإعراب.19/1

[3] -تمام حسان ، اللغة العربية بين المعيارية والوصفية ،عالم الكتب ، القاهرة ، ط4 1421ه/2001م ، ص 130.

(*) سيتمّ تفصيل هذه العوامل أثناء عرض كل صوت على حدة.

[4] -ينظر:عبد القادر عبد الجليل ، الأصوات اللغوية ،دار الصفاء ، عمان ، ط1 ، 1998م/1418ه ص 117.

- الأصوات الأسنانية : الذال ، الثاء ، الظاء.
- الأصوات الأسنانية اللثوية : الدّال ، التاء ، الطاء ، الزاي ، السين ، الصاد ، الضاد.
- الأصوات اللثوية: النون ، اللام ، الراء
- الأصوات الغارية (الطبق الصلب) : الجيم ، الشين ،الياء.
- الأصوات الطبقية (الطبق اللين) : الكاف ، الغين ، الخاء.
- الأصوات اللهوية : القاف.
- الأصوات الحلقية :العين،الحاء.
-الأصوات الحنجرية :الهمزة ،الهاء.
-الصَّوائت العربية ثلاث: الفتحة و الكسرة والضَّمة .

وسنحاول في هذا الفصل تقديم البيان الوصفي لأصوات العربية كما وردت في **سورة آل عمران** من خلال **تلاوة الشيخ عبد الرحمن السديس** للسورة الكريمة بقراءة **حفص عن عاصم** ؛ وذلك في المبحثين الأول والثّاني ، في حين نخصص المبحث الثّالث للدراسة الإحصائية لأصوات السورة محلّ الدراسة.

أولا– مخارج الأصوات الصامتة وتنوعاتها الصَّوتية الواردة في سورة آل عمران :

سنعمل في هذا المبحث عل تبيان احتواء سورة آل عمران على جميع الصَّوامت العربية، على اختلاف ترددها وسياقات ورودها، وذلك من خلال عرض مخارجها وصفاتها، مستئنسين **بقراءة الشيخ عبد الرحمن السديس لسورة آل عمران برواية حفص[1] عن عاصم[2]** ،كونه يشكل المصدر المسموع للتعرف على أصوات السورة الكريمة.

- الأصوات الشفهية :

يتكوَّن المخرج الشفهي باقتراب الشفتين الواحدة من الثانية ومنه:

- الشفهي المزدوج [3]، ويتم بانطباق الشفتين إحداهما مع الأخرى، والأصوات الشفهية هي الباء والميم .

فقد ذكر **سيبويه** أنّ ما **بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو**[4]، وتبعه في ذلك علماء العربية[5]، وخالف **الفرّاء سيبويه** في موضعين، أحدهما أنّه جعل مخرج الباء والواو واحدا ، والآخر أنّه جعل الفاء والميم بين الشفتين ، وأرجح الأقوال ما ذكره سيبويه ، وتابعه فيه العلماء بعده[6].

---

[1]– هو حفص بن سليمان بن المغيرة أبو عمر بن أبي داود الأسدي الكوفي الغاضري البزاز ، يعرف بـــ حفيص، ولد سنة 90ه، كان الأعلم بقراءة عاصم توفي سنة 180هـــ ،ينظر: ابن الجزري ،أبو الخير محمد بن محمد (ت833هـــ)، غاية النهاية في طبقات القراء ، تحقيق ،برجستراسر ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،طبعة جديدة مصححة ،2006، ص1/229،230.

[2]– هو عاصم بن بهدلة بن أبي النجود الأسدي ،ويكنى بأبي بكر ،انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد أبي عبد الرحمن السلمي ، وهوأحد القراء السبعة ، مات سنة 127هـــ ص1/315،317.

[3]– عصام نور الدين ، علم الأصوات اللغوية ، الفونيتيكا ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ط1 ، 1992 ، ص 218.

[4] –سيبويه ، الكتاب ، 433/4.

[5] –ينظر : المبرد ، المقتضب ، تحقيق : حسن حمد ، مراجعة : إميل يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1420 هـ/1999م ، 224/1 ، و الخفاجي ، سر الفصاحة ، ص 30 ، والحملاوي أحمد بن محمد أحمد ، (ت : 1351 هـ) ، شذا العرف في فنّ الصرف ، راجعه غالب المطلبي، دار الفكر ، ط1 ، 1421 هـ/2001م ، ص 147.

[6] –ينظر:الإستر اباذي رضي الدين محمد بن الحسن (ت686 هـ) شرح شافية ابن الحاجب مع شرح شواهده ، عبد القادر البغدادي (ت1093 هـ) تحقيق : محمد نور الحسن و ، محمد الزفزاق ، ومحمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان ، 1395 هـ/1975م ، 254/3.

وأول أصوات هذا المخرج،هو **الباء** وهوصوت مجهور شديد،[1]مرقق ، ففي إخراجه تنطبق الشفتان بصورة خاصة أمام التيار الهوائي الخارج من الرئتين ، حيث يحبس فترة من الزمن يتبعه انفراج الشفتين، ليندفع الهواء محدثا هذا الصوت الشديد في الزمن الذي يتذبذب معه الوتران الصَّوتيَّان[2].

وهو يتواجد في سورة **آل عمران** بسورة مكثَّفة، إذ يقع في بداية الكلمة وفي وسطها وفي آخرها ،فهو صوت لا يكلِّف مجهودا عضليا كبيرا لإخراجه.

على أنّ هذا الصوت كغيره من أصوات اللغة إن كان مشتملا على فون (أو صوت موضوعي) فهو في الكثير الأعمّ يشتمل على مجموعة من الفونات المتشابهة أو التنوعات الصوتية ،الّتي يتوقف استعمال كل منها أساسا على موقعه في الكلمة (أوّلا – وسطا –و أخيرا...الخ) وعلى الأصوات المجاورة له (قبل صائت – قبل صامت – قبل صائتين – ملاحق الصوت مجهورا أو مهموسا...الخ)[3].

ومن ذلك مهموس الباء وهو ليس بالصوت الأساسي من أصوات اللغة العربية[4]، وهو يتكون بنفس الطريقة الّتي يتكون بها الباء ، فيما عدا أنّ ذبذبة الوترين الصوتيين معه تكون ضئيلة مما يمنع حدوث الجهر.

فهو قد يحدث في بعض مواقع (الباء) في الكلام، كأن تكون (الباء) مسكنة في آخر الكلمة أو تكون في نهاية المقطع المفرداتي[5]، من مثل ذلك قوله تعالى: ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾[6]، حيث وردت الباء في نهاية المقطع ، وفي قوله تعالى:

---

[1]–ينظر : القيسي مكي بن أبي طالب ، (ت: 437 ه)، الرعاية لتجويد القراءة ، ولتحقيق لفظ التلاوة ، تحقيق : أحمد حسن فرحات ، دار عمار ، الأردن ، ط3 ، 1417ه/1996م ، ص 229.

[2]– ينظر:عبد القادر عبد الجليل ، الأصوات اللغوية ، ص 156.

[3]–ينظر: أسس علم اللغة ،ماريو باي ، ترجمة وتعليق: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط2 ، 1403ه/1983م،ص 144 وينظر : عاطف مدكور ، علم اللغة بين التراث والمعاصرة ، دار الثقافة ، القاهرة ، 1987 ، ص 124.

[4] –ينظر : إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، مكتبة الخانجي ، ط4 ، 1978 ، ص 45.

[5] –بسام بركة ، علم الأصوات العام ، أصوات اللغة العربية ، مركز الإنماء القومي ، د.ط ، د.ت ، ص 114.

[6]–من الآية (07) من سورة آل عمران. ،

﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾، [1] إذ وردت الباء مسكَّنة في آخر الكلام .

وفي هاتين الآيتين حَرص **الشَّيخ عبد الرحمن السديس** على الضَّغط على صوت الباء في صيغة(**ابتغاء**) وصيغة(**هب**) وذلك بقلقلته، حفاظا على صفة الجهر فيهما ، فمهموس الباء صوت لا وجود له في القرآن الكريم.

ولهذا نصّ العرب على وجوب تحريك الباء بصُويت إذا كانت ساكنة حتّى تتحقق الانفجار(الشدة) والجهر التام[2]؛وهو ما عبّر عنه القدماء بظاهرة القلقلة، وخصّوها بمجموعة من الأصوات هي:(ق، ط، ب، ج، د) ، فهي "**تلك الأصوات الّتي تُخفى في الوقف وتحفظ في مواضعها فيسمع عند الوقف على الحرف منها نبرة تتبعه وإذا شددت ذلك وجدته**"[3]. وقد أدرك النحاة أنّ الخاصية الصوتية الّتي تشترك فيها هذه المجموعة من الأصوات راجعة لكونها شديدة ومجهورة، هذه الخاصية في هذا الصوت الذي يتبع هذه الصوامت عندما تكون (ساكنة)، والذي يحدث عندما يتبعها صوت صائت قصير ، أوصوت صائت طويل[4]؛ والأرجح أن يكون هذا الصوت صائتا مركزيا ضعيفا[5].

كما أنّ للباء تنوعا صوتيا آخر ، يحدث نتيجة لمجاورته للأصوات المفخمة، فهو مفخم تفخيما ظاهرا إذا ما جاوره صوت مفخم تفخيما كليا[6]،كنحو قوله تعالى: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ﴾ [7]،وقوله: ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [8].

---

[1] – من الآية (08) من سورة آل عمران.

[2]– كمال بشر ، علم اللغة العام (الأصوات) ، ص 101.

[3]–ينظر:ابن يعيش ، شرح المفصل ، ص 128/10.

[4] – ينظر:محمود السعران ، علم اللغة العام مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية ، بيروت، دت ، ص 160.

[5] – ينظر: صلاح الدين صلاح حسنين ، المدخل إلى علم الأصوات(دراسة مقارنة)دار الاتحاد العربي ، ط1، 1981م ، ص 35.

[6] – ينظر : كمال بشر ، فن الكلام ، دار غريب ، القاهرة ، د.ط، د.ت ، ص 231.

[7]– من الآية (17) من سورة آل عمران.

[8]– من الآية (20)، (15)من سورة آل عمران.

فالملاحظ أن هناك فرقا واضحا في قراءة الشيخ السديس لصوت الباء في لفظة (**بصير**)ونطقه لنفس الصوت في لفظة (**بالعباد**)،وقل مثل ذلك في(**الصَّابرين**) (**بالأسحار**)، فالصَّوت المفخَّم يلقي بظلاله على صوت الباء ويمنحه صفة التفخيم.

ويقلّ تفخيمه نسبيا إذا جاور صوتا من الأصوات الموصوفة بالتفخيم المشروط وهي الخاء والغين والقاف، الّتي يشترط لتفخيمها تفخيما(بين بين) أن تكون متلوّة بفتحة أوضمة طويلة كانت أم قصيرة[1]،من ذلك قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا﴾[2].﴿بَغْيًا﴾ [3]

فالباء تفخم مع (الخاء والغين والقاف)، ولكنه تفخيم نسبي ،لا يظهر بصورة واضحة ظهوره مع أصوات الإطباق ،كما أنه مشروط بأن يكون متلوا بفتحة أو ضمة أما في نحو ﴿ بِغَيْرِ ﴾ [4] فلم يفخمها الشيخ السديس.

أما **الميم** فهي **ترجع إلى الخياشيم بما فيها من الغنّة ، فلذلك تسمعها كالنون ، لأنّ النون المتحركة مشربة غنّة ، والغنّة من الخياشيم**[5].

وهي أخت الباء في الجهر "**غير أنّ الميم فيها غنّة ، إذا سكنت تخرج من الخيشوم مع نفَسٍ يجري معها، فشابهن بخروج النفس الحروف الرخوة**"[6]، لهذا جعلت مع الأصوات المائعة أو ما اصطلح عليه القدماء بين الشديدة والرخوة، "**وإنّما جعل حروف (لم يروعنا) بين الشديدة والرخوة لأنّ الشديدة هي الّتي ينحصر الصوت في مواضعها عند الوقف، لكن تعرض لها أعراض توجب خروج الصوت من غير موضعه**"[7].

يقول **ابن عصفور**(ت:669هـ)"**وأمّا الميم والنون فيجري معهما الصوت في الأنف لأنّ الغنة صوت لا يجري في الفم لأنّ اللسان لازم لموضع الحرف**"[8].

---

[1]–كمال بشر ، فن الكلام ، ص 231.

[2]– من الآية (37) ،(35) من سورة آل عمران.

[3]– من الآية (19) من سورة آل عمران.

[4]– من الآية (21) من سورة آل عمران.

[5]–المبرد ، المقتضب ، ص224/1.

[6]–المكي القيسي ، الرعاية في تجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ، ص 232.

[7]–المبرد ، المقتضب ، ص 260/3.

[8]–ابن عصفور علي بن مؤمن (ت: 669هـ) ، المقرب ، تحقيق ودراسة : أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري ، ط1 ، 1392هـ/1972م ، ص 07/2.

ويتكوّن هذا الصوت بأن يمرّ الهواء بالحنجرة أوّلا، فيتذبذب الوتران الصوتيان، فإذا وصل في مجراه إلى الفم هبط أقصى الحنك، عند مجرى الفم، فيتخذ الهواء مجراه من التجويف الأنفي، محدثا في صدوره نوعا من الحفيف لا يكاد يُسمع، وفي أثناء تسرب الهواء من التجويف الأنفي، تنطبق الشفتان تمام الانطباق،ولقلّة ما يُسمع للميم من حفيف، اعتبر في درجة وسطى بين الشدّة والرخاوة[1].

ويظهر في النطق نوع من الميم يتميز بأنهوهي صوت شفهي أسناني أنفي ،مجهور، مائع، "**وهو ينتج عندما ما تتجاور في النطق (نون واء) تجاورا مباشرا، كما في كلمة (أنف)، كلمة (انفك)، حيث تُقلب النون ميما مخرجها هو الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا**"[2].فهذه الميم هي نتيجة ما يعرف بالإقلاب في علم التجويد

وقد وردت هذه الميم في مثل قوله تعالى:﴿ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [3]، وفي قوله عز وجل: ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ﴾ [4]، ومنه: ﴿كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [5]، ﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ [6] ﴿ يُنْفِقُونَ ﴾ [7]، ﴿ لانْفَضُّوا﴾ [8] ، ﴿ مِنْ فَضْلِهِ ﴾[9].

وذلك ما لاحظته في نطق صوت الميم من تلاوة السديسي في هذه المواضع، حيث تُسمع غنة الميم إلا أن إنطباق الشفتين لا يتحقق ، بل يخرج هذا الصَّوت من اتصال الشفة السُّفلى بأطراف الثَّنايا .

---

[1]- إبراهيم أنيس ،الأصوات اللغوية ،ص45، 46.

[2]- عبد الصبور شاهين ، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ، أبو عمرو بن العلاء ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط1 ، 1408هـ/1987م.

[3] - من الآية (49) من سورة آل عمران.

[4]- من الآية (61) من سورة آل عمران ، كما وردت لفظة أنفسهم في الآيات التالية (69)، (117)، (135)، (154)، (161)، (164)، (165)، (168)، (178)، (186)من سورة آل عمران.

[5]- من الآية (47) من سورة آل عمران.

[6]- من الآية (83) من سورة آل عمران.

[7]- من الآية (134) من سورة آل عمران.

[8]- من الآية (159) من سورة آل عمران.

[9]- من الآية (180) من سورة آل عمران.

- **الصوت الشفهي الأسناني** :

وذلك عندما تُلاصق الشفة السفلى الأسنان العليا مع حدوث تضييق في مجرى هواء، ولهذا المخرج صوت واحد وهو**الفاء**[1]، فهي من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا الثنايا العليا [2].

ويتم إحداثه بإنزال أطراف الثنايا العليا على باطن الشفة السفلى، مما يسمح للهواء بأن يشق طريقه بينهما، ثم يرفع الحنك اللين ليلتصق بالجدار الخلفي للحلق ، لمنع الهواء من المرور من الأنف ،مع فتح الوترين الصوتيين إلى درجة لا يكون معها الجهر ، بل يكون معها تنفس مهموس .[3]

ومع أنّ هذا الصوت مهموس ، يلحقه بعض الجهر في حالات خاصة في اللهجات الحديثة ، ومن تلك الحالات الخاصة ما يسمع في لهجة القاهرة من الكلمات الّتي تتلوه فيها الغين أو الزاي أو الظَّاء[4].

أما في القرآن الكريم فذلك أمر غير متحقق، إذ يلتزم القارئ بتحقيق صوت الفاء في جميع المواضع بما في ذلك مع الغين والزاي والظَّاء ،ومنه في سورة آل عمران، قوله تعالى ﴿أَفَغَيْرَ﴾ [5]،﴿ إِنْ تُخْفُوا ﴾[6]

والفاء إحدى أصوات الذلاقة وهي ستة أصوات يجمعها قولك(مربنفل) وسميت ذلاقة ،**لأنّ الذلاقة أي السرعة في النطق إنّما هي بطريق أسلة اللسان، والشفتين، وهما مدرجتا هذه الستة**[7].ولهذا كثرت في أبنية الكلام، فليس شيء من بناء الرباعي أوالخماسي التام يعرى منها،" **فإن وردت عليك كلمة خماسية أو رباعية معراة من حروف الذلق ، أو من الحروف الشفهية ، فاعلم أنّ تلك الكلمة محدثة مبتدعة ليست**

[1]–عصام نور الدين ، علم الأصوات اللغوية ، ص 218.

[2]– ينظر: الكتاب 4333/4،وابن جني،سر صناعة الإعراب،ص 61/1،وينظر:ابن يعيش ،شرح المفصل ، ص 125/10.

[3]– ينظر:تمام حسان ، مناهج البحث في اللغة ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1407ه/1986م،ص25

[4]–نفسه ،ص 126.

[5]– من الآية (83) من سورة آل عمران.

[6]– من الآية (29) من سورة آل عمران.

[7]–العيني ، شرح المراح في التصريف ، ص 173.

من كلام العرب"[1].والمصمتة ضدّ حروف الذلاقة، والشيء المصمت هو الذي لا جوف له فيكون ثقيلا، سميت بذلك لثقلها على اللسان ، وقيل إنّما سميت بذلك لأنّها أُصمِت من أن يبنى منها وحدها رباعي أو خماسي والأوّل أولى[2].

وسنلاحظ في المبحث الثالث كيف أن صوت الفاء في سورة آل عمران يتواتر بكثرة مما يعكس امتلاكه لخصائص صوتية تمنحه هذا التفوُّق الكبير .

- **الأصوات الأسنانية** :

أورد **سيبويه** أن "**بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء**"[3]، **والثاء**"[3]، ويقال لها: اللثوية نسبة إلى اللثة وهو اللحم المركب فيه الأسنان[4].وقد أطلق عليها المحدثون اسم أصوات ما بين الأسنان[5]، ولا فرق بين الذال والثاء ، سوى أنّ الأوّل مجهور والثاني مهموس، أمّا الظاء فهو مجهور كالذال، إلاّ أنّه يختلف عنه في الإطباق، ذلك أنّ الظاء من حروف الإطباق بخلاف الذال[6]، الثلاثة إذن من مخرج واحد وهو ما ذكره **ابن جني**[7].

فالثّاء صوت رخو مهموس مرقق، يُنطق بأن يوضع طرف اللسان بين أطراف الثنايا بحيث يكون هناك منفذ ضيق للهواء، ويكون معظم جسم اللسان مستويا، ويرفع الطبق

---

[1]- الرازي فخر الدين (ت: 606هـ) ، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، تحقيق : سعد سليمان عودة ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2003 ، ص 53.

[2]- ينظر : الإستراباذي ، شرح الشافية ، ص 263/3.

[3]- سيبويه ، الكتاب ، ص 433/4 ، والزجاجي عبد الرحمن بن إسحاق (ت:340هـ) ، الجمل في النحو ، حققه وقدم له : علي توفيق الحمد ، مؤسسة الرسالة ، ط5 ، 1417هـ/1996م، ص 411،ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ،ص53.

[4]- ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، ص 160/1.

[5]- ينظر:جان كانتينو ، دروس في علم أصوات العربية ، نقله إلى العربية : صالح قرمادي ، مركز البحوث والدراسات الاقتصادية والاجتماعية ، الجامعة التونسية ، تونس ، 1986 ، ص 30 ، 54.

[6]-إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص 47.

[7]-ابن جني،سر صناعة الإعراب،ص61/1، وينظر: حسام سعيد النعيمي ، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ، دار الطليعة ، بيروت ، د.ط ، د.ت ، ص 310.

ليسد المجرى الأنفي، بأن يلتصق بالحدارالخلفي للحلق، ويتمّ ذلك كله مع عدم وجود ذبذبة في الوترين الصوتيين[1].فالثاء صامت رخو أسناني مهموس[2].

ومنه في سورة آل عمران ﴿مِثْلَيْهِمْ﴾[3]،﴿الْحَرْثِ ﴾[4]،إذ قرأها الشيخ السديس كما ينص عليه مخرجها وصفاتها في علم الأصوات، مهموسة مرققة، من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا، علما أنه حرص على إظهارها حال سكونها .

أما **الذَّال** فهو النظير المجهور للثاء، يتم توصيفه على أنه صوت رخو مجهور، **يتكون بأن يندفع الهواء، مارا بالحنجرة، فيحرك الوترين الصوتيين، ثمّ يتخذ الهواء مجراه في الحلق والفم، حتّى يصل إلى مخرج الصوت، وهو بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا، وهناك يضيق المجرى فنسمع نوعا قويا من الحفيف**[5]، إذ لا فرق بين الذال والثاء إلاّ في جهر الأولى وهمس الثانية، وعرّف **سيبويه** الصوت المجهور بقوله :" **المجهور حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتّى ينقضي الاعتماد عليه، ويجري الصوت**"[6].

وذهب عبد الصبور شاهين إلى تفسير هذا المفهوم للجهر على النحو التالي :

للمجهور صفات ثلاث في رأي سيبويه :

1- إشباع الاعتماد في الصدر والفم.

2- منع النفس من الجريان منعا باتا ، وهو في رأيه جزئي.

---

[1]-ينظر:رمضان عبد التواب ، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، دار الرفاعي ، الرياض ، ط1 ، 1403هـ/1982م ، ص 45 ، ومناهج البحث في اللغة ، ص 127.

[2]- ينظر:ينظر: بسام بركة ، علم الأصوات العام ، ص 121.

[3]- من الآية (13)من سورة آل عمران.

[4]- من الآية (14)من سورة آل عمران.

[5]-إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص 47.

[6]-ينظر:سيبويه ، الكتاب ، ص 434/4.

3- جريان الصوت وهو ما يعني لدى محدثين نشاط الوترين أو الشفاه الصوتية(*) الذي يسمح في نهايته للنفس بالانطلاق[1].

والذال واحد من الأصوات الّتي تتحقق فيها هذه المراحل الثلاث، وقد نصّ القراء على وجوب إظهاره وتلخيصه عند الكاف في نحو قوله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا﴾[2]. وإلا انقلب تاء للمواخاة الّتي بين التاء والكاف في الهمس[3]، وكذا يُفعل في نحو قوله تعالى:﴿ اذْكُرْ﴾[4].إذ يحرص االشيخ السديس على إظهارها خاصَّة عند سكونها أواتِّصالها بصوت مهموس حتَّى لا تفقد جهرها .

الصوت الأخير في هذه المجموعة هو صوت **الظَّاء** وهو النظير المطبق لصوت الذال، فهو **صوت بين أسناني رخو مجهور**[5].

لإصدار هذا الصوت يوضع طرف اللسان بين أطراف الثنايا العليا والسفلى، وتندفع كمية الهواء من الرئتين مرورا بالحنجرة،حيث يهتز الوتران الصوتيان ويرتفع مؤخر اللسان تجاه منطقة أقصى الحنك (الطبق)، ويرجع قليلا إلى الخلف مع تقعّر وسطه[6].

وعملية الإطباق المتمثلة في رفع مؤخر اللسان إلى الطبق ، وعملية التحليق تقريب مؤخر اللسان من الجدار الخلفي للحلق، هما الحركتان العضويتان اللتان تشكلان ظاهرة التفخيم وهو إحدى مميزات صوت الظاء[7]، حيث تُساهم كل من عمليتي الإطباق والتحليق في تشكيل حجرات رنين مما يسبب للصوت تغليظا دُعي بالتفخيم[8]، فكأن

(*)- ذهب بعض الباحثين إلى أنّ القدماء لم يهتدوا إلى وجود الوترين الصوتيين في موضعهما المذكور ، يعني الحنجرة ، ولذلك لم يرد لهما ذكر في الكتب الطبية والتشريحية العربية ، ينظر : أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر ، عالم الكتب، القاهرة ، ط6، 1988 ، ص 112.

[1]- عبد الصبور شاهين ، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ، ص 203.

[2]- من الآية (191)من سورة آل عمران.

[3]-الداني أبي عمرو عثمان بن سعيد (371هـ-444هـ) ، التحديد في الإتقان والتسديد في صنعة التجويد ، تحقيق ودراسة: أحمد عبد التواب الفيومي ، مكتبة وهبة ، ط1 ، 1993 ، ص 310.

[4]- من الآية (41)من سورة آل عمران.

[5]-أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ، ص 226.

[6]-عبد القادر عبد الجليل ، الأصوات اللغوية ، ص 160.

[7]- ينظر :تمام حسان، مناهج البحث في اللغة ، ص 127.

[8]-ينظر: أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، ط1، 1996م، ط2، 1999م، ص 85.

للتفخيم جانبان : أحدهما عضوي، وهو وضع اللسان وما يتبعه في الفم، والآخر سمعي ذو خاصية مميزة، وأمارة حدوث التفخيم توتر نسبي في أعصاب الرقبة[1].

فالظاء صوت يستلزم النطق به بذل جهد عضلي كبير، لذا يقلّ استعماله في كلام العرب، كما قلّ وروده في الذكر الحكيم، ومن نماذجه في سورة آل عمران :
قوله تعالى ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾[2]،وقوله: ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[3].

ويَحرص القراء بما في ذلك الشيخ السديس، على إظهار التَّفخيم والإطباق في صوت الظاء،ونظرا لصعوبة نطق هذا الصوت لما يحتاجه من جهد عضلي، فإن أغلب حالات وروده في سورة آل عمران إنما كان وسط نسق من الأصوات السهلة النطق نحو (**ظلمهم، يظلمون**)،إذ تقترن الظاء بكل من اللام والميم والنون والصائت الطويل تباعا؛ ولعلَّ ذلك مردُّه طلب الخفة والسهولة في النُّطق ،وتوفير الجهد للنطق بصوت ثقيل كالظَّاء.

ولهذا المخرج أيضا ينتمي صوت **الضاد**:وهي عند القدماء من **أوّل إحدى حافتي اللسان وما بينهما من الأضراس الّتي من الجانب الأيسر والأيمن**[4]، ويريد بأوّل الحافة ما ما يلي أصل اللسان، وبآخر الحافة ما يلي رأسه، ويقال للضاد طويل لأنّه من أقصى الحافة إلى أدنى الحافة، أي إلى أوّل مخرج اللام، فاستغرق أكثر الحافة[5]، "**فالضاد تخرج من طرف طرف اللسان مستطيلة إلى ما يلي الأضراس من أيسرها وهو الأكثر، ومن يمناها وهو قليل وعسير ومنهما معا وهو أقلّ وأعسر، وقيل كان عمر رضي الله عنه يخرجها منهما**"[6].

---

[1]- فن الكلام ، ص 243.

[2]- من الآية (108)من سورة آل عمران.

[3]-من الآية (117)من سورة آل عمران.

[4]-ينظر:العيني،شرح المراح ، ص 171 ، وينظر : سر الفصاحة ، ص 30.

[5] -ينظر:الإستراباذي،شرح الشافية ص 252/3.

[6]-ينظر : الأنصاري ، زكريا بن محمد ،الدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية ، تح : نسيب النشاوي ، مطابع ألف باء الأديب ، دمشق ، سوريا ، 1980 ، ص 09.

وهي عند **سيبويه"قد استطالت لرخاوتِها حتّى اتصلت بِمخرج اللام."**[1]

وعلى هذا فالضاد القديمة كانت قريبة الشبه باللام، فهي جانبية مثلها ،وهي من مخرجها ، أو أقرب ما تكون إلى مخرجها ،ولكن يفرقها عنها أنّها من ناحية شديدة ليس فيها امتداد في حين أنّ نطق اللام يقتضي إحكام الغلق في منطقة اتصال طرف اللسان باللثة، ومن ناحية أخرى أنّها مفخمة في حين أنّ اللام في أكثر حالاتها مرققة[2].

ولأجل هذه الاستطالة أدغمت اللام فيها وفي الشين نحو:﴿ ولا الضَّالِّين﴾[3]، ﴿الشَّاكِرِينَ﴾[4].وفيما عداهما ممن قاربها، و لم تدغم هي فيما قاربها.

يقول **ابن جني** :**"اعلم أنّ الضاد واحدة من خمسة أحرف يدغم فيهن ما قاربهنّ ، ولا يدغمهن فيما قاربهن، ويجمعها في اللفظ ضمّ الشفة"**[5]. ومن الدارسين من عدَّ الضاد القديمة قسيم الذال[6]، وهذا يفنده تخصيص علماء العربية لها بمخرج خاص بها فذكروا **أنّه لولا الإطباق لصارت الطاء دالا ،والصاد سينا ،والظاء ذالا ،ولخرجت الضاد من الكلام لأنّه ليس من موضعها شيء غيرها ، تزول الضاد إذا عدمت الإطباق عليه**[7].

لهذا **فالضاد أصعب الحروف تكلفا في المخرج، وأشدها صعوبة على اللافظ، فمتى لم يتكلف القارئ إخراجها على حقها أتى بغير لفظها وأخلّ بقراءته**[8]، ونظرا لهذه الصعوبة فقد اضمحلت و لم يعد تقريبا ينطق بها اليوم أي عربي، فقد أصبحت عند بعض العرب دالا مفخمة، واختلطت في تونس بالظاء، و لم تبق العربية كما كانت (لغة الضاد) و لم يعد العرب (ناطقين بالضاد) إلاّ في أفواه الخطباء[9].

---

[1]–سيبويه،الكتاب ، ص 416/2.

[2]–ينظر:أحمد مختار عمر ،دراسة الصوت اللغوي،عالم الكتب القاهرة ،القاهرة،1997 ، ص 348.

[3]– من الآية (07) من سورة الفاتحة.

[4]– من الآية (144) من سورة آل عمران.

[5]–ينظر : ابن جني ،سر الصناعة ، ص 226/1.

[6]–ينظر : يوهان فك ، العربية ، ص 111.

[7]–ينظر : سر الصناعة ، ص76/1.

[8]–ينظر: المكي القيسي ، الرعاية في تجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ، ص 185.

[9]–الطيب بكوش ، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث ، المطبعة العربية ، تونس ، ط3، 1996، ص 40.

وهذا الصوت أسناني لثوي شديد مجهور ومفخم، كما ينطق به قراء القرآن في مصر في وقتنا الحاضر، وهو بِهذا القيد ينطق بوضع طرف اللسان بحيث يلتصق بالأسنان العليا ،ومقدمه بحيث يتصل بأصول الثنايا الّتي تسمى اللثة ، ثمّ إلصاق الطبق بالجدار الخلفي للحلق ليسد المجرى الأنفي ، ويتمّ كل ذلك مع وجود ذبذبة في الوترين الصوتيين[1]، الصوتيين[1]، والضاد من أصوات الإطباق[2]، وهي النظير المجهور للطاء والمطبق للدال ، ولذلك فالضاد صامت مجهور لثوي مطبق شديد[3].

ونطق الشيخ السديس لها، هو نطق النَّظير المفخَّم لصوت الدال، فهي في هذه الحالة مطابقة للوصف المـــُقدم أعلاه، زمنها في سورة آل عمران قوله:﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ .[4]

-الأصوات الأسنانية اللثوية :

يقول **ابن جني " ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا ، مخرج الطاء والدال والتاء**[5]، وهي عند **الخليل "نطعية لأنّ مبدأها من نطع الغار الأعلى**[6]، وهذا الوصف له ما يسوغه، فطرف اللسان مع هذه الأصوات يتصل بأصول الثنايا ومعظم الثنايا من

[1]-تمام حسان، مناهج البحث في اللغة ، ص 120.

[2]-ينظر : الزجاجي ، الجمل في النحو ، ص 413.

[3]-ينظر : محمود السعران ، علم اللغة – مقدمة للقارئ العربي ، ص 115.

[4]- من الآية (36) من سورة آل عمران.

[5]-سر الصناعة ص60/1 وينظر:الحملاوي ،شذا العرف في فنّ الصرف ، ص 147 ، الإستراباذي، شرح الشافية، ص 250/3 ، الأنباري أبي البركات (577ه) ، أسرار العربية ،تحقيق : فخر الدين قدارة : دار الجيل ، بيروت ،ط1 1415ه/1995م، ص 360، والأخفش ،سعيد بن مسعدة البلخي المشاجعي (ت215ه) ، معاني القرآن ، دراسة وتحقيق : محمد أمين الورد ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1424ه/2002م ، ص 239.

[6]-الفاراهيدي، العـــين، ص 58/1.

الداخل ، والنطع كما هو معروف في المعاجم(*)، أقرب جزء من الحنك الأعلى إلى أصول الثنايا ، وهذا القرب من أصول الثنايا يكفي لتصوّر العلاقة بين تلك الأصوات والنطع[1].

واصطلح المحدثون على تسمية هذه المجموعة بالأصوات الأسنانية اللثوية، ويتمّ في هذا المخرج إنتاج سبعة أصوات تشكل نوعين من الأصوات :

أ) الدال والتاء والضاد والطاء، وهي أصوات شديدة.

ب) السين والزاي والصاد وهي أصوات رخوة.[2]

فأمَّا **التاء** فكل الذي يتطلبه إنتاج هذا الصوت، هو أن يقف الهواء وقوفا تاما حال النطق به، عند نقطة التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا ومقدم اللثة، ويضغط الهواء مدّة من الزمن، ثمّ ينفصل اللسان فجأة تاركا نقطة الالتقاء، فيحدث صوتا شديدا ولا يتذبذب الوتران الصوتيَّان حال النطق بالتاء[3]، ورأى علماء العربية أنّ هذا الصوت خفيف، لا يصعب التكلم به بسرعة لذلك سموه بالصوت المهتوت، "**لأنّ الهَتَّ في الكلام سرده بسرعة**"[4].

وقد يصحب التاء شيء من الإجهار في بعض السياقات؛ كما إذا جاءت صامتة متلوة بصوت مجهور[5].وذلك غير وارد في تلاوة الشيخ السديس لسورة آل عمران، ففي نحو قوله تعالى﴿ نَتْلُوهَا﴾[6]،﴿ نَتْلُوهُ﴾ [7]،﴿ تُتْلَى﴾[8]ينطق التَّاء مهموسة دون أن يدخل عليها شيء من الجهر.

(*)-النطع والنطعة ما ظهر من غار الفم الأعلى ، وهي الجلدة الملتصقة بعظم الخليقاء فيها آثار كالتحريز ، وهنا موقع اللسان في الحنك ، ابن منظور ،لسان العرب، دار صادر بيروت ، دط، دت ، ص 357/8.

[1]-ينظر : عبد الغفار حامد هلال ، أصوات اللغة العربية ،ص 132.

[2]-ينظر:أحمد مختار عمر ، دراسة الصوت اللغوي ،ص 316.

[3]-ينظر:كمال بشر ، علم اللغة العام ، ص 101.

[4]- ينظر:العيني ، شرح المراح في التصريف ، ص 174.

[5]- كمال بشر ، علم اللغة العام ، ص 101.

[6] - من الآية (108) من سورة آل عمران.

[7]- من الآية (58) من سورة آل عمران.

[8]- من الآية (101) من سورة آل عمران.

يلي التاء، صوت **الدال** ومن خواصه أنه صوت شديد مجهور، يتكون بأن يندفع الهواء مارا بالحنجرة، فيحرك الوترين الصوتيين، ثمّ يأخذ مجراه في الحلق والفم، حتّى يصل إلى مخرج الصوت، فينحبس هناك فترة قصيرة جدا لالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا التقاء محكما، فإذا انفصل اللسان عن أصول الثنايا سمع صوت شديد نسميه الدال[1].

وفي تلاوة القرآن الكريم عامة وفي **سورة آل عمران** خاصَّة يحرص **الشيخ السديس** على تمكين جهر الدال، لاسيما إن التقى بالنون خوفا من أن يصير غنّة مدغمة في النون نحو: ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّب ﴾[2]،﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ﴾[3].

كذا إن التقى بالخاء والحاء والفاء وهي حروف مهموسة، ينبغي أن يُتعمّد جهره وإلا صار تاءا كقوله: ﴿ ادْفَعُوا ﴾[4]،﴿ قَدْ خَلَتْ ﴾[5]، ﴿ تَدْخُلُوا ﴾[6]،﴿ أُدْخِلَ ﴾[7].

كذلك يمكّن النطق بها متى وردت ساكنة وفي نهاية المقطع نحو﴿قَدْ جَاءَكُمْ﴾[8].

وإذا كان بعد الدال ألف لفظ بها مرققة[9]،نـــحو قوله تعالى: ﴿ مَعْدُودَاتٍ ﴾[10].

أمَّا **الطاء**، فهي تمثل الصوت ذو خاصية التفخيم في هذه المجموعة ،فهي صوت أسناني لثوي شديد مهموس، النظير المفخم لصوت التاء المرقق ،يتكون هذا الصوت حين يندفع الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة دون تذبذب الوترين الصوتيين، وفي أثنائها ترفع مؤخر اللسان باتجاه الحنك الأقصى (الطبق) ويتأخر بعض الشيء نحو الجدار الخلفي للحلق، ويتقعر وسطه، وهذه هي حالة الإطباق كما يصوّرها قدامى القوم[11].

---

[1] –ينظر:إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص 48.

[2] – من الآية (144) من سورة آل عمران.

[3] – من الآية (123) من سورة آل عمران.

[4] – من الآية (167) من سورة آل عمران.

[5] – من الآية (137)، (144) من سورة آل عمران.

[6] – من الآية (142) من سورة آل عمران.

[7] – من الآية (185) من سورة آل عمران.

[8] – من الآية (18) من سورة آل عمران.

[9] – المكي القيسي ، الرعاية في تجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ، ص 201.

[10] – من الآية (24)من سورة آل عمران.

[11] –ينظر: عبد القادر عبد الجليل ، الأصوات اللغوية ، ص 161.

وصوت الطاء يحتل المرتبة ما قبل الأخيرة في نسبة تواتر الأصوات المطبقة في **سورة آل عمران** في حين تعود المرتبة الأخيرة لصوت الظاء، ويحرص السديس على إعطاء هذا الصوت حقه من التفخيم والإطباق، فيخرجه مفخما لاسيما في الوقف ،من ذلك الوقف عند لفظة القسط من قوله تعالى ﴿ بِالْقِسْطِ﴾ [1]،كذلك يزيد من تفخيمها حين تجاور صوتا مفخما مثلها نحو الصاد في قوله تعالى ﴿ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ ﴾[2] ،حيث لاحظت أنَّ تفخيمها في صيغة (**اصطفاك**) أقوى من تفخيمها عند مجاورتها لمجموعة من الأصوات المرققة ،نحو (**طهرك**) .

والشقُّ الثاني من هذه المجموعة يمثله كل من **السين والصاد والزاي** ومخرجها عند القدامى هو **من بين طرف اللسان فويق الثنايا السفلى**[3]، ووصفها **المبرد** بأنّها "**حروف تنسل انسلالا**"[4].

ونعتها **الخليل** بالحروف الأسلية" **لأنّ مبدأها من أسلة اللسان، وهي مستدق طرف اللسان**"[5]. وذكر **الأخفش** العضو الذي يشترك مع طرف اللسان في إنتاج هذه الأصوات، يقول:(**ثمّ الصاد والسين والزاي،ولها من وسط اللسان شباته**(*)، **ومن فويق الثنايا سراته**[6]، أي أنّها تشكل بارتفاع طرف اللسان باتجاه الأسنان العليا.

فصوت **السين** أسناني لثوي رخو مهموس مرقق ، ينطق به بوضع طرف اللسان بحيث يلتصق بالأسنان العليا ،ومقدمه يلتصق باللثة ؛ مع رفع الطبق بحيث يلتصق بالجدار الخلفي

---

[1]– من الآية (18)من سورة آل عمران.

[2]– من الآية (42)من سورة آل عمران.

[3]–ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، ص 160/1 ، وينظر : الإشبيلي ابن عصفور (597-669هـ) ، الممتع الكبير في التصريف، تحقيق : فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، ط1، 1996، ص 424 ، والسيوطي جلال الدين، (ت:911هـ) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، شرح وتحقيق: عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، 1421هـ/2001م ، ص 292/6.

[4] –المقتضب ، ص 224/1.

[5]– العين ، ص 42/1.

(*)–الشباة : الحدّ والطرف ،ابن منظور، لسان العرب ، ص 389/3.

[6]–الأندلسي أبي حيان ،(ت: 743هـ)، تذكرة النحاة، تحقيق: عفيف عبد الرحمن ، مؤسسة الرسالة ، د.ط ، 1986م، ص 30.

للحلق ليسد المجرى الأنفي في طريق الهواء الخارج من الرئتين ؛ مع خفض مؤخر اللسان وفتح الوترين الصوتيين في وضع التنفس المهموس .[1]

وقد حرص القراء على تحقيق هذا الصوت لئلا يلتبس بمقاربه من الأصوات، "**فإن أتى بعده صوت من أصوات الإطباق في كلمة، يلزم إنعام تلخيصه والتوصل إلى سكونه في رفق وتؤدة، وإلا ّصار صادا بالاختلاط**".[2] نحو قوله تعالى: ﴿بِالْقِسْطِ﴾ [3] وكذلك إن أتى قبله أو بعده قاف توصل إلى اللفظ به في حال سكونه وتحريكه برقة ورفق نحو ﴿ بِالْقِسْطِ ﴾[4]."**وكذلك إن أتى ساكنا وبعده جيم ، أُنعم بيانه، ولـُخِّص لفظه ، ومُنع من الجهر، وإلاّ انقلب زايا لما بين الزاي والجيم من الجهر**"[5]،وذلك نحو قوله: ﴿ يَسْجُدُونَ ﴾[6].

وإن اتصل براء توصل إليه برقة ورفق ، وأخلص تفخيم الراء ،وإلا ربما انقلب صادا، وذلك نحو قوله تعالى :﴿ فِي السَّرَّاءِ ﴾[7]

ثم **الصَّاد** وهو يتكون بالطريقة الّتي تتكون بها السين مع فارق الإطباق، النَّاتج عن ارتفاع مؤخر اللسان اتجاه الحنك الأعلى ورجوعه قليلا إلى الخلف، فالصَّاد صوت لثوي مهموس رخو مفخم (مطبق)[8]، "**فإن التقى بالطاء أنعم بيانه وأعطي حقه من الإطباق والاستعلاء، وإلاّ انقلبت سينا**[9]، وذلك نحو قولـــه تعـــالى: ﴿اصْطَفَاكِ﴾[10].

وكذلك يلزم أن يحرص على تخليص الصاد من السين، فيما يتفق لفظه ويختلف معناه، وذلك في قوله تعالى: ﴿فِيهَا صِرٌّ ﴾[11]، ﴿وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ﴾[1]وذلك بالإتيان به مفخما.

---

[1]–ينظر: مناهج البحث في اللغة ،ص 128.

[2]–ينظر:التحديد في الإتقان والتسديد في صنعة التجويد ، ص 319.

[3]– من الآية (18) من سورة آل عمران.

[4]– من الآية (21) من سورة آل عمران.

[5]–الداني ، التحديد في الإتقان والتسديد في صنعة التجويد ، ص 320.

[6]– من الآية (113) من سورة آل عمران.

[7]– من الآية (134) من سورة آل عمران.

[8]–ينظر:كمال بشر ، علم اللغة العام ، ص 120.

[9]–التحديد في الإتقان ، ص 314.

[10]– من الآية (42) من سورة آل عمران.

[11]– من الآية (117) من سورة آل عمران.

وأخيرا صوت **الزّاي** الأسناني اللثوي الرخو المجهور المرقق، يتكون هذا الصوت باندفاع الهواء من الرئتين، مارا بالحنجرة ،أين يتذبذب الوتران الصوتيان، ثمّ يتخذ الهواء مساره عبر الحلق والفم، إلى أن يصل إلى نقطة التقاء طرف اللسان في اتجاه الأسنان ومقدمته مقابل اللثة العليا[2].

فالسين والزاي أختان ويفرق بينها جهر الأولى وهمس الثانية، والسين والصاد أختان ويفرق بينهما ترقيق الأولى وتفخيم الثانية[3].

وتتميز هذه الأصوات بصفة الصفير ، وذلك بسبب الاحتكاك الشديد في أثناء نطق هذه الأصوات، نتيجة لتقارب أعضاء النطق تقاربا شديدا، إذ تترك منفذا ضيقا، يمر منه الهواء محدثا احتكاكا، فينتج من هذا الاحتكاك صوت ضعيف يشبه صوت الحفيف، فإذا كان منفذ الهواء ضيقا جدا، يتحول الصوت إلى ما يشبه الصفير الحاد[4]،لذا فهي أكثر الأصوات رخاوة[5].وهـــي كذلك في تـــــلاوة الذكر الحكيم، ومن مواضعها من **سورة آل عمران** في قوله تعالى ﴿ زَكَرِيَّا ﴾[6]، ﴿ رَمْزًا﴾[7].

-**الأصوات اللثوية** :وتتشكل هذه المجموعة من ثلاثة أصوات هي، الراء واللام والنون

فأما **النون** ،فمخرجها من طرف اللسان بينه وبين مافويق الثنايا [8]، وللنون ما يليه من الخيشوم وهو أقصى الأنف[9]، فالنون في كتاب **سيبويه** نوعان أصلية وفرعية ووسم الأخيرة بالنون الخفيفة ، في حين وسمها **المبرد** بالّتي لا صورة لها ، وهذه الأخيرة هي الّتي تشكل الغنة، الّتي ليست في حقيقتها الصوتية إلاّ تأنيفا لبعض الأصوات[10].

---

[1]- من الآية (152) من سورة آل عمران.

[2]-ينظر:عبد القادر عبد الجليل ، الأصوات اللغوية، ص 163.

[3]-ينظر : أحمد مختار عمر ، دراسة الصوت اللغوي ، ص 316.

[4]- ينظر :محمد الأنطاكي ، المحيط في أصوات اللغة ونحوها وصرفها ، دار الشروق العربي ، ط3 ، د.ت ، ص 16/3.

[5] -ينظر :عاطف مذكور ، علم اللغة بين التراث والمعاصرة ، ص 119.

[6] - من الآية (37)، (38)من سورة آل عمران.

[7] - من الآية (41)من سورة آل عمران.

[8] -ينظر: سر الصناعة 60/1.

[9]-الكتاب، ص 433/4 ، وينظر : شذا العرف في فنّ الصرف ، ص 147.

[10] -سمير شريف إستيته ، القراءات القرآنية بين العربية والأصوات الغوية (منهج لساني معاصر) ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، 2005، ص 37.

وسمَّاها **ابن جني بالنون السَّاكنة**[1]،فهذه الغنة عبارة عن"**صوت مركب في جسم النون،ومخرجه من الخيشوم،وهومؤخرة الأنف المنجذب إلى داخل الفم،وليس بالمنخر**"[2] **بالمنخر**"[2]

فالذي يتطلبه إصدار صوت النون اندفاع الهواء من الرئتين مرورا بالحنجرة ، أين يتذبذب الوتران الصوتيَّان، ثمّ يتخذ الهواء مسارا عبر الحلق ، إذ يهبط أقصى الحنك اللين فيسدّ بهبوطه فتحة الفم ، مما يجعل الهواء يتسرّب عبر المسرب الأنفي ، وفي صناعة هذا الصوت يعتمد طرف اللسان على أصول الأسنان العليا مع اللثة[3]، فالنون صوت أسناني لثوي أنفي مجهور.[4]

والنون بهذا الوصف، وحدة صوتية لها وظيفة مستقلة في البناء الصوتي للكلمة، "**ولكن هذه النون من أكثر الأصوات العربية الصامتة قابلية للتغيير في الأداء النطقي الفعلي**[5] فمن ذلك :

– النون اللثوية: فهي صوت أنفي مجهور، ينتج عندما يلتقي صوت النون الأصلية بأحد الأصوات الأسنانية اللثوية (التاء ، الدال ، الطاء ، الضاد) وقد عدَّها القراء مخففة مع هذه الأصوات[6]، كما أنّه ينتج عند التقائها بأحد الأصوات اللثوية (السين ، الزاي ، الصاد) فيصبح مخرج النون من مخرج الصوت التالي لها[7]، نـــحو قوله تعالى: ﴿ لَنْ تُغْنِيَ﴾[8]، ﴿ عِنْدِ اللَّهِ ﴾[9]، ﴿ فَانْظُروا ﴾ [10]، ﴿ وَانْصُرْنَا ﴾[11]،﴿ أَنْزَلَ ﴾ [1].

---

[1] –سر الصناعة ، ص 61/1.

[2] –السيوطي جلال الدين ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، ص 294/6.

[3]– عبد القادر عبد الجليل ، الأصوات العربية ، ص 173 ، 174.

[4]–كمال بشر ، علم اللغة العام ، ص 150.

[5]–محمد فتح الله الصغير ، الخصائص النطقية والفيزيائية للصوامت الرنينية ، تقديم : سمير شريف إستيت عالم الكتب الحديث ، إربد الأردن ، ط1 ، 1428 هـ/2008م ، ص 170.

[6] –أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي،مكتبةالخانجي، القاهرة،ط1، 1987 ، ص 227.

[7]– نفسه ، ص 227.

[8]– من الآية (116)من سورة آل عمران.

[9]– من الآية (126)من سورة آل عمران.

[10]– من الآية (137)من سورة آل عمران.

[11]– من الآية (147)من سورة آل عمران.

وقد لاحظت من خلال قراءة الشيخ السديس ،أن اتصال طرف السان مع اللثة لا يكاد يحدث في إصدار هذه النون ،إذ سرعان مايعود اللسان للأسفل بعد ملامسة خفيفة للّثة .

– النون الغاريَّة ، وهي صوت أنفي مجهور ، ينتج عندما يلتقي صوت النون الأصلية بأحد الأصوات الغارية وهي (الجيم ، الشين ، الياء) فيتأخر مخرج النون إلى حيث مخرج الصوت التالي لها[2].

نحو قوله تعالى: ﴿ وَالإِنْجِيلَ ﴾[3]، ﴿ مَنْ يَشَاءُ ﴾[4]، ﴿ أَنْ يُؤْتَى ﴾[5]، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ ﴾[6]، ﴿لَنْ يُقْبَلَ ﴾[7]،﴿ مِنْ شَيْءٍ ﴾[8]،﴿ مَنْ يَعْتَصِمْ ﴾[9]،﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ ،وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾[10]، ﴿ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ،أَنْ يُمِدَّكُمْ﴾ [11]،﴿(مَنْ يُرِدْ﴾[12]،﴿إِنْ يَنْصُرْكُمْ﴾[13]،﴿ مَنْ يَكْفُرْ ﴾[14].

وهذه ملاحظة صحيحة إلى حدٍّ بعيد.

– النون اللهوية: صوت أنفي مجهور يرد قبل صوت القاف، ويُنطق به برفع مؤخر اللسان، وسحبه إلى الخلف حتّى يتصل باللّهاة تمهيدا لنطق صوت القاف،[15] نـــحو: ﴿ مِنْ قَبْلُ﴾،[16] ﴿انْقَلَبْتُمْ ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ ﴾.[17]

---

[1]– من الآيات : (4، 7، 84) من سورة آل عمران.

[2]– أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ، ص 227.

[3]– من الآيات (03) ، (48) ، (65) من سورة آل عمران.

[4]– من الآيات (13) ، (37) ، (74) ، (129) من سورة آل عمران.

[5]– من الآية (73) من سورة آل عمران.

[6]– من الآية (85) من سورة آل عمران.

[7]– من الآية (85)، (91) من سورة آل عمران.

[8]– من الآية (92) من سورة آل عمران.

[9]– من الآية (101) من سورة آل عمران.

[10]– من الآية (111) من سورة آل عمران

[11]– من الآية (124) من سورة آل عمران.

[12]– من الآية (145) من سورة آل عمران.

[13]– من الآية (160) من سورة آل عمران.

[14]– من الآية (19) من سورة آل عمران.

[15]–ينظر:مناهج البحث في اللغة ، ص 135.

[16]– من الآية (93) من سورة آل عمران.

[17]– من الآية (144) من سورة آل عمران

– النون الأسنانية:وهي صوت أنفي مجهور ،يُنطق به بإخراج اللسان،أي بوضع طرفه ضدَّ أطراف الأسنان العليا،وخفض الطبق ،وإحداث ذبذبة في الوترين الصوتيين؛ وهو صوت النون قبل الذال والتاء والظاء، ولذلك يمكن وصفه بالتفخيم إذا وليه الظاء وبالترقيق إذا وليه الذال والثاء[1]، نـــحو: ﴿ مِنْ ذَلِكُمْ﴾ [2]، ﴿يُنْظَرُونَ﴾[3]،﴿ أُنْثَى ﴾. [4]

– النون الطبقية : صوت أنفي مجهور، يتلوه الكاف في اللغة الفصحى ، ويتمّ النطق به برفع مؤخر اللسان إلى الطبق وخفض الطبق إليه ، حتّى ينفتح المجرى الأنفي ، ويكون ذلك مع إحداث ذبذبة في الوترين الصوتيين،[5] نحو قوله تعالى:﴿ وَلَكِنْ كَانَ﴾[6] ،﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾[7] ،﴿الْمُنْكَرِ﴾[8]، ﴿مِنْكُمْ ﴾[9] ،﴿مِنْ كِتَابٍ ﴾.[10]

إن اتصال النون مع مجموع هذه الأصوات يشكل الحكم الرابع من أحكام النون الساكنة ونعني به الإخفاء يقول **ابن الجزري:"وأما الحكم الرَّابع وهو (الإخفاء) وهوعند حروف المعجم وفي جملتها خمسة عشر حرفا هي : التاء، والثاء ، والجيم، والدَّال، والذَّال، والزاي، والسين، والشين، والصاد، والضاد، والظاء، والطاء، والفاء، والقاف،والكاف ...واعلم أن الإخفاء عند أئمتنا هوحال بين الإظهار والإدغام،قال الداني :وذلك أن النون والتنوين لم يقربا من هذه الحروف كقربهما من حروف الإدغام فيجب إدغامهما فيهن من أجل القرب، ولم يبعدا منهم كبعدهما من حروف الإظهار فيجب إظهارها عندهن من أجل البعد".**[11]

---

[1]–مناهج البحث في اللغة ، ص 133 – 134.

[2]– من الآية (15) من سورة آل عمران.

[3]– من الآية (88) من سورة آل عمران.

[4]– من الآية (36) من سورة آل عمران.

[5]–ينظر:مناهج البحث في اللغة ، ص 135.

[6]– من الآية (67) من سورة آل عمران.

[7]– من الآية (97) من سورة آل عمران.

[8]– من الآية (114) من سورة آل عمران.

[9]– من الآية (142) من سورة آل عمران.

[10]– من الآية (81) من سورة آل عمران.

[11]–ينظر: النشر في القراءات العشر ص21/2.

ومخرج هذه النون في عرف القدامى من الخياشم فقط، فلا دخل للِّسان في إنتاجها.[1] وإن كانت الدراسات الحديثة قد لاحظت عمل اللسان في إصدار صوت النون الساكنة على نحو مالاحظنا في التنوعات الصوتية لهذا الصوت ، على أن عمل اللسان معها يبقى متواضعا لا يظهر بصورة واضحة.

أما **الراء** فهي في معظم اللغات مكررة أو ترددية ، يتمّ نطقها في مقدمة اللسان مع حدوث ذبذبة في الوترين الصوتيين[2].

وعدّت من الأصوات المائعة ، **لأنّ اللسان قد يتجافى معها بعض التجافي نتيجة للتكرار الذي فيها فيجري معها الصوت**[3].

"والراء المائعة ترجع إلى ذبذبة في الأجزاء المطاطة الّتي يشتمل عليها التجويف الحنكي، وإلى ذبذبة اللسان أولا وقبل كل شيء ، وهناك الراء الأسنانية الناتجة عن ارتجاج طرف اللسان ، والراء الحلقية الّتي فيها ظهر اللسان هو الذي يقوم بالارتجاج، وأخيرا هناك الراء الّتي من اللهاة ، الناتجة من اهتزاز اللهاة ، وهي الراء المسماة بالدسمة وأحد الأصوات الّتي يصعب إنتاجها على من لم يستحوذ عليها بالطبيعة[4]"

فهذه التنوعات الصوتية للراء لا تعني العربية بل هي شكل من الأشكال الصوتية تختلف باختلاف اللغات .

وتكون الراء في العربية تارة مرققة وتارة مفخمة، فمن الناحية الصوتية تملك العربية راءان (راء مرققة ،وراء مفخمة) ،ولكن من ناحية الفونولوجيا العربية تملك راء واحدة[5]، **"والتفخيم أصل في الراء على ما ذهب إليه الجمهور ، لتمكنها في ظهر اللسان،وقال آخرون ليس لها أصل في تفخيم ولا ترقيق،وإنّما يعرض لها ذلك بحسب حركتها، أو**

---

[1]-ينظر: نفسه ص22/2.

[2]- ماريوباي ، أسس علم اللغة ، ص 86.

[3]- ينظر : ابن عصفور ، المقرب ، ص 7/2.

[4]-جوزيف فندريس ، اللغة ، تعريب : عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص ، مكتبة أنجلو المصرية ، د.ت ، ص 53.

[5]-ينظر:مصطفى حركات، اللسانيات العامة وقضايا العربية، المكتبة العصرية صيدا ، بيروت ،ط1، 1418ه/1998م ،ص 19.

مجاورتها[1]، فالراء إذا تحركت بالفتح أو الضم أو سكنت و لم يقع قبلها كسرة لازمة من نفس الكلمة الّتي هي منها فهي مفخمة على حال ما حُدِّدَ من الفتح الخالص بإجماع من القراء، وكذلك حالها إذا وقعت طرفا في الكلمة في الوصل والوقف جميعا، وسواء أوقف على مضمومه بالسكون أو بالروم أو بالإشمام[2].

فالمفتوحة نحو قوله سبحانه تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ ﴾[3]، والمضمومة ﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا ﴾[4]، والساكنة ﴿ مَرْجِعُكُمْ﴾[5].

واتفق القراء على ترقيق الراء المضمومة والمكسورة في الوصل، وأمّا في الوقف فإنّ أهل الروم يرققونها، وأهل الإسكان ينظرون إلى ما قبلها، فإن كان قبلها مكسورا أوراء ساكنة قبلها كسرة رققوا، فإن لم يكن قبلها شيء من ذلك فخموا، إن كانت الراء لازمة أوكسرة إعراب[6]، فالرَّاء داخل التركيب تخضع للكثير من التغيُّرات حتى يتحقق الانسجام والابتعاد عن الثقل.

وأخيرا **اللام** ،وهي"**تخرج من حافة اللسان، من أدناه إلى منتهى طرف اللسان، وفويق الضواحك والنَّاب والرباعية والثنية**"[7]. ووُصفت بأنّها صوت منحرف، "**ويعني به ذلك الحرف الشديد الذي يجري فيه الصوت لانحراف اللسان معه**"[8]، فاللام المائعة صوت جانبي (حافيٌّ) ويتميز بأنّ طرف اللسان يرتفع في النطق بها حتّى يعتمد على الحنك وتنخفض حواف اللسان بطريقة تسمح للهواء بأن يمرّ من جوانبه[9].

---

[1]–ينظر: البنا الدمياطي (ت: 1117 هـ/1705م) ، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر، تحقيق :شعبان محمد إسماعيل ، عالم الكتب ، بيروت ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ط1 ، 1407 هـ/1987م ، ص 295/1.

[2]– الداني ، التحديد في الإتقان ، ص 333.

[3]– من الآية (159)من سورة آل عمران.

[4]– من الآية (120) ومواضع أخرى من سورة آل عمران.

[5]– من الآية (55)، ومواضع أخرى من سورة آل عمران.

[6]–ابن شريح ، أبي عبد الله محمد (ت: 338 هـ/476م)، الكافي في القراءات السبع، تحقيق وتعليق : جمال الدين محمد شرف ، دار الصحابة للنشر ، طنطا، د.ت ، ص 56.

[7]–ينظر:ابن خالويه عبد الله الحسين بن أحمد ، إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، د.ت، ص 19.

[8]–ينظر ، الكتاب ، 435/4.

[9]–ينظر:فندريس ، اللغة ، ص 53.

واللام على هذا صوت أسناني،لثوي ،مجهور،مائع[1]، وهي تشكل مع الراء والنون مجموعة الأصوات المائعة الّتي تقترب من الصوائت في قوة إسماعها، وفي حرية مرور الهواء معها، ولكن هذه الأصوات لم تعد صوائت لأنّ هواءها الحرّ لم يخرج من وسط الفم، ولهذا سمّيت (بأنصاف الصَّوائت) ولكنها ليست صوائت[2]، إضافة إلى هذا فإنّها تتميز بجهرها،وشيوعها شيوعا كبيرا وسهولة نطقها[3].وذلك ماسنلحظه في الدراسة الإحصائية لأصوات السورة الكريمة.

والأصل في اللام الترقيق ، وذلك أنّ اللام لا تغلظ إلاّ لسبب، وهو مجاورتها صوت استعلاء ، وليس تغليظها مع وجوده بلازم، بل ترقيقها إذا لم تجاوره لازم[4]، **فهي تفخم إذا جاورت أصوات الإطباق ، لكي يعمل اللسان عملا واحدا في التفخيم**[5].

من ذلك في قوله تعالى :﴿ يُصَلِّي ﴾[6]،﴿وَأَصْلَحُو﴾[7]،﴿ ظَلَمُوا﴾[8]،﴿يُظْلَمُونَ﴾[9]، ﴿ضَلالٍ﴾[10]، ﴿ضَلالٍ﴾[10]، ﴿ظَلامٍ ﴾،[11]كما أنّها تفخم من اسم الله تعالى بعد فتحة أو ضمة.[12]

وعلى العموم ، فإنّ تفخيم كل من صوت اللام والراء إنّما هو من الأمور العارضة للصوت، أو ما يسمى بالتنوعات variants وفقا للمصطلح الصوتي، ومن ثمّ لم تشأ الأبجدية العربية أن تستحدث لهما رمزين كتابيين مستقلين.[13]

---

[1]–ينظر:كمال بشر ، فنّ الكلام ، ص 219.

[2]– ينظر:حسام البهنساوي ، علم الأصوات ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط1 ، 1425 هـ/2004م ، ص 147.

[3]–أحمد محمد قدور ، مبادئ اللسانيات ، ص 79.

[4]–ينظر : البنا الدمياطي ، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر ، ص 307/1.

[5]–القيسي أبي محمد المكي بن أبي طالب ، (ت437 هـ) ، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ، تحقيق: عبد الرحيم الطرهوني ، دار الحديث ، القاهرة ، 1428 هـ/2007م ، ص 270/1.

[6]– من الآية (39) من سورة آل عمران.

[7]– من الآية (89) من سورة آل عمران.

[8]– من الآية (135) من سورة آل عمران.

[9]– من الآية (161) من سورة آل عمران.

[10]– من الآية (164) من سورة آل عمران.

[11]– من الآية (182) من سورة آل عمران.

[12]–النشر في القراءات العشر ، 170/1، ينظر من الآيات (41)، (5)، (7)، (11)، (14)، (15)، (18)، (19)، (20) ومواضع أخرى من سورة آل عمران.

[13]–حسام البهنساوي ، الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ط1 ، 2005م ، ص 71.

وإن كان **للفخر الرازي** رأي آخر حيث أصرّ على وجوب التفريق بين اللام المرققة واللام المفخمة من منطلق استقلال كل منهما عن الأخرى يقول :"**نسبة اللام الرقيقة إلى اللام الغليظة كنسبة الدال إلى الطاء، وكنسبة السين إلى الصاد، فإنّ الدال تذكر بطرف اللسان والطاء تذكر بكل اللسان ، وكذلك السين... ثمّ رأينا أنّ القوم قالوا أنّ الدال حرف والطاء حرف آخر، وكذلك السين حرف والصاد حرف آخر ، فكان الواجب أيضا أن يقولوا: اللام الرقيقة حرف واللام الغليظة حرف آخر ، وأنّهم ما فعلوا ذلك ولابدّ من الفرق.**"[1]

لقد تفطَّن الرَّازي إلى ضرورة التمييز بين المنطوق والمكتوب، وأنه لو تُرك الأمر للمنطوق لازداد عدد أصوات العربية عن ثمانية وعشرين صوتا المتعارف عليها ،وكأنه يشير بذلك إلى مايعرف في الدراسات الصوتية الحديثة بالأبجدية الصوتية.

الأصوات الغارية :ويشمل هذا المخرج من الصوامت كلا من الجيم و الشين .

"**المخرج السادس في عرف القدماء هو للجيم والشين والياء ، وهو من وسط اللسان بينه وبين الحنك الأعلى**"[2].

وقد أطلق بعض المحدثين على الثلاثة : الأصوات الأدنى حنكية[3]، "**والجيم أقرب إلى اللسان وبعده إلى خارج الفم الشين ، وبعده إلى خارجه الياء**"[4].

فالشين صوت غاري رخو مهموس مرقق ، يتكون حين يلتقي اللسان بمؤخر اللّثة، ومقدم الحنك الأعلى، ويندفع الهواء مارًّا بالحنجرة، دون أن يحرك الوترين الصوتيين وعند الالتقاء في نقطة الإخراج الصوتي، يسمع هذا الصوت المتفشي لأنّ درجة التضييق أقل منها عند إخراج صوت الشين[5].

---

[1]- الرازي فخر الدين(ت606)،التفسير الكبير"مفاتيح الغيب"،تحقيق:عماد زكي البارودي،المكتبة التوقيفية مصر.دط،دت ،ص100/1.

[2]– الأنباري ، أسرار العربية ، ص 359 ، وينظر شذا العرف في فن الصرف ، ص 147.

[3]–ينظر ، جان كانتينو ، دروس في علم الأصوات ، ص 30 ، 88.

[4]–شرح الشافية ،ص 252/3.

[5]–ينظر:عبد القادر عبد الجليل ، الأصوات اللغوية ، ص 177 ، 178.

وقد اختصت الشين بصفة التفشي ، لأنّ انتشار هواء الصوت فيها أوضح قياسا إلى الأصوات الأخرى[1]، ولهذا نصّ **سيبويه** على أنّ "**الشين لا تدغم في الجيم لأنّ الشين استطال مخرجها لرخاوتها، حتّى اتصل بمخرج الطاء فصارت منـــزلتها منها نحوا من منزلة الفاء مع الباء، فاجتمع هذا فيها، والتفشي، فكرهوا أن يدغموها في الجيم**"[2].

ومن أجل صفة التفشي هذه نبَّه القُراء على العناية ببيان الشين لاسيما في حال تشديدها أوسكونها[3]،نحو:﴿ الشَّهَوَاتِ﴾ [4]، ﴿ فَبَشِّرْهُمْ ﴾[5]،﴿ الشَّيْطَانَ﴾[6]،﴿ يُبَشِّرُكَ﴾ [7]، ﴿ اشْهَدْ﴾[8]، ﴿لا نُشْرِكَ ﴾[9]، ﴿ يَشْعُرُونَ﴾ [10].

لقد حرص السديس على الضغط على الشين المشددة ، وذلك شأنه مع كل صوت مشدد، وحرصه على إظهارها وهي ساكنة أقوى.

أمَّا **الجيم** فإنَّ العملية العضوية الّتي يصدر من خلالها صوت الشين هي نفسها الّتي يتطلبها إصدار صوت الجيم مع فارق الجهر والهمس بينهما.

فالجيم صامت رخو حنكي مجهور[11]، وعدّها **سيبويه** وسائر نحاة العربية صوتا شديدا ، "**وذلك أنّك لو قلت الحَجَّ ثمّ مددت صوتك لم يجر ذلك**"[12].

وذهب المحدثون في تفسير هذا الموقف مذاهب عدّة[13]، وإن كان منهم من التزم بتوصيف القدماء للجيم كونه صوتا شديدا، فقد ذكر **برجشتراسر** : أنّ الجيم عند أكثر

---

[1]– علاء جبر محمد،المدارس الصوتية عند العرب(النشأة والتطور)دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1427،1ه/2006م،ص 68.

[2]– الكتاب ، 448/4.

[3]–ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، 173/1.

[4]– من الآية (14) من سورة آل عمران.

[5]– من الآية (21) من سورة آل عمران.

[6]– من الآية (36) من سورة آل عمران.

[7]– من الآيتين (39)، (45) من سورة آل عمران.

[8]– من الآيتين (52)، (64) من سورة آل عمران.

[9]– من الآية (64) من سورة آل عمران.

[10]– من الآية (69)من سورة آل عمران.

[11]–ينظر:بسام بركة ، علم الأصوات العام ، ص 124.

[12]– الكتاب ، ص 434/4.

[13]– ينظر : كمال بشر ، علم اللغة العام ، ص 126.

العرب معطشة مركبة، من لفظي الدَّال والشين المجهورة، وهي كانت بسيطة مجهورة شديدة مثل نطقها الحالي عند المصريين، لكنّها لم تكن مثل الجيم المصرية بعينها، لأنّ مخرج الجيم المصرية هو مخرج الكاف، ومخرج الجيم العتيقة هو مخرج الشين، والياء، فالرأي الأقرب إلى الصواب أنّ الجيم العتيقة كانت مثل الكاف التركية، في مثل كلمة (كاه) أي أنها كانت مشجرة[1]. وعلى العموم فهذه تطورات صوتية لا تعني بالضَّرورة أصوات الذكر الذكر الحكيم ، مادام الإعتماد في نطقها على التلقين والمشافهة .

والقرَّاء حريصون عل إظهار الجيم، فتمكين النطق بالجيم المشددة في قراءة **السديس لسورة آل عمران** أمر واضح وجلي وذلك في نـــحو ﴿ تُحَاجُّونَ﴾،[2] ﴿حَاجُّوكَ﴾.[3]

- **الأصوات الطبقية** : وينتج مجموعة الأصوات الطبقية وهي الكاف والغين والخاء[4].

فالكاف: من أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا، ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف[5]، وهي من الأصوات المهموسة عند القدامى[6]، كما وإنّها صوت شديد تنتمي إلى مجموعة (أجدك قطبت) [7].

يتكون هذا الصوت برفع أقصى اللسان اتجاه أقصى الحنك الأعلى (أو الحنك اللين)، والتصاقه به مع ارتفاع أقصى الحنك الأعلى نفسه، ليسد مجرى الهواء من الأنف ثمّ يضغط الهواء لمدّة من الزمن ثمّ يطلق سراح المجرى الهوائي ، فيحدث انفجار، ولا يتذبذب الوتران الصوتيان حال النطق به[8].

---

[1]–برجشتراسر ، التطور النحوي للغة العربية ، أخرجه وصححه وعلق عليه : رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ،ط1، 1400ه/1980م ، ط2 ، 1414ه/1994م، ص 09.

[2]– من الآية (65) من سورة آل عمران.

[3]– من الآية (20) من سورة آل عمران.

[4]–حسام البهنساوي ، الدراسات الصوتية عند العرب والدرس الصوتي الحديث ، ص 34.

[5]– الكتاب ، ص 433/3.

[6]– ينظر : شرح المراح ، ص 172.

[7]–كمال بشر ، علم اللغة العام ، ص 108.

[8]–تمام حسان ، مناهج البحث في اللغة ، ص 124.

وقد يجهر هذا الصوت جهرا خفيفا إذا وليه صوت الدال كما في قوله تعالى: ﴿ كَدَأْبِ ﴾[1]، وتصحبه نفخة خفيفة ، إذا وليه صوت من أصوات الكسر[2]، ومنه في قوله تعالى: ﴿ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[3]، ﴿ الْكِبَرُ﴾ [4].

ثم الخاء والغين :وهما في عرف القدماء صوتان حلقيان [5].

فأما الغين فهو صوت طبقي رخو مجهور مرقق ، وإن إرتبط بقيمة شبه تفخيمية في بعض المواقع. ويتم النطق به برفع مؤخر اللسان حتى يتصل بالطبق وخلق صلة تسمح للهواء الرئوي من المرور، ولكن مع احتكاك باللسان والطبق في نقطة تلاقيهما، وهذا هو عنصر الرخاوة في الغين، وفي نفس الوقت يرتفع الطبق ليسد المجرى الأنفي، وتحدث ذبذبة في الوترين الصوتيين .[6]

والخاء النظير المهموس لصوت الغين : إذ يتم نطقهما بنفس الطريقة مع فارق الجهر والهمس بينهما.

وتوصف هذه الأصوات (الغين والخاء) إضافة إلى (القاف) بأنّها أصوات ذات تفخيم جزئي أو شبه تفخيم ، أو ما يصطلح عليه بالاستعلاء ، ولعلّها وصفت بذلك لأنّ ارتفاع أقصى اللسان فيها نحو أقصى الحنك ، وعدم اتصاله بجزء منه ، لا يكون في إخراج أي صوت آخر، فهي بهذا المعنى من أصوات الاستعلاء[7]، على أنّ التفخيم الجزئي أو الاستعلاء ليس صفة ملازمة لهذه الأصوات الثلاثة ، في كل أحوالها وسياقاتها ولكنّها تكون كذلك في سياقات معينة وشروط محدّدة، ويكون ذلك عندما تجاور الأصوات المفخمة فتتأثر بها ، نحو قوله تعالى : ﴿ الْغَيْظَ ﴾[8].

---

[1]– من الآية (11) من سورة آل عمران.

[2]–تمام حسان ، مناهج البحث في اللغة ، ص 124.

[3]– من الآيتين (6) ، (18). من سورة آل عمران.

[4]– من الآية (40) من سورة آل عمران.

[5]–ينظر:شرح الشافية ، ص 251/3.وينظر مناقشة تمام حسان لهذه الفكرة في كتاب مناهج البحث في اللغة ،ص129.

[6]– مناهج البحث في اللغة ،ص129

[7]– ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ،ص 319.

[8]– من الآية (134) من سورة آل عمران.

كما تتأثر هذه الأصوات بما يليها من حركة أمامية (الكسرة) فيضعف فيها أثر التفخيم قليلا أو كثيرا، حيث يبقى الصوت على ما هو عليه من كونه صوتا محافظا على هويته وصورته وبخاصة في صوتي الغين والخاء.[1]

وقد تتبعت ذلك في **سورة آل عمران**، ولاحظته بصورة واضحة في قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ﴾،[2] إذ يقل تفخيم الغين الأولى بقدر معين، في حين تبقى الغين الثانية محتفظة محتفظة بتفخيمها كاملا، حيث يتقدم مخرج الغين قليلا للأمام تأثرا بالكسرة وإن يبقى في إيطار مخرجه.

الأصوات اللهوية :

أوّل أصوات هذا المخرج ،صوت القاف وهي عند القدماء من" **أقصى اللسان وما يحاذيه في الحنك الأعلى**"[3]، يقول **الأزهري : وأمّا القاف فأصحها جرسا ، فإذا كانتا – يعني القاف والعين– أو إحداهما في بناء حَسُنَ لنصاعتهما**[4].

وإن كان للقاف عند المحدثين كيفية تخالف القدامى، فللنطق بالقاف كما نعهدها في قراءتنا، يندفع الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة ، فلا يحرك الوترين الصوتيين ، ثمّ يتخذ مجراه في الحلق حتّى يصل إلى أدنى الحلق من الفم، وهناك ينحبس الهواء باتصال أدنى الحلق بما في ذلك اللهاة، بأقصى اللسان، ثمّ ينفصل العضوان انفصالا مفاجئا، فيحدث الهواء صوتا انفجاريا شديدا. فلا فرق بين القاف كما ننطقها بها، وبين الكاف إلاّ في أنّ القاف أعمق قليلا في المخرج ولذلك يمكن أن تسمى القاف صوتا لهويا نسبة إلى اللهاة[5].

وخلاصة القول في مخرج القاف – كما يفهم من التراث القديم – أنّها تخرج من أقصى الحنك،أو هي حنكية،قصيَّة بالتعبير الحديث على حين أنّها لهوية في النطق المعاصر[6].
المعاصر[6].

[1]–حسام البهنساوي ، الدراسات الصوتية عند العرب والدرس الصوتي الحديث ، ص 70.

[2] – من الآية (85) من سورة آل عمران.

[3]– ينظر:سر الصناعة ص60/1 و ينظر:شرح المراح ، ص 171 ، وأسرار العربية ، ص 359.

[4]– الأزهري ، أحمد عبد الرحمن ،تهذيب اللغة ،دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان ،ط1 ،2004 ، ص 58/1.

[5]– ينظر:إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص 87–88.

[6]– ينظر : النشر في القراءات العشر ، ص 161/1.

والقاف في عرف الأقدمين مجهورة بخلاف المحدثين، ولهذا عدّوها من أصوات القلقلة، وسمّيت هذه الأصوات بذلك، **"لأنّها إذا سكنت ضعفت، فاشتبهت بغيرها ، فيحتاج إلى ظهور صوت يشبه النبرة حال سكونها في الوقف وغيره وإلى زيادة إتمام النطق بها"**[1]، وكل هذا لا يمكن ردّه أو قبوله، لأنّ العرب الفصحاء قد انقرضوا ،و لم نعد نستطيع الوقوف على الطريقة الّتي كانوا يتبعونها في نطق هذا الصوت، ولكن وصف علماء اللغة له بالجهر ،يؤكد أنّها لم تكن كالقاف الّتي ننطق بها الآن ،بل عراه كثير من التطور حتّى أصبح كما نسمعه ونلهج به.[2]

وهذا الصوت ينتمي إلى مجموعة أصوات الاستعلاء، حيث يتمّ معه قرب اللسان من الجدار الخلفي للحلق، في نقطة فوق تلك الّتي تتصل بها ظاهرة التحليق ، ومن هنا لم يكن صوت القاف من الأصوات المفخمة تفخيما كاملا، وإنّما كان له بعض القيمة التفخيمية الذي جاء من وجود العنصرين الطبقي والحلقي في نطقه؛ ونطق **السديس** لصوت القاف مطابق لوصف المحدثين لها .

- **الأصوات الحلقية** : يصدر من الحلق كلٌّ من العين والحاء.

"وللعين والحاء المهملتان وسط الحلق، فالعين أبعدهما من الفم، والحاء أقربها إليه"[3]، وتتميز العين بنصاعتها ولذاذة مستمعها [4].

يقول **ابن سينا "فالعين يفعلها حفز الهواء مع فتح الطرجهالي مطلقا، وفتح الذي لا اسم له متوسطا وإرسال الهواء إلى فوق ليتردد في وسط رطوبة، يتدحرج فيها من غير أن يكون قبل الحفز خاصا بجانب."**[5]

---

[1]- عبد الغفار حامد هلال،أصوات اللغة العربية ، ص 154.

[2]- تمام حسان ،مناهج البحث في اللغة ، ص 125.

[3]- العيني ، شرح المراح في التصريف ، ص 171 ، وينظر : نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، ص 53 ، وأسرار العربية ، ص 359 ، والممتع ، ص 425 ، وشرح الشافية ، ص 251/3.

[4]-ينظر: سر الصناعة ،ص 79/1،والأزهري ، تهذيب اللغة ، ص 58/1.

[5]-ابن سينا ، رسالة أسباب حدوث الحروف ، ص 72.

لقد أدرك ابن سينا بقوله: "**إرسال الهواء إلى فوق، أنّ الهواء مع العين لا ينحبس ، بل إنّه يتدحرج في وسط رطب، ربما يقصد به أنّ الهواء يحتك بجدار الحلق، وإن كان ذلك صحيحا، فإنّ الفلاسفة أعطوا المخرج والصفة الصحيحة لصوت العين، على عكس ما وصفه به اللغويون**"[1].

وهي عند المحدثين صوت حلقي رخو مجهور مرقق، عند النطق بهذا الصوت تندفع كمية الهواء من الرئتين مرورا بالحنجرة، أين يتحرك معها الوترين الصوتيين، وحين يصل إلى وسط الحلق يضيق المجرى عند لسان المزمار، حيث نتوؤه إلى الخلف، حتّى ليكاد يلامس الحائط الخلفي للحلق، وفي هذه الأثناء يرتفع الطبق سادًّا المجرى الأنفي، فيندفع مؤلفا بنية هذا الصوت[2].

ولقد عدّ النحاة العرب صوت العين من الأصوات المائعة، "**وهي تلك الأصوات الّتي تعترض بين الرخوة والشديدة، فهي شديدة في الأصل، وإنّما يجري فيها النفس لاستعانتها بصوت ما جاورها من الرخوة، وفي حالة صوت العين فإنّ المتكلم يستعين عند اللفظ بها بصوت الحاء ، والتي يجري فيها الصوت لانحرافها واتصالها**"[3].

[1]–أمينة طيبي ، الدرس الصوتي عند الفلاسفة ، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في اللغة ، جامعة الجيلالي اليابس ، سيدي بلعباس ، 1425هـ-1426هـ/2004-2005 ، ص 98.

[2]–ينظر:عبد القادر عبد الجليل ، الأصوات اللغوية ، ص 181.

[3]–ينظر :المبرد ، المقتضب ، ص 225/1.

وإن كانت الأصوات المائعة تشترك في خصائص ليست موجودة في نطق العين، وأوضح هذه الخصائص حرية مرور الهواء في المجرى الأنفي أو المجرى الفموي دون سدّ طريقه أو عرقلة سيره بالتضييق عند نقطة ما، وقد اتضح بصورة الأشعة أنّ في نطق العين تضييقا كبيرا للحلق،وهذا ما دعا المحدثين إلى اعتبار صوت العين صوتا رخوا لامائعا[1].

ولعلّ السرَّ في عدّ القدماء صوت العين ضمن الأصوات المائعة، هوضعف مايسمع لها من حفيف بقربها من الميم والنون واللام، ممّا يجعلها من هذه الأصوات الّتي هي أقرب إلى طبيعة الصوائت.[2]

وجدير بالذكر أنّ الإحصاءات الّتي أجراها بعض المحدثين لجذور المعاجم العربية كالصحاح واللسان، والتّاج أثبتت أنّ العين تقع في المرتبة السادسة من الورود في الجذورالعربية بعد الراء والميم واللام والباء والنون، فالعين إن لم تكن فعلا من الأصوات المائعة فهي مثلها في كثرة الاستعمال وتحسين البناء[3].

وسنرى في المبحث الثالث كيف أنَّ تردد هذا الصوت في **سورة آل عمران** كبير، فلا تكاد تخلو آية من وروده، وقد وقع في جميع المواقع، في أول الكلمة وفي وسطها وفي آخرها ؛ ووَرد متلُوًا بمختلف الصوائت من فتح وضم وكسر ،كما أنه ورد ساكنا ؛ووقع مجاورا للأصوات من مختلف المخارج سوى الأصوات التي تشترك معه في الحيز،فإنَّها لم ترد مقترنة بها، ماعدا موضعين مع الحاء هما﴿ **الْمَسِيحُ عِيسَى**﴾[4]، ﴿ **فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ** ﴾.[5]

[1]–ينظر : تمام حسان،مناهج البحث في اللغة ، ص 130.

[2]–ينظر : إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص 89.

[3]– ينظر : أحمد محمد قدور ، مبادئ اللسانيات ، ص 79.

[4]– من الآية (185)من سورة آل عمران.

[5]– من الآية (45) من سورة آل عمران.

ثم صوت الحاء ،ويحدث احتكاك هذا الصوت في الفراغ الحلقي أعلى الحنجرة، إذيضيق المجرى الهوائي في هذا الموضع، بحيث يحدث مروره احتكاكا، يرفع الحنك اللين، ولا يتذبذب الوتران الصوتيان، فالحاء صامت مهموس رخو حلقي[1].

والحاء مثل العين في المخرج، ولا فرق بينهما إلاّ في الفرجة بين الغضروفين السافلين، إذ هي مع الحاء أضيق مع العين، كما أنّ الدَّفع فيها أقوى،حتّى إنّه يميل إلى الرطوبة إلى قدّام[2]،"**ولولا بحّة في الحاء لكانت عينا، ولأجل البحّة الّتي في الحاء ما يكررها الشارق في تنحنحه**"[3].

وهو صوت من أصوات العربية ذات الصعوبة في النطق على غير العرب، فكثير من غير العرب ينطقونها كما لو كانت خاء أو هاء.[4]

ولهذا يحرص القراء على تحقيق نطقه، إذا ما التقى بشيء من حروف الحلق ساكنا ومتحركا،في نحو قوله تعالى : ﴿ **فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ** ﴾[5]، ﴿ **الْمَسِيحُ عِيسَى** ﴾[6].

ففي الآية الأخيرة حرص الشيخ السديس على تحقيق نطق الضَّمة بعد الحاء حماية لها،ذلك أن الصَّائت حصانة وعدم وجوده يجعل الصوت عرضة للتَّأثر بما يجاوره.

- **الأصوات الحنجرية** :وهي آخر مجموعة وتضم كُلا من الهمزة والهاء.

ذكر **سيبويه** أنّ **أقصى الحروف مخرجا، الهمزة والهاء والألف**[7]، والظَّاهرمن ترتيب ترتيب سيبويه أنّ الهاء في أقصى الحلق أرفع من الهمزة ،والألف أرفع من الهاء ،ومذهب **الأخفش** أنّ الألف مع الهاء،لا قبلها ولا خلفها،واستدل **ابن جني** على صحة مذهب

---

[1]-ينظر:محمود السعران ، علم اللغة ، ص 178.

[2]-أمينة طيبي ، الدرس الصوتي عند الفلاسفة ، ص 99.

[3]-ينظر:ابن جني ،سر صناعة الإعراب ، ص254/1.

[4]-سلمان فياض،استخدامات الحروف العربية معجميا،صوتيا،صرفيا،نحويا،كتابيا،دار المريخ للنشر،الرياض،السعودية، 1418ه/1998م ص 46.

[5]- من الآية (185) من سورة آل عمران.

[6]- من الآية (45) من سورة آل عمران.

[7]-الكتاب ، ص 433/4.

سيبويه كون أنَّ تحرك الألف يؤدي إلى انقلابها همزة لا هاء ولو كانت الهاء معها لانقلبت هاء[1].

ووصف **ابن سينا الهمزة** ،فذكر"**أنّها تحدث من حفز قوي من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير، ومن مقاومة الطرجهالي الحاصر زمنا قليلا لحفز الهواء، ثمّ اندفاعه إلى الانقلاع بالعضل الفاتحة وضغط الهواء معا**"[2]، ووصفها **الخليل** "**بأنّها مهتوتة مضغوطة إذا رُفِّهَ عنها لانت**"[3]، ولعلّ معنى ذلك أنّها إذا وقع ضغط أو عسر على الهمزة ورفه عنها لانت وزالت عنها صفة القوة[4]، وأضاف بعضهم الهمزة إلى أصوات القلقلة، لأنّها مجهورة شديدة، وإن لم يذكرها الجمهور"**لما يدخلها من التخفيف حالة السكون ففارقت أخواتها، ولما يعتريها من الإعلال**"[5].

وقد أثبتت الدراسات الصوتية الحديثة ،أن الهمزة صوت مجهور

فالهمزة صوت حنجري شديد مرقق، يتم نطقه بإقفال الوترين الصوتيين إقفالا تاما وحبس الهواء خلفهما، ثم إطلاقه بفتحها فجأة .ويطلق على هذا الصوت عادة إصطلاح "وقفة حنجرية".[6]

وأخيرا **صوت الهاء**،وهي تلي الهمزة في المخرج، "**ولولا ههه فيها لكانت كالحاء لقربها منها**"[7]، وذكرها **كانتينو** ضمن الأصوات الهاوية،" **وهي الأصوات الّتي الإنفتاح فيها أكبر ما يكون، أي الّتي ينفتح فيها جهاز التصويت انفتاحا عاديا فيجري النفس جريا**"[8]، وهي في نظر **الخليل** أهمس الأصوات، لأنّها عبارة عن نفس، وهي عند القدامى

[1]-ينظر:سر الصناعة 60/1.
[2]-رسالة أسباب حدوث الحروف ، ص 72.
[3]-العين ، 58/1 و64.
[4]-محمد علاء جبر،المدارس الصوتية ، ص 41.
[5]-النشر في القراءات العشر ، ص 161/1.
[6]- ينظر : مناهج البحث في اللغة ، ص125.
[7]- شرح المفصل ، ص 124/10.
[8]-جان كانتينو ، دروس في علم الأصوات العربية ، ص 31.

"**صوت مهتوت، لما فيها من الضعف والخفاء.**"[1]وعدّها **محمود السعران** صوائت مهموسة، أي صوائت يصحبها همس لا جهر[2]،

وهي عند **تمام حسان** "**صوت مجهور نتيجة لوقوع الوترين الصوتيين في مرحلة منتصف الطريق بين الجهر والهمس، فإذا مرّ الهواء بينهما كان لاحتكاكه بهما أثر صوتي لا هو بالحِسِّ، ولا هو بالتنفس، هذا الأثر الصوتي فيه بعض الذبذبة. ولكن هذا الصوت المجهور قد يُهمس إذا وليه آخر مهموس ، كما في (يهفو) ، أمّا إذا تلاه صوت مجهور، بقي على جهره ، ويعطي قُرَّاء القرآن في عناية خاصة لجهر هذا الصوت، حتّى يبلغون به حدّ المبالغة أحيانا.**"[3]

وهذه ملاحظة دقيقة جدا، فالسديس يحرص حرصا شديدا على نطق الهاء مجهورة، لاسيما إن وردت ساكنة أو اتصلت بصوت مهموس نـــحو ﴿اهْتَدَوْا﴾ ،[4]﴿اشْهَدُوا﴾ [5] ﴿مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾[6]، ﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾.[7]

إنّ التنوعات الصوتية لمجموع الأصوات العربية ،اشتمل عليها النص القرآني ممثلا في سورة آل عمران ، على أنّ بعض التنوعات الّتي تجري في إطار اللهجات كجهر الهاء في لهجة القاهرة ، هي ممّا لا ينطبق على النص القرآني ، وأكثر الأصوات تنوعا هي صوت النون ، ولعلّ ذلك مردّه إلى كثرة وروده في العربية عامة وفي القرآن الكريم خاصة. وسيتضح في المبحث الثالث النسبة العالية الّتي تحتلها النون في مقدار أصوات سورة آل عمران ، ثمّ إنّ الراء تحمل عديد التنوعات -مما ذكرناه في ماسلف-،إلاّ أنّها مما لايعني العربية بل هي أشكال صوتية للراء تختلف باختلاف اللغات، وعدّ الرازي اللام المرققة صوتا مستقلا عن صوت اللام المفخمة مما يستلزم انفراد كل منهما برمز كتابي خاص به ،

[1]-العيني ، شرح المراح ، ص 174.
[2]-محمود السعران ، علم اللغة ، ص 178.
[3]-مناهج البحث في اللغة ،ص131.
[4]- من الآية (20) من سورة آل عمران.
[5]- من الآية (64) من سورة آل عمران.
[6]- من الآية (118) من سورة آل عمران.
[7]- من الآية (177) من سورة آل عمران.

إنّما هو من الأفكار الرائدة الّتي تفتح مجالا للزيادة في أصوات العربية ووضع أبجدية انطلاقا مما يُسمع لا مما يلفظ.

إنّ قراءة القرآن الكريم بمجموع ضوابطها ومعاييرها تعدّ المعيار السليم في نطق الأصوات ، ويجري على أساسها الوصف العضوي لمخارج الأصوات ، بل إنّ أسلوب القدامى في الحث على تحقيق صوت من الأصوات والتحذير من إفنائه في مجاوره في حالة ما إذا كان أقوى منه ، نبه على فكرة وجوب أن يُشْكَل الصوت الفاني-إن صحّ التعبير- بالسكون بحيث يتصل الصوت بما جاوره اتصالا مباشرا لا يفصل بينهما فاصل لذلك فالقراء حريصون عل تمكين النطق بالصوت الساكن على اعتبار أنه في حالة ضعف، كما أن موقع الصوت في البناء المقطعي ، قد يؤثر في شيئ من خصائصه الصوتية .

هذه أحوال الصوامت في **سورة آل عمران** وسنحاول في المبحث الموالي تتبع الصوائت وبيان توصيفها في السورة محلّ الدراسة.

ثانيا- مخارج الأصوات الصائتة ونصف صائتة الواردة في سورة آل عمران وتنوعاتها الصوتية :

نسعى في هذا المبحث إلى التَّعرف على القسم الثاني من الفونيمات التَّركيبية، التي تشكل بنية اللغة العربية، ونعني بها الأصوات الصَّائتة، مع محاولة استكشاف خصائصها وأحوالها من خلال سورة آل عمران، وإن كنَّا آثرنا إدراج أنصاف الصوائت مع الصَّوائت،فذلك لما تتميَّز به هذه المجموعة من خواص صوتية تقربُهامن المصوِّتات.وسنراعي في كل ذلك قراءة الشيخ السديس لهذه الأصوات في السورة محلَّ الدراسة .

1-الأصوات الصائتة

الصَّائت اصطلاحا :عند القدامى "هو تحريك العضو الذي هو الشفتان عند النُّطق بالصوت الذي هو الحرف"[1]،وقد فطن **الدؤَّلي**(ت:69ه) إلى عمل العضو الظاهر في إنتاج هذه الصوائت قائلا:"**إذا رأيتني فتحت فمي بالحرف،فانقط نقطة فوقه على علاه،وإن ضممت فمي ، فانقط النقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة نقطتين**". [2]

فالدُّؤلي حدَّد مواضع الصَّوائت في الكلام من خلال حركة الشفتين أثناء نطقهما، وجعل النقطة رمزا كتابيا يدل عليها.

وفصَّل **الرازي** في عمل هذا العضو فقرّر أنّه: "**من أراد أن يتلفظ بالضمة، فإنّه لابدّ له من ضمّ شفتيه أوّلا ثمّ رفعهما ثانيا، ومن أراد التلفظ بالفتحة، فإنّه لابدّ له من فتح الفم بحيث تنتصب الشفة العليا عند ذلك الفتح، ومن أراد التلفظ بالكسرة فإنه لابدّ له من فتح الفم فتحا قويا، والفتح القوي لا يحصل إلاّ بانجرار اللحي الأسفل وانخفاضه ، فلا جزم سمي ذلك جرا وخفضا وكسرا.**"[3]

فكل من الدؤَّلي وفخر الرازي، تفطَّن إلى دور الشفتين في إصدار الصَّوائت من فتح وضم وكسر ،إلا أنهما لم يشيرا إلى وضع اللسان عند إصدار هذه الأصوات، وهو الأساس

---

[1]- ينظر:السهيلي أبي القاسم (ت581هـ)، نتائج الفكر،تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود ،علي محمد عوض ،دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ،ط1416،1هـ/1992م،ص66.

[2]- ابن النديم محمد ابن إسحاق أبي الفرج ، الفهرست ، دار المعرفة ، بيروت ، 1398 ه/1970م ، ص 60/1.

[3]-الرازي ، التفسير الكبير ، ص 56/1.

في تمييز كل صائت عن الآخر، فهم لاحظوا دور العضو البارز في إنتاجها، دون بقية العمليات العضوية.

وقد سماها **الخليل** بالأصوات الهوائية[1]، لأنّهن أصوات لا يعتمدن على مكان حتّى يتصلن بالهواء[2]، وفي تسميته الخليل للصوائت بالهوائية أتى بأهمّ خاصة من خواصها ، وهي حرية مرور الهواء في حالة النطق بها، فلا يقف في طريقها عائق ولا يتعلق بها شيء حسب عبارته[3].

فهي أصوات انطلاقية، تخرج من منطقة الفم [4]، فعند إنتاج الصوائت ينفتح الفراغ الفموي بوجه عام، ويكون حرا من العقبة بالقياس إليه عند إنتاج الأصوات الصَّامتة، ولكنّه مع ذلك يوجد شيء من الانقباض نتيجة وضع اللسان والشفتين.[5]

"فالصَّوائت(*) الّتي تحدث نتيجة مدّ جسم اللسان تسمى صوائت أمامية، والصوائت الّتي تحدث نتيجة انكماش جسم اللسان تسمى صوائت خلفية، والصوائت الّتي تحدث نتيجة عدم مدّ أو انكماش اللسان تسمى صوائت مركزية، والصَّوائت الّتي تحدث عندما يكون اللسان قريبا من السقف الحنكي، مع ضيق فتحة الفك هي صوائت عالية، وتلك الّتي تحدث بنطق أكثر انفتاحا، هي صوائت منخفضة، وتلك الّتي تحدث باللسان مرتفعة ارتفاعا متوسطا مع انفتاح الفك هي صوائت متوسطة والصَّوائت المتوترة والتي تشمل التوتر أعصاب القصبة الهوائية أثناء نطقها، والصَّوائت الّتي تنطق بقليل من التوتر هي صوائت مسترخية."[6]

---

[1]- ينظر:العين ، ص 57/1.

[2] -النشر في القراءات العشر ، ص 158/1.

[3]- ينظر:عبد الفتاح المصري ، الصوتيات عند ابن جني ، مجلة التراث العربي ، دمشق ، العدد 15 ، 1984م ، ص 246.

[4]- ينظر:عبد الصبور شاهين،المنهج الصوتي للبنية العربية (رؤية جديدة في الصرف العربي)، مؤسسة الرسالة، 1980م ،ص 168.

[5] -ماريو باي ، أسس علم اللغة ، ص 79.

[(*)]-اعتمد في ضبط هذه الحالات على المعايير الّتي وضعها دانيال جونز لتحديد الحركات في كل اللغات البشرية ، ينظر: عبد الغفار حامد هلال ، أصوات اللغة العربية ، ص 112 و غيره.

[6]- ينظر: الدين الراجحي ،سامي عياد حنا ، مبادئ علم اللسانيات الحديث ، تقديم : عبد الراجحي، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2003م ، ص 214.

ويمثل الوتران الصوتيان المصدر الرئيس في إنتاج الصَّوائت فهي أصوات مجهورة،[1] وقد أشار **السَّعران** إلى وضع الوترين الصوتيين عند نطق الأصوات المجهورة بقوله:"**يتضام الوتران الصوتيان بشكل يسمح للهواء المندفع خلالهما أن يفتحهما ويغلقهما بانتظام وبسرعة فائقة، وهذا يسمى تذبذب الوترين الصوتيين.**[2]

وليس المقصود بتضام الوتران الصوتيَّان إلصاقهما، بل المقصود بذلك توازي الوترين الصوتيين مع ضيق المسافة بينهما، فيعمل الهواء المندفع على ذبذبتهما حسب دفعات الهواء المنطلقة وكيفية التحكم فيها[3]، فهي أعلى الأصوات جهرا، ولذا عدّت أعلاها إسماعا[4].

فالصائت هو ذلك الصوت المجهور الذي يحدث في أثناء النطق به أن يمرّ الهواء حرّا طليقا خلال الحلق والفم، دون أن يقف في طريقه وحائل أو عائق، ودون أنّ يضيق مجرى الهواء ضيقا من شأنه أن يحدث احتكاكا مسموعا[5].

ونعتها القدماء حينا بحروف المدّ واللين وحينا آخر بحروف العلة،" **فأمّا حروف المدّ واللين فلأن وجودها يحتاج إلى مدّ الصوت ولينه**"،[6]ومعنى المعتلة أنّها "**حروف تتغير بانقلاب بعضها إلى بعض بالعلل الموجبة لذلك.**"[7]

ومعلوم أنّ **ابن جني** نصّ على "**أنّ الحركات أبعاض حروف المدّ واللين ، وهي الألف والياء والواو، فكما أنّ هذه الحروف ثلاثة،فكذلك الحركات ثلاثة،وهي الفتحة والكسرة والضمّة؛ فالفتحة بعض الألف،والكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو**"[8].

---

[1]–ينظر:زيد خليل القرالة،الحركات في اللغة العربية (دراسة في التشكيل الصوتي)، عالم الكتب الحديث، إربد،الأردن،2004، ص 12.

[2]–محمود السعران ، علم اللغة ، ص 137.

[3]–زيد خليل القرالة ، الحركات في اللغة العربية ، ص 12.

[4]–عبد الصبور شاهين ، المنهج الصوتي للبنية العربية ، ص 168.

[5]– كمال بشر ، فنّ الكلام ، ص 198.

[6]–العيني ، شرح المراح في التصريف ، ص 85.

[7]–الأنباري ، أسرار العربية ، ص 363.

[8]– ابن جني ،سر الصناعة ص33/1.

فالفارق بين الفتحة والألف عند القدامى وبين الضمة والواو، وبين الكسرة والياء لا يعدو أن يكون فرقا في الكمية، فمدُّ الفتحة ينتج عنه الألف، والأمر نفسه بالنسبة للضمة والكسرة .

وإن قرَّر المحدثون أنّ الخلاف بين الصَّوائت الطويلة والصَّوائت القصيرة ليس خلافا في الكمية فقط، وإنّما في الكيفية كذلك[1]، وهذا أمر طبيعي، إذ الجهد المبذول في الطويلة أكثر منه في القصيرة،وهذا الجهد يستدعي انقباض العضلات النطقية بشكل أكبر، وخاصة عضلات اللسان، مما يؤدي إلى تراجع اللسان للخلف بعض الشيء في الصَّوائت الطويلة[2].
الطويلة[2].

على أنّ الصَّوائت يزددن طولا عن مدّهن الطبيعي انطلاقا مما يجاورهن من أصوات، فالهمزة توجب الزيادة في المدّ[3]، يقول **المكي بن أبي طالب:"هذه الحروف خفيَّة، خفيَّة، والهمزة حرف جلد؛ بعيد المخرج، صعب في اللفظ، فلمَّا لاصقت خفيًّا خيف عليه أن يزداد بملاصقة الهمزة له خفاءا فبيَّن بالمدِّ ليظهر، وكان بيانه بالمدِّ أولى، لأنه يخرج من مخرجه بمدٍّ، فبيَّن بما هو منه "**[4].

وإطالة الصَّائت في هذه الحالة محافظة عليه لئلا يتأثر بمجاورة الهمزة أو الإدغام لأنّ الجمع بين الصَّائت والهمزة كالجمع بين متناقضين، إذ الأوّل يستلزم أن يكون مجرى الهواء معه حرا طليقا، وأن تكون فتحة المزمار حين النطق به منبسطة منفرجة، في حين أنّ النطق بالهمزة يستلزم انطباق فتحة المزمار انطباقا محكما يليه انفراجهما فجأة، فإطالة الصَّائت مع الهمزة يعطي المتكلم فرصة ليتمكن من الاستعداد للنطق بالهمزة الّتي تحتاج إلى مجهود عضلي كبير، وإلى عملية صوتية تباين كل المباينة الوضع الصوتي الذي تتطلبه الصَّوائت.[5]

---

[1]- ينظر : أحمد مختار عمر ، دراسة الصوت اللغوي ، ص 329.

[2]- الحركات في اللغة العربية ، ص 23.

[3]- ابن باذش أبي جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري (ت:540 ه) الإقناع في القراءات السبع ، تحقيق وتقديم : عبد المجيد قطامش ، دار الفكر ، دمشق ، ط1 ، 1403 ه ، ص 468/1.

[4]-الكشف عن وجوه القراءات ،ص130/1،131.

[5]- عبد الغفار حامد هلال ، أصوات اللغة العربية ، ص 95-96.

وكذلك يزددن طولا إذا وقع المشدّد بعدهنّ،"**وذلك لأنّهن سواكن وأوّل المثلين مع التشديد ساكن،فيجفوعليهم أن يلتقي السَّاكنان حشوا في كلامهم فحينئذ ينهضون بالألف بقوة الاعتماد عليها، فيجعلون طولها ووفاء الصوت بها عوضا عمّا كان يجب لالتقاء الساكنين من تحريكها،إذا لم يجدوا عليها تطرقا ولابالاستراحة إليه تعلقا.**"[1]

ويدعم هذا التفسير مع يلتزم به القراء من المدّ في تلاوة الذكر الحكيم، فمما ورد من مدّ حرف إذا تلاه همزة في تلاوة **السديس لسورة آل عمران** ما يلي:﴿ ابْتِغَاءَ﴾[2]، ﴿ أُولَئِكَ﴾ [3]، ﴿ قَائِمًا ،الْمَلائِكَةُ ﴾،[4]﴿ مَا جَاءَهُمُ ﴾ [5] ، ﴿ لا إِلَهَ إِلا هُوَ ﴾،[6]﴿ إِلا أَيَّامًا ﴾،[7] ﴿أَوْلِيَاءَ ، إِلا أَنْ ﴾ ،[8]﴿ سُوءٍ ﴾ ،[9] ﴿ مِنِّي إِنَّكَ ﴾ [10]﴿ إِنِّي أُعِيذُهَا ﴾،[11] ﴿ لِي آيَةً ﴾،[12] ﴿ بَنِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾[13] ، ﴿أَنِّي أَخْلُقُ ﴾[14]،﴿ كَفَرُوا إِلَى﴾،[15]﴿وَاكْفُرُوا آخِرَهُ ﴾ [16]، ﴿وَلا تُؤْمِنُوا إِلا﴾ [17]،﴿آمَنُوا إِنْ﴾،[18] ﴿ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾[19].

ومنه إذا وقع المشدّد بعده قوله تعالى: ﴿الم[20]﴾،﴿حَاجُّوكَ﴾[1]،﴿ تُحَاجُّونَ﴾، [2] ﴿الضَّالُّونَ﴾[3].

---

[1]- ابن جني ، الخصائص ، ص 26/3.

[2]- من الآية 2(7) من سورة آل عمران.

[3]- من الآية (10) من سورة آل عمران.

[4]- من الآية (18) من سورة آل عمران.

[5]- من الآية (19) من سورة آل عمران.

[6]- من الآية (18) من سورة آل عمران.

[7]- من الآية (24)من سورة آل عمران.

[8]- من الآية (28)من سورة آل عمران.

[9]- من الآية (30) من سورة آل عمران.

[10]- من الآية (35) من سورة آل عمران.

[11]- من الآية (36) من سورة آل عمران.

[12]- من الآية (41) من سورة آل عمران.

[13]- من الآية (49) من سورة آل عمران.

[14]- من الآية (49) من سورة آل عمران.

[15] - من الآية (55)م ن سورة آل عمران.

[16] - من الآية (72) من سورة آل عمران.

[17]- من الآية (73) من سورة آل عمران.

[18]- من الآية (100)من سورة آل عمران.

[19]- من الآية (117)من سورة آل عمران.

[20]- من الآية (01) من سورة آل عمران.

وحقيقة النطق بذلك "**أن تمدّ الأحرف الثلاثة ضعفي مدّهن في الضرب الأوّل والقراء يقدرون ذلك مقدار الألفين إن كان حرف المدّ ألفا ، ومقدار ياءين إن كان ياء ومقدار واوين إن كان واوا لما دخلته زيادة التمكين**"[4].

وقد يصل هذا المدّ إلى ست(6)حركات لزوما.

إضافة إلى ذلك، فإنّ الصَّائت المتبوع بصامت مجهور أطول من الصَّائت المتبوع بصامت مهموس، مما جاء من ذلك في سورة آل عمران من الصَّائت المتبـــوع بصامت مجهور قوله تعالى: ﴿ الْقَيُّومُ ﴾[5]،﴿ الإِنْجِيلَ﴾[6]،﴿ الْمِيعَادَ ﴾[7]،﴿ الْوَهَّابُ﴾[8]،﴿النَّارِ﴾[9]، ﴿الْعِقَابِ﴾،[10]،﴿ الْمِهَادُ﴾[11]،﴿ الأبْصَارِ﴾[12]، حيث يقع المد في مثل هذه الحالات ما بين صائتين أو أربع أو ستّ صوائت جوازا، في حين أنّ الصَّائت المتبوع بصامت مهموس يصل المدّ فيها إلى صائتين فقط نحو: ﴿ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾[13]، ﴿ تُقَاتِلُ﴾[14] ،﴿ الْقَنَاطِيرِ ﴾[15].

وكلُّ هذه التغيُّرات ضبطها علماء التجويد ورسموا حدودها فبيَّنوا مواضع المد بحركتين وبأربع وبست ،وغيرها مما لا يتَّسع له المقام هنا .

---

[1]– من الآية (20) من سورة آل عمران.

[2]– من الآية (66) من سورة آل عمران.

[3]– من الآية (90) من سورة آل عمران.

[4]– الداني ، التحديد في الإتقان والتسديد، في صنعة التجويد ، ص 210 ، 211.

[5]– من الآية (02) من سورة آل عمران.

[6]– من الآية (03) من سورة آل عمران.

[7]– من الآية (09) من سورة آل عمران.

[8]– من الآية (08) من سورة آل عمران.

[9]– من الآية (10) من سورة آل عمران.

[10]– من الآية (11) من سورة آل عمران.

[11]– من الآية (12) من سورة آل عمران.

[12]– من الآية (13) من سورة آل عمران.

[13]– من الآية (07) من سورة آل عمران.

[14]– من الآية (13) من سورة آل عمران.

[15]– من الآية (14) من سورة آل عمران.

- **الفتحة** :وهي أولى صوائت العربية وأكثرها شيوعا، وهي أول الصوائت وأدخلها في الحلق[1] ، "**فالألف تجد الحلق والفم ، معها منفتحتين غير معترضتين على الصوت بضغط بضغط أو حصر**"[2]. ومن أجل حرية مرور الهواء أثناء إنتاجها "**وُصفت بأنّها صوت هاوي ، نتيجة اتساع مخرجها لهواء الصوت أشدّ من اتساع مخرج الياء والواو**"[3].

فالفتحة هي ذلك الصوت الذي ينخفض اللسان حال النطق به إلى أقصى حدّ ممكن وتكون الشفتان في نطق هذا الصوت غير مضمومتين[4]، فاللسان مع الفتحة يكون مستويا في قاع الفم مع ارتفاع خفيف في وسطه ،حيث يبقى الفم مفتوحا بشكل متسع[5]، كما أنّ غرفة الرنين تكون أوسع ، فيتوفر للصوت من القوة في هذه الحالة ما لايتوفر في الضمة والكسرة[6]،وإنّ أيسر الصَّوائت هي الفتحة، ولذا كانت نسبة الأصوات المفتوحة أعلى من نسبة غيرها[7].

كما أنّ الفتحة تحتل المرتبة الأولى بين الصَّوائت من حيث نسبة التفخيم فيها، فالفتحة صائت وسطي ، فإذا سبقها أو تبعها مفخم فهي أقرب إلى التفخيم.[8]

فالفتحة(a) : صائت قصير، أمامي، منفتح، غير مستدير، فموي، وينطبق هذا الوصف على الفتحة المرققة في العربية الفصحى، أما الفتحة المفخمة – وهي فرع من الفتحة الأساسية– صائت خلفي قصير، فيه استدارة، منفتح، فموي[9]،"**فالأصل فيها أن يلفظ بِها أينما وقعت غير مفخمة، ولا مُمالة، ولا يُميلها إلا برواية، ولا يغلظ اللفظ بِها إلا برواية ويلزم في لفظها التوسط أبدا**"[10] .

---

[1]–ابن جني ، سر صناعة الإعراب،ص68/1.

[2]–نفسه ، ص 21/1.

[3]– سيبويه ، الكتاب ، 435/4 ،وينظر:سر صناعة الإعراب،ص76/1. شرح الشافية ، ص 261/3 وشرح المراح ، ص 174.

[4]– ينظر:كمال بشر ، علم اللغة العام – الأصوات ، ص 152.

[5]– عبد القادر عبد الجليل ، الأصوات اللغوية، ص 209.

[6]–عبد الصبور شاهين ، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ، ص 377.

[7]– عبد الحميد حسن ، الألفاظ اللغوية خصائصها وأنواعها ، دار الكتب ، 1971 ، ص 17.

[8]–ينظر : زيد خليل ، الحركات في اللغة العربية ، ص 70.

[9] أحمد محمد قدور ، مبادئ اللسانيات ، ص 94.

[10] المكي القيسي ، الرعاية في تجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ، ص 161.

فمن قراءة الفتحة مفخمة في قوله تعالى: ﴿ابْيَضَّتْ﴾،[1] ﴿ يُنْصَرُونَ﴾ ،[2] ﴿ بِغَضَبٍ﴾ [3]، [3] ، ﴿الصَّالِحِينَ﴾ [4] ،وسمعتها مرققة في نحو قوله سبحانه وتعالى:﴿ رَحْمَةِ﴾ ،[5]﴿ أَذًى﴾ [6] ﴿ الْمَسْكَنَةُ﴾ ،[7] ﴿ سَوَاءً﴾ [8]

- **الكسرة:**

يصف الفرَّاء صائت الكسر بقوله :" **فإنما يستقل الضم والكسر لأن مخرجيهما مؤونة على اللسان والشفتين، تنضم الرفعة بهما، فيثقل الضم ويمال أحد الشدقين إلى الكسرة**"[9]

والكسرة تتطلب أن يأخذ الحلق والشفتان وضعا خاصا لانتاجهما إضافة لوضع اللسان، فالحلق ينقبض، ويضيق مجرى الهواء به عن وضعه الطبيعي والشفاه تنفرج بما يناسب وضع الكسرة[10] ؛فهي بهذا قريبة من الصَّائت المعياري رقم/01/ i ، حيث يرتفع اللسان حال النطق بها اتجاه الحنك الأعلى إلى أقصى حد ممكن، مع بقاء هذا الصوت صائتا ، أي بحيث إذا ارتفع اللسان أكثر من ذلك ضاق المجرى إلى درجة ينتج عنها حفيف مسموع، وتكون النتيجة إصدار صوت آخر هو الياء وتكون الشفتان حال النطق بهذا الصَّائت منفرجتين[11].

فالكسرة حسب ما ينطق القراء في **قراءة حفص**، تشبه الرمز الأجنبي/i/ إلا أنه يلاحظ أن ارتفاع اللسان مع الكسرة أقل من ارتفاعه مع الحرف /i/، ذلك يلاحظ أن أعلى نقطة في مقدمة اللسان حين النطق بالكسرة لا تكون متحدة مع أعلى نقطة في

---

[1]- من الآية (107) من سورة آل عمران.

[2]- من الآية (111) من سورة آل عمران.

[3]- من الآية (112) من سورة آل عمران.

[4]- من الآية (114) من سورة آل عمران.

[5]- من الآية (107) من سورة آل عمران.

[6]- من الآية (111) من سورة آل عمران.

[7]- من الآية (112) من سورة آل عمران.

[8]- من الآية (113) من سورة آل عمران.

[9]- الفراء ، معاني القرآن ، ص 13/2.

[10]- زيد خليل ، الحركات في اللغة العربية ، ص 16.

[11]- كمال بشر ، علم اللغة العام – الأصوات ، ص 140.

المعيارية الأصلية، ولكنها تكون خلفها، فهي وإن كانت صائتا أمامي ليست منطبقة على الصَّائت المعياري في هذا الوصف[1].

وهذا الاختلاف عادة ما يحدث حين تتأثر الكسرة بأصوات التفخيم (الصاد، الضاد، الطاء، الظاء)) ،إذ يلاحظ ميل هذا الصوت قليلا نحو ذلك المقياس الذي يرمز إليه بالرمز(e) ويحدث هذا بصفة خاصة مع أصوات الإطباق، وهدا التغير غير مقصود لذاته، بل يحتمه انتقال اللسان من وضعه الأمامي الضيق إلى ما تتطلبه أصوات الإطباق من صعوده نحو الحنك الأعلى متخذا شكلا مقعرا[2].

وإن ذهب بعض الدارسين ،إلى أن الكسرة هي من تجذب أصوات الإطباق إلى مخرجها مبررا بذلك قلة التفخيم فيها، يقول :"**ومما يساعد على قلة التفخيم في الكسرة نسبة إلى الصَّائتين الأخريين قوة الكسرة، وجذبها للأصوات المفخمة في نقل مخرجها نقلا جزئيا، فموضع اللسان عند إنتاج الأصوات المفخمة المجاورة لحركة الكسرة، يتقدم للأمام بعض الشيء ولكنه يبقى ضمن إطار مخرجه**"[3].

و يظهر الفرق واضحا في قراءة الشيخ السديس لصائت الكسر المفخم مع الأصوات المفخمة تفخيماكليا أو الأصوات المفخمة تفخيما جزئيا، وقراءته لها مرققا مع باقي الأصوات الأخرى وذلك في نحو قراءته لقوله تعالى :﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[4] ،وقوله :﴿ وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾[5] ،وقوله عزَّ وجل : ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[6]

[1]–عبد الغفار حامد هلال ، أصوات اللغة العربية ، ص 117.

[2] –إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص 40- 41.

[3] –ينظر:زيد خليل ، الحركات في اللغة العربية ، ص 71.ويراجع المبحث الأول (صوت الغين) ص 47

[4]–من الآية (118)من سورة آل عمران.

[5]–من الآية (119)من سورة آل عمران.

[6]– من الآية (121)من سورة آل عمران.

- **الضـــمة:**

تكون الضمة مع مجموعة أخرى من الصَّوائت ،مجموعة تسمى بالصوائت الخلفية نسبة إلى الجزء الخلفي من اللسان، ذلك أن الجزء الخلفي من اللسان يرتفع تدريجيا اتجاه الحنك الأقصى بنسب متقاربة بحيث يصل إلى درجة من الارتفاع تسمح بمرور الهواء من غير أن يحدث أي حفيف مسموع، إذ لو ارتفع مؤخر اللسان أكثر من ذلك كانت النتيجة خروج صوت الواو[1]، "**ثم تضم لها معظم الشفتين، وتدع بينهما بعض الانفراج ليخرج فيه النفس**"[2].

فالضمة تمتاز بخاصيتين: خلفية، مستديرة، والمقصود بالاستدارة أن الشفتين تكونان عند النطق بها مستديرتين (بينما تنفرجان عند النطق بالكسرة والفتحة)، وهذه الخاصية المزدوجة بالنسبة للضمة أي الخلفية في مستوى الحلق والاستدارة في مستوى الشفتين، تجعل نطقها أثقل من نطق الصَّائتين الأخريين، ولاسيما الفتحة الّتي هي أخفها[3].

ويشير علماء العربية القدماء إلى هذه الخاصية حيث نقل عن **الخليل** ما مفاده أن رجلا قال له :"**لا أجد بين الحركات فرقا**، فقال له **الخليل : ما أقل ما يميز أفعاله، أخبرني بأخف الأفعال عليك، فقال :لا أدري، قال : أخف الأفعال عليك السمع، لأنك لا تحتاج فيه إلى استعمال جارحة، إنما تسمعه من الصوت وأنت تتكلف في إخراج الضمة إلى تحريك الشفتين مع إخراج الصوت، وفي تحريك الفتحة على تحريك وسط الفم مع إخراج الصوت، فما عمل فيه عضوان أثقل مما عمل فيه عضو واحد**[4].

ويشرح الرازي هذه الميزة، بالمقارنة بمدى العمل الذي تؤديه أعضاء النطق في إنتاج الكسرة والفتحة، فذكر "**أن أثقل الحركات الضمة لأنها لا تتم إلا بضم الشفتان، ولا يتم ذلك إلا بعمل العضلتين الصلبتين إلى طرفي الشفة، وأما الكسرة فإنه يكفي في**

[1] -كمال بشر ، علم اللغة العام – الأصوات ، ص 141.

[2] -ابن جني ، سر صناعة الإعراب ، ص 21/1.

[3]- الطيب بكوش ، التصريف العربي من خلال علم الأصوات ، ص 50.

[4]- السيوطي جلال الدين (ت: 911 ه) ، الأشباه والنظائر في النحو ، تحقيق : محمد عبد القادر الفاضلي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت، بيروت، ط1 ، 1420 ه/1999م ، ص 179/1.

تحصيلها العضلة الواحدة الجارية، ثم الفتحة يكفي فيها عمل ضعيف لتلك العضلة، وكما دلت هذه المعالم التشريحية على ما ذكرناه، فالتجربة تظهره أيضا"[1].

فعلماء العربية قرَّروأن الضمة أيسر في نطقها من الضَّمة وأنَّ العملية العضوية التي يتطلبها إصدارصوت الضمة أكبر من نظيرتها لإصدار صائت الفتح ،وإن كانت ملاحظاتهم لم تتعدَّى عمل الشَّفتين في إصدار كلٍّ منهما.

ثم إنَّ درجة الشبه بين الضمة والكسرة تزيد على تسعين في المائة، والفرق بينهما يكمن في منطقة تحتوي على أقل من عشر في المائة من الاختلاف، وقد نتج هذا التقارب من ناحية عضوية، لأن وضع اللسان يكون أضيق ما يكون فيها، فهو في الكسرة مطبق تقريبا، لجزئه الأمامي على منطقتي اللثة والغار، وهو في الضمة مطبق بجزئه الخلفي على منطقة الطبل، فكمية الهواء التي يسمح لها بالانطلاق في هاتين الحالتين تكاد تكون متساوية ، ولكن شكل غرفة الرنين في الفم هو الذي يُحدث الفرق بينهما في الطابع[2].

وعلى ذلك ليست الضمة عدوّة للكسرة ، كما يتردّد في بعض كتب العربية، بل هما من فصيلة واحدة ، وذلك على العكس من صوت الفتحة الذي يعد قسيما للضمة والكسرة وله ظواهره وأحكامه الخاصة[3].

والضمة تحتاج إلى جهد عضلي أكثر مقارنة بالكسرة ، لأنّها تتكون بتحرك أقصى اللسان ، في حين أنّ الكسرة تتكون بتحرك أدنى اللسان، وتحرك أدنى اللسان أيسر من تحرك أقصاه[4].

وإن كانت الضمة تتفوق على الكسرة في صيغة صرفية مثل (**فعَل يَفعُل**) على حساب (**فَعَل يفعِل**) ، ففي سورة آل عمران وردت صيغة يفعِل حوالي اثنين وخمسين مرّة منها :

[1]–الرازي ، التفسير الكبير ، 74/1، وينظر : شرح المراح ، ص 87.

[2]–عبد الصبور شاهين ، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ، ص 377.

[3]–رمضان عبد التواب ، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، ص 94.

[4]– إبراهيم أنيس ، في اللهجات العربية ، ص 85.

﴿ كَافِرَةٌ﴾،﴿خَالِدِينَ﴾، ﴿ الصَّادِقِينَ﴾ ،﴿ الْقَانِتِينَ ﴾، ﴿ قَائِمًا﴾ ، ﴿ نَاصِرِينَ﴾ ،﴿ الْكَافِرِينَ﴾، ﴿ قَائِمٌ﴾ ، ﴿ أَنْصَارِي﴾ ،﴿ أَنْصَارُ ﴾ ، ﴿ الْمَاكِرِ﴾ ، ﴿ الصَّالِحَاتِ﴾ ، ﴿ الظَّالِمِينَ﴾ ،[1]

في حين أنّ صيغة (يفعُل) لم يتجاوز التسعة عشر مرّة: ﴿ الصَّابِرِينَ ﴾ ،﴿ مَالِكَ﴾، ﴿ عَاقِرٌ﴾ ﴿ الظَّالِمِينَ ﴾ ،﴿ الْكَاذِبِينَ﴾ ،﴿ الضَّالُّونَ﴾ ، ﴿ الظَّالِمُونَ﴾ ، ﴿ خَائِبِينَ﴾ ، ﴿ ظَالِمُونَ﴾ ﴿ الْكَاظِمِينَ ﴾ ، ﴿ غَالِبَ﴾ ، ﴿ لِلظَّالِمِينَ﴾ ، ﴿ لِلأَبْرَارِ﴾ [2].

ويعلّل بعضهم لذلك بأنَّ للضمة مخرجين، فهي خلفية ولكنّها أيضا أمامية من جهة استدارة الشفتين عند النطق بها، فتكون بذلك مناسبة لـــجُلِّ الأصوات بينما الكسرة الأمامية قد لا تلائم إلاّ الأصوات المجاورة لها[3].

وعلى الرغم من ذلك تبقى نسبة تواتر الكسرة في الكلام العربي عموما أكبر من نسبة الضمة، ولعل ما يتطلبه إنتاج الضَّمة من جهد مقارنة بالكسرة ،هو أفضل تعليا لهذا التفوق؛ والذي سنجده متمثّلا كذلك في إحصائنا لصوائت سورة آل عمران كما سنرى فيماسيتقدم..

[1]–من الآيات (13)، (15، 88، 136، 198)، (17)، (17)، (18،75)، (22، 56، 91)، (28، 32، 141، 147)، (39، 46، 114)، (39) ، (52) ، (52) ، (54)، (57).من سورة آل عمران.

[2]– من الآيات (17، 142 ، 146) ، (26) ، (40) ، (57، 86، 140، 151) ، (61) ، (90) ، (94)، (127)، (128)، (134)، (160)، (192) ، (193) ، (198).من سورة آل عمران.

[3]– ينظر:بلقاسم بلعرج ، لغة القرآن الكريم دراسة لسانية للمشتقات في الربع الأوّل ، دار العلوم ، عنابة ، د.ت ، د.ط ، ص 51.

2) أنصاف الصوائت:

آثرنا إدراج الواو والياء ، ضمن الصوائت، باعتبار أنَّ تَموقعهما في السياق إنما يرد وفق حالتين إما صوائت طويلة وإما أنصاف صوائت، ولهذه الأخيرة من الشبه الصَّوتي بالصوائت مايسوغ هذا الجمع.

الواو:

أثبتت الدراسات الصوتية الحديثة أن الفرق بين الواو كصائت، والواو كصامت، يكمن في حدوث الاحتكاك وعدمه، فعندما يرتفع اللسان من أقصاه نحو أقصى الحنك الصلب، حتّى يصير إلى نقطة يمكن عندها أن يحدث الهواء المار بينهما احتكاكا مسموعا مع استدارة الشفتين، واهتزاز الوترين يولد الواو في نحو (وجد) والواو في نحو (لون)، فإذا هبط اللسان إلى تلك النقطة بحيث أن الهواء المار بين اللسان والحنك لم يعد يحدث احتكاكا مسموعا مع استدارة الشفتين، واهتزاز الوترين ولدت الواو في نحو (يقول)[1].

إضافة إلى أن الشفتين في الواو شبه صائت تنضم بدرجة أكثر من انضمامها في نطق واو الصائتة.[2] وهذه الواو هي مما أدرجه القدامى ضمن مصطلح الحروف اللينة "**وذلك بما فيها من قبول التطويل لصوتها، وهو المعني باللين، فإذا رافقها ماقبلها في الحركة فهي حرف مد ولين أبدا، والواو والياء بعد الفتحة حرفا لين وبعد الضمة والكسرة حرفا مد ولين**[3]، وإن كان القدماء قد قصروا مخرجها على الشفتان[4] ولعل ذلك نتيجة وضوح استدارة الشفتين معها[5].

ويمكن التمييز بين الواو الصائتة والواو شبه صائت من ناحيتين الصوتية والفونولوجية، فمن الناحية الصوتية وضوحهما (يعني الواو والياء) في السمع قليل إذا قيس بالصوائت،

---

[1]– عبد المقصود ، محمد عبد المقصود ، دور علم الأصوات في تفسير قضايا الإعلال في العربية ، مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة، ط1 1427 ه/2007م ، ص 38.

[2] –زيد خليل ، الحركات في اللغة العربية ، ص 18.

[3]–العيني ، شرح المراح في التصريف ، ص 173.

[4]–ينظر: النشر في القراءات العشر ، ص 160/1.

[5]–ينظر: إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص 43.

كما أن الفراغ بين أقصى اللسان وأقصى الحنك حال النطق بالواو أضيق منه حال النطق بالضمة الطويلة، ومن ثم نسمع حفيفا بسيطا مع النطق بهذه الواو[1] .

ومن الناحية الفونولوجية فإن الواو في مثل (ولد) يمكن أن تتبادل المواقع مع الأصوات الصامتة، وهي مثلها في كونها قادرة على التفريق بين المعاني،[2] وتكون الواو والياء كذلك أصواتا صامتة إذا أتبعتا بصائت كما في (وعد،يعد) حيث تأتي كل من الواو والياء متلوتين بصائت الفتح ، ولا يمكن عدها حينئذ صائتين خالصتين، لاستحالة وقوع الصائت في أول الكلمة في اللغة العربية، ومن الواضح أيضا أنهما صوتان صامتان إذا لحقهما إدغام كما في نحو (عَوَّدَ وغَيَّمَ) إذ لا إدغام البتة في الصوائت[3].

فمن الواو شبه صائت في سورة آل عمران ما يظهر في قراءة السديس من الآيات التالية: ﴿ مَأْوَاهُمْ﴾[4] ،﴿ السَّمَاوَاتِ﴾،[5] ﴿ لَتُبْلَوُنَّ﴾،[6] ﴿ تُوَفَّى﴾ ،[7] ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ﴾ ،[8] ﴿ سَيُطَوَّقُونَ ﴾[9] [9]

- اليـــاء :

عدّ القدماء الياء بالإضافة إلى الواو من أصوات اللين لأنّ مخرجها يتسع لهواء الصوت أشدّ من اتساع غيرها كقولك:"وأيّ والواو،وإن شئت أجريت الصوت ومددته."[10]

وأطلق عليها **فندريس** شبه السواكن،"**لأنّ المسألة مسألة حركات مشوبة بعناصر سكونية أكثر منها مسألة سواكن مزودة بالجهر**"[11].

---

[1]- ينظر: كمال بشر ، علم اللغة العام – الأصوات ، ص 84.

[2] -كمال بشر ، علم اللغة العام –الأصوات ،ص84.

[3] -فن الكلام ، ص 221.

[4]-من الآية (197، 151) من سورة آل عمران.

[5]- من الآية (191،180) من سورة آل عمران.

[6]- من الآية (186)من سورة آل عمران.

[7]-من الآية (161) من سورة آل عمران.

[8]- من الآية (160) من سورة آل عمران.

[9]- من الآية (180) من سورة آل عمران.

[10]- الكتاب ، ص 435/4 ، وينظر : الأنباري ، أسرار العربية ، ص 326.

[11]- فندريس ، اللغة ، ص 51.

إنّ الياء كنصف صائت تبدأ نتيجة تكوين (صائت ضيق) كالكسرة مثلا ، ثمّ تنتقل بسرعة إلى صائت آخر أشدّ بروزا ، ولا يدوم وضع الصائت الأوّل زمنا ملحوظا، لذلك اعتبرت هذه الأصوات صامتة لا صائتة بالرغم من شبهها بالصوائت[1].

فالياء إذن صوت غاري ،مجهور مرقق ، ينطق به برفع مقدم اللسان في اتجاه الغار ، ورفع الطبق حتّى يسدّ المجرى الأنفي ، مع وجود ذبذبة في الوترين الصوتيين ،ومنه قوله تعالى: ﴿ وَعَصَيْتُمْ ، لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾[2]، ﴿ لِكَيْلا﴾[3]، ﴿ لِيَعْلَمَ﴾[4]، ﴿ لِيُمَحِّصَ﴾[5].

يظهر مما تقدَّم أن تحديد مخارج الصوائت يحتاج للملاحظة الدقيقة والأجدر استعمال الوسائل التقنية للوصول إلى وصف دقيق ، إضافة إلى أن كمية الصوائت تبقى أمرا نسبيا يحدده المتكلم؛ وإن كانت في تلاوة الذكر الحكيم مضبوطة بمعايير دقيقة حددها القراء، كما أنَّ الصوائت يعتريها من التغيير في خواصها الصوتية داخل التركيب ما يؤدي إلى تغيير في صفاتها، فتوصف بالتفخيم والترقيق تِبعا لتموقعها داخل السِّياق.

[1]- ينظر : عصام نور الدين ، علم الأصوات اللغوية – الفونيتيكا ، ص 292.

[2]- من الآية (152)من سورة آل عمران.

[3]-من الآية (153)من سورة آل عمران.

[4]- من الآية (140)من سورة آل عمران.

[5]- من الآية (141)من سورة آل عمران.

ثالثا–الدراسة الإحصائية لأصوات سورة آل عمران :

الأصوات الصامتة

الجدول رقم 01:

الصوت	عدد التواتر	النسبة المئوية	الصوت	عدد التواتر	النسبة المئوية
أ	705	6,17	ض	66	0,57
ب	575	5,03	ط	50	0,43
ت	556	4,86	ظ	35	0,30
ث	51	0,44	ع	368	3,22
ج	92	0,80	غ	73	0,63
ح	171	1,49	ف	388	3,39
خ	104	0,91	ق	267	2,04
د	240	2,10	ك	484	4,23
ذ	222	1,94	ل	1705	14,92
ر	488	4,27	م	1244	10,89
ز	68	0,59	ن	1250	10,94
ش	86	0,75	هـ	745	6,52
س	224	1,96	و	633	5,54
ص	83	0,72	ي	450	3,93

الجهر والهمس

الجدول رقم 02:

الأصوات المجهورة ونسبتها		الأصوات المهموسة ونسبتها	
ب	05,03	أ	06,17
ج	0,80	ت	04,86
د	02,10	ث	0,44
ذ	01,94	ح	01,49
ر	04,27	خ	0,91
ز	0,59	س	01,96
ض	0,57	ش	0,75
ظ	0,30	ص	0,72
ع	03,22	ط	0,43
غ	0,63	ف	03,39
ل	14,92	ق	02,04
م	10,89	ك	04,23
ن	10,94	ه	06,52
و	5,54	**النسبة المئوية للمجهورات: 65,67%**	
ي	03,93	**النسبة المئوية للمهموسات: 33,94%**	

الشِّـــدَّة والرَّخـــاوة.

الجدول رقم 03:

الأصوات الشَّديدة ونسبتها		الأصوات الرِّخوة ونسبتها		الأصوات المائعة ونسبتها	
ب	5,03	س	1,96	ل	14,92
ت	4,86	ز	0,59	ر	4,27
د	2,10	ص	0,72	م	10,89
ط	0,43	ش	0,75	ن	10,94
ض	0,57	ذ	1,94		
ك	4,23	ث	0,44		
ق	2,04	ع	3,22		
أ	6,17	ف	3,39		
		ه	6,52		
		ح	1,49		
		خ	0,91		
		غ	0,63		

النسبة الإجمالية للأصوات االشَّديدة: 25,43%

النسبة الإجمالية للأصوات الرِّخوة: 22,56%

النسبة الإجمالية للأصوات المائعة: 41,02%

الاستفال والاستعلاء

الجدول رقم 04:

الاستفال ونسبته		الاستعلاء ونسبته	
أ	6,17	ص	0,72
ب	5,03	ض	0,57
ت	4,86	ط	0,43
ث	0,44	ظ	0,30
ج	0,80	خ	0,91
ح	1,49	غ	0,63
د	2,10	ق	2,04
ذ	1,94		
ر	4,27		
ز	0,59		
س	1,96		
ش	0,75		
ع	3,22		
ف	3,39		
ك	4,23		
ل	14,92		
م	10,89		
ن	10,94		
ه	6,52		
و	5,54		
ي	3,93		

النسبة الإجمالية للاستفال: 93,98%

النسبة الإجمالية للاستعلاء: 5,6%

الانفتاح والإطباق

الجدول رقم 05:

الانفتاح ونسبته		الإطباق ونسبته	
أ	6,17	ص	0,72
ب	5,03	ض	0,57
ت	4,86	ط	0,43
ث	0,44	ظ	0,30
ج	0,80		
ح	1,49		
خ	0,91		
د	2,10		
ذ	1,94		
ر	4,27		
ز	0,59		
س	0,75		
ش	1,96		
ع	3,22		
غ	0,63		
ف	3,39		
ق	2,04		
ك	4,23		
ل	14,92		
م	10,89		
ن	10,94		

ه	6,52
و	5,54
ي	3,93

النسبة الإجمالية للأصوات المنفتحة: %97,56

النسبة الإجمالية للأصوات المطبقة: %2,02

الترقيق والتفخيم

الجدول رقم 06:

الانفتاح ونسبته		الإطباق ونسبته	
أ	6,17	ص	0,72
ب	5,03	ض	0,57
ت	4,86	ط	0,43
ث	0,44	ظ	0,30
ج	0,80	خ	0,91
ح	1,49	غ	0,63
د	2,10	ق	2,04
ذ	1,94		
ز	0,59		
س	1,96		
ش	0,75		
ع	3,22		
ف	3,39		
ك	4,23		
م	10,89		
ن	10,94		
ه	6,52		
و	5,54		
ي	3,93		

- نسبة الراء المفخمة: 3,26%
- نسبة الراء المرققة: 1,00%
- نسبة اللام المفخمة: 13,42%
- نسبة اللام المرققة: 1,49%

النسبة الإجمالية للأصوات المرققة : 77,28%

النسبة الإجمالية للأصوات المفخمة : 22,28%

الأصوات الصائتة :

- الجدول رقم 07 :

نوع الصائت	عدد التواتر	النسبة المئوية
الفتحة	5733	58,25
الكسرة	2236	22,71
الضمة	1873	19,03

- الجدول رقم 08 :

الصوائت من حيث موضع اللسان	عدد التوتر	النسبة المئوية
الصوائت الأمامية (الفتحة والكسرة)	7969	80,96
الصوائت الخلفية (الضمة)	1873	19,03

- الجدول رقم 09 :

الصوائت من حيث درجات الانفتاح	عدد التواتر	النسبة المئوية
الصوائت المتسعة (الفتحة)	5733	58,25
الصوائت الضيقة (الكسرة والضمة)	4109	41,79

- **التحليل والتعليق** :

- تقترب نسبة شيوع الصوامت بين ما توصلتُ إليه في إحصاء الأصوات في **سورة آل عمران** وبين ما قدّمه **الفيروز أبادي في بصائر ذوي التمييز** وبين **إحصائيات الكندي** في رسالته والإحصائيات الحديثة مثل **إحصائية حلمي موسى لجذور ومعجم الصحاح**[1].

- فقد احتلت اللام والميم والنون أعلى المراتب ، إضافة إلى الهاء والهمزة من الأصوات الحلقية ثمّ الواو الصامتة ، وقد ذكر **ابن دريد** :" **أنّ أكثر الحروف استعمالا عند العرب الواو والياء والهمزة ، وأقل ما يستعملونه لثقلها عل ألسنتهم الظاء**"[2]. وذلك ما أكّدته جميع الإحصائيات ، حيث تحتل الظاء المرتبة الأخيرة ، إضافة إلى كل من الصاد ، والثاء والضاد والزاي والغين.

- فأمّا احتلال اللام و النون والراء المراتب الأولى ، فذلك أمر متوقع نتيجة لما تتميز به هذه الأصوات من خصائص صوتية ، من جهر ووضوح ، وقوة إسماع ، إضافة إلى قربها من الأصوات الصائتة ، وقد ذكر **إبراهيم أنيس** أنّ نسبة شيوع النون وأخواتِها في اللغة العربية تُعدّ أكبر النسب، ففي كل ألف حرف نجد حوالي 117 نونا و124 ميما و127 لاما[3]، ويعلل **الكندي** شيوع اللام مقارنة بالياء والواو وكذلك الهاء بكون "**المصوّتة في اللسان العربي إنّما تظهر في الخط إذا كانت عظاما ، فأمّا صغارها ، فإنّها لا تظهر في الخطّ، فلذلك توجد بعض الحرف الخرس –أعني الّتي ليس بمصوتة– في اللسان العربي أكثر من بعض المصوتة**"[4].

---

[1]–ينظر : الفيروز أبادي بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ،ص 158/1. ومحمد مراياتي ويحي مير علم ومحمد حسان طيان ، علم التعمية واستخراج المعنى عند العرب ، تقديم شاكر الفحام ، مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق ، ص128/1 وعلي حلمي موسى ، دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1978 ، ص 109 وما بعدها

[2]–ابن دريد ، جمهرة اللغة ، ص 11/1.

[3]–محمد فتح الله الصغير ، الخصائص النطقية والفيزيائية للصوامت الرنينية ، ص 82.

[4]–ينظر:علم التعمية واستخراج المعنى عند العرب ، رسالة الكندي ، ص 137،236/1.

أمّا شيوع الباء والكاف والتاء ، فيعلّل **ابن عدلان** ذلك بكون التاء والكاف تستعملان للخطاب لذا كثرتا في الكتاب العزيز[1].

والمُلاحظ أيضا احتلال الهاء والهمزة المراتب الأولى ،وقد نصّ المحدثون على الاطراد الكبير للنطق بالأصوات الحلقية[2]، وهذا ما تزكيه إحصائيات كل من علم التعمية والفيروز أبادي وحلمي موسى وإحصائي لأصوات سورة آل عمران[3].

* تحتل الأصوات المجهورة نسبة عالية ، تقدّر بحوالي 65,67% في حين تصل نسبة الأصوات المهموسة إلى 33,94% ، وهذه النتائج تقترب من النتائج المتحصل عليها في حساب نسبة الأصوات المجهورة والمهموسة في معجم الصحاح ،حيث تصل نسبة الأصوات المهموسة إلى حوالي 30,12% ونسبة الأصوات المجهورة إلى حوالي 69,87%[4]، ويمكن تفسير ذلك بمجموعة من العوامل منها :

– أن تعداد الأصوات المجهورة أكثر من تعداد الأصوات المهموسة فهي خمسة عشر (15)، صوتا مجهورا ، مقابل اثنا عشر (12) صوتا مهموسا ، وعلّل إبراهيم أنيس ذلك بأنّ الأصوات المجهورة هي ممّا يكسب اللغة موسيقيتها ، ورنينها لذلك تظهر بصورة كبيرة ومستمرة في الكلام ، وإلاّ دخلت اللغة حيّز الهمس والإسرار نتيجة لفقدها موسيقيتها المتركزة في الأصوات المجهورة[5].

– يندرج ضمن الأصوات المجهورة مجموعة من الأصوات ذات الخصائص الّتي تكسبها ميزات أكبر مما يجعلها أكثر شيوعا نحو أصوات القلقلة ،والأصوات المائعة وأنصاف الصوائت.

---

[1]- علم التعمية واستخراج المعنى عند العرب ، رسالة ابن عدلان ، ص 275/1.

[2]– هنري فليش،العربية الفصحى (نحو بناء لغوي جديد)، تعريب وتحقيق :عبد الصبور شاهين،ط المشرق، بيروت،ط2 ،د.ت، ص 37.

[3]– ينظر : الجدول الخاص بإحصاء الأصوات الصامتة.

[4]– علي حلمي موسى ، دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر ، ص 115.

[5]– إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص 21.

– إضافة إلى أنّ الصوت المجهور أوضح ، في السمع من نظيره المهموس ، فالمجهور يسمع من مسافة ، قد يخفى عندها المهموس ، وحين يتحدث اثنان بعُدت بينهما المسافة يحس السامع منها بوضوح (الدال) إذا ما قورن بنظيره المهموس وهو التاء[1].

ففي البيئة الصحراوية الّتي تنتشر فيها الأصوات في مسافات شاسعة لا يعوقها عائق ولا يحول دونها حائل ، يلجأ إلى توضيح الأصوات بطرق عدّة من بينها الجهر بالصوت ليصبح أكثر وضوحا في أذن السامع[2].

وقد أكد استقراء كلام العرب أنّ نسبة شيوع الأصوات المهموسة في الكلام تزيد عن 25% في حين أن (أربعة أخماس) 4/5الكلام يتكون من أصوات مجهورة[3].

وقد اهتمّ العلماء بمعرفة مقدار الجهر في كل صوت على حدة ، فقرّروا أنّ صوت الراء أكثر الأصوات الصامتة جهرا ، والأصوات الأنفية (النون والميم) أقل من ذلك جهرا، وأقلّ الأصوات جهرا هي : الدال والذال والباء فهي أقرب إلى الهمس[4].

* الأصوات المائعة ، جميعها أكثر ترددا من كل الأصوات الشديدة والرخوة[5]، باستثناء صوت الباء الشديد الذي تفوق نسبة تردده نسبة تردد صوت الراء ، حيث تصل إلى حوالي 5,03% وتصل نسبة الأصوات المائعة في سورة آل عمران إلى 41,02% وهي نسبة قريبة مما توصل إليه في إحصاء هذه الأصوات في البنية العربية حيث بلغت 42,85%، وهي نسبة عالية ومهمة ، إذ أنّ هذه الأصوات تتميز بقوتها التصويتية العالية، لأنّها تتمتع بخاصية الجهر ،وتكاد مع الصوائت وأنصاف الصوائت تشكل نسبة عالية للقوة الإسماعية الصوتية[6]، فهي تعدّ حلقة وسطى بين الأصوات الساكنة والصَّوائت، ففيها من صفات الأولى ، أنّ مجرى النفس معها تعترضه بعض الحوائل، وفيها أيضا من صفات الصَّوائت

[1]– ينظر:إبراهيم أنيس ، في اللهجات العربية ، ص 90.

[2]– عبده الراجحي ، اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط1، 1420ه/1999م ،ص 176.

[3]– إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص 21.

[4]– حسام البهنساوي ، الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس اللصوتي الحديث ، ص 62.

[5]– علي حلمي موسى، دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر ، ص 28.

[6]–ينظر: عبد القادر عبد الجليل ، علم الصرف الصوتي ، دار أزمنة ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 1988 ، ص 85.

أنّها لا تكاد يُسمع لها أي نوع من الحفيف وأنّها أكثر وضوحا في السمع[1]، إضافة إلى أنّها تظهر بصور متعدّدة ،وهو ما لاحظناه من تنوعات صوتية لكل من النون واللام والميم والراء ، وهذا دليل على كثرة تداولها والنطق بها.

* تشكل أصوات الاستعلاء نسبة كبيرة جدا تصل إلى 93,8% مقابل نسبة ضعيفة جدا للأصوات المستفلة هي 5,6% ، وذلك أمر متوقع ، ذلك أنّ الأصوات المستعلية تتطلب مجهودا كبيرا لإنتاجها فهي تحدث نتيجة تصعُّدِّ اللسان إلى الحنك الأعلى[2]، مما يؤدي إلى خروج الصوت من أعلى الفم، وذلك أمر مكلف ، ويتطلب مجهودا عضليا في حين أنّ الأصوات المستفلة يخرج الصوت معها من قاع الفم، لانخفاض اللسان عند النطق به إلى الحنك الأسفل[3]، وذلك مما يَسهل على أعضاء النطق تأديته.

* ونفس القضية مع الأصوات المطبقة ، والأصوات المنفتحة ، حيث تصل نسبة الأصوات المطبقة إلى 2,02% في حين أنّ نسبة الأصوات المنفتحة هي 97,56% .

"**فاللغة العربية بصفة عامة قد مالت في تطورها إلى التخلص من أصوات الإطباق ، أي الصاد ، الضاد ، الظاء ، الطاء ، إذ نسبة شيوع هذه الأصوات في النص القرآني ضئيلة جدا ، فنسبة شيوع الصاد ثمان (8) مرات في كل ألف من الأصوات الساكنة ، والضاد ستة (6) مرات ، والطاء أربع (4) مرات والظاء ثلاث (3) مرات في حين أنّ صوتا كالنون مثلا نسبة شيوعه مثلا حوالي 112 مرّة في كل ألف من الأصوات الساكنة**"[4].

* أمّا الصوائت الثلاثة (طويلة أو قصيرة)، فإنّ نسبة ورودها في النطق العربي تختلف،إذ تجد الفتحة أكثر الصوائت ورودا[5]، تصل نسبتها في **سورة آل عمران** إلى حوالي 58,25% تليها الكسرة بـــ 22,71% ثمّ الضمة بـــ 19,03%[6]، وقد ذكر **الكندي**

[1]– إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص 27.

[2]–ينظر : ابن جني ، سر الصناعة ، ص 76/1.

[3]– عبد القادر عبد الجليل ، الأصوات اللغوية ، ص 273.

[4]– إبراهيم أنيس ، في اللهجات العربية ،مكتبة أنجلو المصرية ، القاهرة ، ط3 ، ص 111.

[5]– هنري فليش ، العربية الفصحى ، ص 36.

[6]– يراجع المبحث الثاني لمعرفة التعليل الصوتي لهذه النتائج.

"أنّ الحروف المصوتة الّتي هي موضوع لكل نوع من الكتب هي أكثر في كل لسان من الّتي ليست بالمصوتة ، وقد يعرض في الألسن أن تكون بعض المصوتة فيها أكثر من باقي المصوتة"[1].

- إنّ الأصوات اللغوية تتجمع في وحدات أكبر منها تبعا بقوة إسماعها ، وأنّ تجمعها في تلك الوحدات ،يكون حول أقواها إسماعا ، وأنّ أقواها إسماعا داخل تلك الوحدات يكون في أغلب الأحوال لا كلها صوتا صائتا[2].

وعلى العموم فإنّ تصنيف **جسبرسن** للأصوات من حيث قوة الإسماع ودرجة الوضوح ، يمكن أن يكون أحسن تعليل لمدى شيوع صوت من الأصوات ، وقد تدرَّج في تصنيفه من الانخفاض إلى الارتفاع :

"- المهموسة الانفجارية مثل : ت/ك.

- المهموسة الاحتكاكية مثل : ش/س/ث/ف

- المهموسة المزدوجة مثل : تش

- المجهورة الانفجارية مثل : ب/د/ الجيم القاهرية.

- المجهورة الاحتكاكية مثل : ف/ذ/ز/ الجيم الشامتة

- المجهورة المزدوجة مثل : الجيم الفصيحة

- الأصوات الأنفية والتكرارية مثل : ر/ل

- الحركات الضيقة مثل : الضمة والكسرة.

- وأوضح الأصوات جميعا هي االصَّوائت المتسعة كالفتحة المفخمة"[3].

إنّ الصياغة القرآنية وإن كانت صياغة خاصة إلاّ أنّها تسير وفق ما اعتاده اللسان العربي وألفه ،فعلى الرغم من وجود اختلاف في نسبة شيوع الأصوات بين النص القرآني ممثلا في **سورة آل عمران** والنصوص العربية الفصيحة إلاَّ أنّه اختلاف طفيف لا يعدو أن يكون

[1]-علم التعمية واستخراج المعنى عند العرب ، رسالة الكندي ، ص 215/1.

[2]- خلدون أبو الهيجاء ، فيزياء الصوت اللغوي ووضوحه السمعي،عالم الكتب الحديث،الإربد،الأردن،ط1، 2006 ، ص 159.

[3]- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، ص 100.

تقدّم صوت على صوت آخر بمرتبة أو مرتبتين،أمّا تقدّم مجموعة من الأصوات كاملة كتقدّم الأصوات الحلقية على الأصوات اللثوية فذلك ما لم نقف عليه في دراستنا هذه.

هذه هي أوضاع الأصوات اللغوية في سورة آل عمران، من ناحية المخارج والصفات، إلا أنَّ هذه الأصوات قد يعتريها التغيير داخل التركيب،كنتيجة من نتائج متطلبات السياق؛ فتشهد تأثر بعضها ببعض، ومراعاة تجاور الأصوات في السياق مما سنحاول سبر أغواره في مايلي من الفصل الثاني .

أولا: طرائق تأليف الأصوات في سورة آل عمران:

تجنح العربية إلى طلب الخفة في صياغةكلامها، وتحرص على سلامة نسيجها من كل مايجعله ثقيلا ومنفِّرا ؛ وماظواهر الإبدال والإدغام والحذف وغيرها إلا سبيلٌ ،اتَّخذته العربية فرارا من النُّفرة وطلبًا للخفة –وسنرى ذلك في موضعه –.

غير أنه وقبل أن تسنح الفرصة لمثل هذه الظواهر لعمل عملها ،فإن اللُّغة العربية اهتمت بتأليف الأصوات داخل بنية الكلمة ،بل وسعى علماء العربية إلى ضبط معايير هذا الإئتلاف ،وأدرجوا ذلك كله ضمن حسن التَّأليف؛ وعدُّوا من شروط فصاحة المفرد ، خلوصه من تنافر الحروف[1].

وإن كان معيار هذا الحكم يرجع بالنهاية إلى الذَّوق ،ووقْع الكلمة في أذن السَّامع وقلبه؛ ولا يوجد أحسن من النَّص القرآني مراعاة للخفة والذَّوق والموسيقية في تأليف كلماته، وذلك ما سنحاول استكشاف شيئ منه، على أنه ينبغي بداية التَّعرف على منهج العرب في ائتلاف أصواتها .

[1]– القزويني الخطيب ، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق وتنقيح :محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل ، بيروت، ط3،1414ه/1993م، ص1/22،23.

1/ المنهج الصوتي لائتلاف الأصوات في اللغة العربية :

أشار علماء العربية إلى ضرورة مراعة الإنسجام بين أصوات الكلمة وقدَّموا في ذلك أفكارا مهمة ورائدة ،**فالخليل** رفض تجاور الحاء والعين في كلمة واحدة يقول :" **لولا بحة في الهاء لأشبهت العين؛ فلذلك لم يأتلفا في كلمة واحدة،وكذلك الهاء ؛ولكنهما يجتمعان في كلمتين لكل واحدة منهما معنى على حدة،نحوة قولهم:حيَّهل.**"[1] فهما لايأتلفان في كلمة أصلية الأصوات لقرب مخرجيهما[2].

فقُرب المخارج مدعاة للنُّفرة والثقل في الصِّيغة،وقد فصَّل**ابن دريد**(ت**321**ه) في ذلك تفصيلا دقيق فقال"**اعلم أن الحروف إذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت، لأنك إذا استعملت اللسان في حروف الحلق دون حروف الفم، ودون حروف الذلاقة كلفته جرسا واحدا أوحركات مختلفة ؛ألا ترى أنك لو ألفت بين الهمزة والهاء والحاء ،فأمكن لوجدت الهمزة تتحول هاءا في بعض اللغات لقربها منها ؛نحو قولهم في:(آم والله)،هم والله وكما قالوا في (أراق) هراق،ولوجدت الحاء في بعض الألسنة تتحول هاءا...وإذا تباعدت مخارج الحروف حسُن وجه التَّأليف...واعلم أنه لا يكاد يجيء في الكلام ثلاثة أحرف من جنس واحد في كلمة واحدة؛ لصعوبة ذلك عليهم؛وأصعبها حروف الحلق ،فأما حرفان فقد اجتمعا في كلمة مثل أخ**"[3].

ففي الجمع بين أصوات متقاربة المخرج تكليفُ اللِّسان جُهدا كبيرا، إذ يظل اللسان يعمل في منطقة واحدة في فترة زمنية متقاربة ،ودون وجود فاصل وفي ذلك من الإجهاد الكثير.

وزاد **السبكي** على ذلك ،مانقله عنه السيوطي ،" **بأن الكلمة تَخِف وتَثقُل بحسب الإنتقال من صوت إلى صوت لا يلائمه قربا أو بعدا** "[4]؛وقد قسَّم المخـــارج إلى ثلاثـــة مجموعات ،العليا ، الوسطى ،والدنيا ، وجاء بإثني عشرة تركيبا على النحو التَّالي :

---

[1]- السيوطي ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ،ص 153/1

[2]- تهذيب اللغة ص65/1.

[3]- ينظر:جـــمهرة اللغة ،ص09/1.

[4]-ينظر:المزهر ،ص156/1

الأول– الإنحدار من المخرج الأعلى إلى الأوسط إلى الأدنى ، نحو(ع د ب)

الثاني– الإتنقال من الأعلى إلى الأدنى إلى الأوسط،نحو (ع ر د).

الثالث– من الأعلى إلى الأدنى إلى الأعلى،نحو(ع م ه).

الرابع – من الأعلى إلى الأوسط إلى الأعلى ، نحو (ع ل ن).

الخامس–من الأدنى إلى الأوسط إلى الأعلى ، نحو (ب د ع) .

السادس–من الأدنى إلى الأعلى إلى الأوسط ، نحو(ب ع د).

السابع – من الأدنى إلى الأعلى إلى الأدنى ،نحو(ف ع م).

الثَّامن – من الأدنى إلى الأوسط إلى الأدنى ، نحو (ف د م).

التاسع – من الأوسط إلى الأعلى إلى الأدنى ، نحو(د ع م).

العاشر– من الأوسط إلى الأدنى إلى الأعلى ، نحو (د م ع).

الحادي عشر – من الأوسط إلى الأعلى إلى الأوسط، نحو (ن ع ل).

الثاني عشر – من الأوسط إلى الأدنى إلى الأوسط ، نحو(ن م ل)[1].

فالواضح من هذه التراكيب ،الحِرص على عدم الجمع بين الأصوات المتقاربة في المخرج، وإيثارهم بناء الكلام من أصوات متباعدة المخارج ، يقول **ابن جني: "وإذا اختلفت أحوال الحروف حَسُن التَّأليف**[2]"؛ وخلُص إلى أن الأصوات في التأليف على ثلاثة مراتب : "**أحدهما** : تأليف المتباعد وهو الأحسن.

والآخر: تضعيف الحرف نفسه ، وهو يلي القسم الأول في الحسن .

والآخر: تأليف المتجاورة، وهودون الإثنين الأوَّلين ،فإما رُفض البتة، وإما قلَّ استعماله."[3] لذلك فأحسن التأليف مابوعد فيه بين الحروف. [4]

[1]- المزهر،ص 157/1.

[2]- الخصائص،ص 57/1.

[3]- سر الصناعة،ص431/2.

[4]- ينظر: نفسه ،ص429/2.

ذلك أن نطق صوتيين متقاربين ،أومتجاورين ينجرُّ عنه ،إضافة إلى الثِّقل أن يكون الصَّدى والجرس المنبعث منهما واحدا ،ففي نطق اللسان صوتا بعيد المخرج عن الصوت الأول ،اختلاف في الصدى وتَنوُّع في الصوت والموسيقا .

وهذا ما أكده **ابن سنان الخفاجي** إذ نصَّ "**على أن يكون تأليف اللفظة من حروف متباعدة المخارج ... و**علة هذا واضحة ،وهي أن الحروف التي هي أصوات تجري من السَّمع **مجرى الألوان من البصر ،ولا شك في أن الألوان المتباينة إذا جُمعت كانت في المنظر أحسن من الألوان المتقاربة ،ولهذا كان البياض مع السواد أحسن منه مع الصُّفرة ، لقرب مابينهما وبين الأصفر وبعد مابينه وبين الأسود ، وإذا كان هذا موجودا في الصِّفة لا يَحسُن التزاع فيه ، كانت العلة في حُسن اللفظة المؤلفة من الحروف المتباعدة في العلة في حسن النقوش إذا مُزجت من الألوان المتباعدة .**"[1]

ويقصد ابن سينان في هذا النَّص الكشف عن الاتفاق في طبيعة التناسب في كل من الشعر والرسم ،ومادامت الألوان المتباينة –في تقديره–أفضل من الألوان المتقاربة، لأن الضد يُظهر حُسنه الضِّد ، فلابد أن تكون اللوحة التي تجمع بين ألوان متباعدة يقع بينها تَجانس ،أحسن منظرا من الأخرى التي تتشكل من ألوان متقاربة ،وكذلك الأصوات في الكلمات تَخضع للمبدأ نفسه ؛كلما تباعدت مخارجها كانت أحلى في السمع ،من الأصوات التي تتقارب مخارجها ، فحال الأصوات شبيه بِحال الألوان سواء بسواء .[2]

على أنه يمكن أن يُضاف إلى الإعتبار العضوي والمخرجي ،إعتبار القيمة الصَّوتية من تفخيم وترقيق،"**فيمكن بهذا أن ندَّعي مثلا ندرة تجاور أحد المطبقات مع أحد الغاريات وهي أشد الحروف استثقالا**". [3]

---

[1]– الخفاجي ،سر الفصاحة ،ص64.

[2]– ينظر: مصطفى السعدني،البناء اللفظي في لزوميات المعري(دراسة بلاغية تحليلية) منشأة المعارف الإسكندرية ،دت ص32،33 نقلاعن ،جابر عصفور ، مفهوم الشعر ص224،224.

[3]– اللغة العربية معناها ومبناها ،ص270.

ثمَّ إنَّ البحث في تأليف الأصوات لم يقتصر على النحاة والبلاغيين وإنما تعداه إلى علماء التعمية ، فقد توصَّلوا إلى حصر الثنائيات التي لا تأتلف من الأصوات العربية على سبيل الإحصاء لاالإنتقاء؛وانتهوا إلى تقسيم الأصوات حسب تجاور بعضها مع بعض إلى :

1- مالا يقارن بعضه بعضا بتقديم ولا بتأخير .

2- مايقارن بتقديم.

3- ما يكرر من الحروف في أوَّل الكلمات. [1]

فذكروا مثلا" **أنَّ الثَّاء لا تقارن ، الذال ولا الزاي ولا الصاد والضاد ولا الظاء ولا السين بتقديم ولا تأخير**" .[2] ولعل ذلك نتيجةلاتحادها في المخرج مع هذه المجموعة من الأصوات.

"**أما الراء مثلا فإنَّها تتصل بجميع حروف المعجم بالتقديم والتَّأخير ولا يعرض لها ما يعرض لغيرها من الحروف الأصلية التي لا تتغيَّر أبدا**". [3]

وقد قدَّم **الجاحظ** بدوره إسهامات في هذا الباب فذكر "**أن الجيم لا تقارن الظاء ولاالقاف ولا الطاء ولا الغين بتقديم ولا تأخير، والزاي لا تقارن الظاء ولا السين ولاالضاد ولا الذَّال بتقديم ولا تأخير**"[4] .

إن جهود القدماء هذه، ابتداءً من التراكيب التي قدمها **السبكي** وانتهاءً بجهود علماء التَّعمية **كالكندي وابن عدلان**،عزَّزتها الدراسات الحاسوبية الحديثة ؛فقد أبرزت الإحصاءات التي أجراها الباحثون المحدثون ميل الأصوات المتقاربة المخارج إلى عدم التَّتَابع في سياق الكلمة العربية ولاسيما أصوات الشفتين وأصوات الحلق وأصوات وسط الفم ،ودلَّت على أن أقل الثنائيات التي يتركب منها الكلام العربي هي التي تتكون من صوتين شفهيين أوحلقيين أوشفهي وحلقي .[5]

---

[1]- ينظر: علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب، ص 132،136 وغيرهما كثير.

[2]- نفسه،ص241.

[3]- نفسه ،ص248.

[4]- الجاحظ ، البيان والتبيين ، ص52/1.

[5]- ينظر: أحمد محمد قدور ، مبادئ اللسانيات ،ص126.

وعموما فإنَّ قواعد تتابع كل صوت مع باقي أصوات العربية التي قدمها علم التعمية ،تُعد عملا مميزا ورائدا ،نتيجة تطابقها شبه التَّام مع ماتوصلت إليه الدراسات الحديثة .[1]

كما أن العربية حرصت على الإعتدال في عدد الأصوات التي تتألف منها بنيتها وكان **الخليل** يرى أن أبنية الكلمات ثلاثية، ورباعية وخماسية ، لاتقل عن ثلاثة أصوات " **حرف يبتدأ به وحرف يحشى به الكلمة وحرف يوقف عليه**" .[2] ويرى **ابن جني** "**أن الثلاثي أخف الألفاظ في الكلام ، وأنَّ الكلمات كلما كثرت حروفها زاد ثقلها ،ومن ثم يثقل استعمالها**" [3].

و لم يختلف رأي المحدثين عما قدمه القدامى يقول **هنري فليش** "**وفي العربية عدد قليل من الأصول ذوات الصامتين أي الثنائية وهي مقتصرة على سبع وثلاثين كلمة هي في ذاتها أصولها وذلك نحو (يد...) وهناك عدد كبير من الأصوات ذات الصَّوامت الأربعة أي الرباعية ،وهي مُسجَّلة في المعاجم ،ولكن بعض الإحصاءات التي أُجريت على النَّص القرآني كشفت عن وجود خمسة عشر أصلا رباعيا فحسب مقابل ألف ومئة وستين 1160 أصلا ثلاثيا ، وهي نسبة ضعيفة في نص يُعتبر أساسيا في تراث اللغة ... والجانب والأكبر من المفردة العربية يأتي من أصل ذي ثلاثة صوامت** "[4] .

فقلة الرُّباعي في العربية وإهمال العرب للخماسي-إلا قليل-،سببه النُّفرة من الإستثقال وطلب الخفة. ومن هنا قرَّر الدَّارسون القدامى والمحدثون، أنه كلما كثرت أصوات الكلمة قلَّ استعمالها. [5]

---

[1]- ينظر: علي حلمي موسى ،دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح ، ص29 وغيرها .

[2]- الخصائص ص،55/1.

[3]- نفسه ،ص55/1،61.

[4]- هنري فليش ، العربية الفصحى ،ص 53.

[5]- ينظر: بلقاسم بلعرج ، لغة القرآن الكريم ،ص151

فمن الرباعي المجرد في **سورة آل عمران** وردت كلمة واحدة فقط ،هي صيغة (**مقنطرة**) في قوله تعالى﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾.[1]

هذه هي أهم القواعد التي اختارتها العربية لتأليف كلماتها وبناء نسيجها وهي في ذلك مدينة للقرآن الكريم كونه أرقى نص ورد بها،وكونه استوعب كلام العرب كله.

[1] – من الآية(14) من سورة آل عمران.

2/ المنهج الصوتي لإئتلاف الأصوات في سورة آل عمران:

سنعتمد في هذا المطلب على الضوابط العامة التي اعتمدها **إبراهيم أنيس** لتنافر الأصوات في اللغة العربية ،ذلك أن عمل القدامى وعلى الرغم من دقته؛ إلا أن مفهوم تجاور الأصوات عندهم كان غير واضح ؛فقد بنوا قواعدهم على مطلق التجاور، في حين أن الدراسات الصوتية الحديثة تُفرق بين التَّجاور التَّام للأصوات وبين التجاور غير التَّام ؛ لهذا يرى إبراهيم أنيس :"**أن شيئا هاما قد فات هؤلاء القدامى ولم يفطنوا إليه وهو أنه لمعرفة ثقل الحروف في تواليها يجب أن تذكر دائما أن المجاورة بين الحرفين يجب أن تكون مباشرة فلا يفصل بينهما بحرف أو حركة**"[1].

وعمل الدراسات الحاسوبية،على الرغم من دقته إلا أنه عمل إحصائي مجاراته تتطلب عمليات رياضية وإحصائية،وذلك مما هو غير ميسَّر الآن ويحتاج إلى دراسة خاصة. والضوابط التي سنعمل على تتبعها في النص القرآني هي كالتالي:

- ✓ – ندرة تلاقي أصوات الحلق بعضها مع بعض ،بل لا يكاد يلتقي فيها إلا العين والهاء ،ونرى العين أسبق دائما مثل (يعهد) فإذا اتصل بالكلمة ضمير الغائب المتصل نرى كلا من أصوات الحلق يمكن أن يجاور هذه الهاء مثل : يمدحه ويبلغه ويسلخه .
- ✓ – ندرة تلاقي الأصوات القريبة المخرج أو الصفة .
- فتلاقي اللام والراء والنون بعضها ببعض لا يكاد يوجد في اللغة العربية .
- وكذلك تلاقي الميم والفاء والباء بعضها ببعض غير معروف في تراكيب الكلمة العربية .
- ندرة التقاء صوتين من أصوات الصفير، أوبعبارة أدق من تلك الأصوات الكثيرة الرَّخاوة مثل: الزاي– السين – الذال– الثاء – الشين [2].

[1]– ينظر:إبراهيم أنيس،موسيقى الشعر، مكتبة أنجلو المصرية ،ط2، 1952ص 26

[2]– نفسه ،ص28

ندرة التقاء صوتين من أصوات الإطباق أوالتقاء صوت واحد مع نظيره غير المطبق.

- التقاء أصوات أقصى الحنك بعضها مع بعض نادر أيضا في اللغة العربية وتلك هي : القاق –الكاف–الجيم القاهرية .
- التقاء أصوات وسط اللسان نادر أيضا ، مثل الجيم (المعطشة)مع الشين [1].

وفي ضوء هذه المعايير فإن التَّلاؤم وعدم التنافر في **سورة آل عمران** يتحقق كالتالي:

ندرة التقاء أصوات الحلق*[2]:وهي (الهمزة- الهاء- العين- الحاء –الخاء –الغين) وفي **سورة آل عمران** لم يتم الإلتقاء بين هذه الأصوات،وإن تم فإنه لا يكون التقاءا مباشرا.

الهمزة مع الهمزة: ﴿ أَأَقْرَرْتُمْ﴾[3]، ﴿ أَؤُنَبِّئُكُمْ﴾[4]،﴿ أَأَسْلَمْتُمْ ﴾[5] ،وإن كان التقاؤهما غير مباشر، حيث فصل صائت الفتح القصير بينهما .

وتجاورت **الهمزة مع الهاء** تجاورا غير مباشر أي بوجود فاصل، عادة ما يكون صائتا ، وذلك في نحو قوله تعالى﴿ جَزَاؤُهُمْ﴾ ،[6] ﴿ جَاءَهُمُ﴾ [7].

أما في قوله تعالى ﴿ تَسُؤْهُمْ﴾ [8]؛ فالتجاور مباشر بين الهمزة والهاء على الرغم من اتحاد مخرجيهما ،وهذه هي الحالة التي تتصل فيها الكلمة بضمير الغائب ،فعلَّة هذا الإتصال نحوية دلالية .

---

[1]- موسيقى الشعر ،ص28

*-تمَّ الجمع بين الأصوات الحنجرية والأصوات الحلقية والأصوات الأقصى حنكية من منطلق التقارب الشديد في مخرجها، واشتراكها في الحيز.

[3]- من الآية(81) من سورة آل عمران .

[4]- من الآية(15) من سورة آل عمران .

[5]- من الآية(20) من سورة آل عمران .

[6]- من الآية(87) من سورة آل عمران .

[7]- من الآية(105) من سورة آل عمران .

[8]- من الآية(120) من سورة آل عمران .

واتصلت **الهمزة بالخاء** في مثل قوله تعالى:﴿ الآخِرَةِ﴾[1]،﴿أُخْرَاكُمْ﴾[2] ﴿أَخَذْتُمْ ﴾[3]،﴿ لإِخْوَانِهِمْ﴾؛[4] وكله إنما تمَّ بوجود فاصل.

هذه هي الأصوات التي وردت مجاورة للهمزة، أما باقي أصوات الحلق، فلا تتبع الهمزة لابتقديم ولابتأخير ."**فحرف** (أ) **لا تتبعه الأحرف** (أ،ع،غ) ،**ولا تسبقه الأحرف** (أ،ح،خ،ع،غ) **وفي هذا ينفرد حرف** (أ) **بأنه الوحيد في اللغة العربية الذي لا يتكرر في موقعيين متتالين في الجذر الواحد باستثناء الجذر الثنائي** (أأ) **على حين تتكرر باقي الحروف، وأيضا حرف** (أ) **لا يتبع أو يسبق حرفي** (ع،غ)[5].

الهاء : صوت الهاء يتكرر مع نفسه في قوله تعالى ﴿ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ ،[6]﴿ وُجُوهُهُمْ ﴾ [7]

[7]

واتصلت **الهاء بالعين** ،اتصالا غير مباشر في قوله تعالى ﴿ بِعَهْدِهِ﴾ [8]،أما بقية الأصوات الحلقية فلم يرد اتصالها مع غيرها من الأصوات ،مـــن تدانيها أوتشترك معها في المخرج، سواء أكان الاتصال مباشرا أم غير مباشر .

ندرة تلاقي الأصوات القريبة المخرج أو الصِّفة :

في اللام والرَّاء والنون : نظرا لما تتميز به هذه الأصوات من خصائص صوتية فإنها ترد مع جميع الأصوات" فلا يتنافرمع أي منها صامت بعينه في كل حالات الجوار القريب ولا يشترك معها في التنافر أي صامت في الجوارين : القريب والبعيد؛ وينفرد صوت النون عنها في إمكان وقوع الصَّوامت كلها معه في الجوار البعيد، أيًّا كان موقع الصامت في

[1]- من الآية(77،85) من سورة آل عمران.

[2]- من الآية(153) من سورة آل عمران .

[3]- من الآية(81) من سورة آل عمران .

[4]- من الآية(168) من سورة آل عمران .

[5] - دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر ،ص29.

[6]- من الآية(118) من سورة آل عمران .

[7]- من الآية(106،107) من سورة آل عمران .

[8]- من الآية(77) من سورة آل عمران.

الفعل "[1].فصوت الراء هو الوحيد الذي يشترك تتابعا مع جميع الأصوات الأخرى، ولذلك فهو أقوى الأصوات ترددا .

إلا أن هذه الأصوات الثلاثة تتنافر مع بعضها بعض ،ووجودها متجاورة في **سورة آل عمران** يظهر في الآيات التالية﴿لَتَنْصُرُنَّهُ﴾[2]، ﴿كُفْرًا لَنْ ﴾،[3]﴿ يَغْفِرُ لِمَنْ ﴾[4]،وهذه المواضع المواضع لم يتصل الصوتان فيها اتصالا حقيقيا ، فصائتي الفتح والضم على التوالي قد ساهما في إلغاء هذا التجاور ،مِما لايُجيز القول بالتقاءهِما التقاءً ثقيلا ومنفرا .

أما في قوله تعالى ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [5]، ﴿ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾[6]، ﴿ اغْفِرْ لَنَا ﴾[7]؛ فقد اتصلت كل كل من النون والراء في الآيتين الأولى والثانية والراء والام في الآية الأخيرة اتصالا مباشرا؛ إلا أن العربية تخلصت من هذا الإتصال غير المستحب بـــما يعرف بالإدغام بغنة .

تلاقي الميم والفاء والباء بعضها ببعض غير معروف في تراكيب العربية[8] :

وفي الحقيقة فإن هذا الحكم فيه شيء من المبالغة ، ذلك أنَّ المعاجم العربية نصَّت على وجود تراكيب يَجتمع فيها صوتان من الأصوات الشفهية ،وإن كان كل من صوتي الفاء والباء لايقعان في جوار قريب، والصوتان يشتركان في الحيز وصفة الانفتاح.

وفي سورة آل عمران لم يرد مثل هذا الإلتقاء إطلاقا ،وقد ذكر بعض الدارسين "**أن الميم يشترك في التنافر مع كل من الأصوات الثلاثة في حالات الجوار القريب ،حين يقع الصوت فاء للفعل ،أوعينا له مسبوقة بالميم ،أولاما له**"،[9]وإن تواجد في **سورة**

---

[1]- وفاءكامل فايد، تراكب الأصوات في الفعل الثلاثي الصحيح (دراسة استقصائية في القاموس المحيط)،عالم الكتب، القاهرة، دت، ص105

[2]- من الآية(81) من سورة آل عمران .

[3]- من الآية(90) من سورة آل عمران .

[4]- من الآية(129) من سورة آل عمران.

[5]- من الآية(133) من سورة آل عمران .

[6]- من الآية(136) من سورة آل عمران.

[7]- من الآية(147) من سورة آل عمران.

[8]- موسيقى الشعر ، ص28

[9] - تراكب الأصوات ،ص 110.

آل عمران ؛ ولكنه اتصال غير مباشر وذلك في قوله تعالى﴿بِمَفَازَةٍ﴾ ،[1]﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ ﴾[2] ﴾[2]

ندرة تلاقي أصوات الصفير:

يشترك صوت الزاي مع السين في الرخاوة والانفتاح ،وينفرد عنه بالجهر ،ويشترك الصاد مع السين في الرخاوة والهمس ،وينفرد عنه بالإطباق ،والأصوات الثلاثة تشترك في صفة الصفير المميزة لهذه المجموعة ؛ وهذه الأصوات لم ترد متصلة مع بعضها البعض لامن قريب ولامن بعيد في **سورة آل عمران**؛ سوى أن **السِّين** تكررت مع نفسها مع وجود الصَّائت كفاصل بينهما في صيغة واحدة هي ﴿يَمْسَسْهُمْ﴾ [3].

ندرة إلتقاء صوتين من أصوات الإطباق أو التقاء صوت واحد منها مع نظيره غير المطبق:

فأما التقاء صوتين من أصوات الإطباق فورد من هذا الباب في **سورة آل عمران،** صيغة ﴿اصْطَفَى﴾ في ثلاثة مواضع[4]؛وهي نسبة ضئيلة جدا مقارنة بمدى بائتلاف الأصوات الأصوات في السورة الكريمة .وتكررت الصاد مع نفسها من غير تجاور تام في لفظة (**القصص**) من قوله تعالى﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[5] .

ولعل ندرة وقوع هذا الالتقاء إنما ناجم عن صعوبة النطق بالصوت المطبق ،لما يتطلبه نطقه من التفخيم وما ينجر عنه من عمليتي الإطباق والتحليق ،فالنُّطق بصوت مطبق واحد مكلف ،فمابالك النُّطق بصوتين يشتركان في هذه الصفات إضافة إلى عدم وجود فاصل بينهما .

[1] – من الآية(188) من سورة آل عمران .

[2]– من الآية(159) من سورة آل عمران .

[3]– من الآيات(47،120،174) من سورة آل عمران .

[4]– من الآيات(21،33،42) من سورة آل عمران.

[5]– من الآية(64) من سورة آل عمران .

التقاء أصوات أقصى الحنك: (القاف ، الكاف)

ولم نَتلمَّس له وجودا في **سورة آل عمران**،فمخرج كل من القاف والكاف واحد، إذ القاف صوت لهوي يتم نطقه برفع مؤخر الطبق ،حتى يلتصق بالجدار الخلفي للحلق ورفع مؤخر اللسان حتى يتصل باللهاة ؛والكاف يتم نطقه برفع مؤخرة اللسان في اتجاه الطبق، وإلصاق الطبق بالجدار الخلفي للحلق ليسد المجرى الأنفي.[1]وعلى الرغم من اشتراك كل من القاف والكاف في الشدة والهمس ،إلا أن القاف يتميز بقيمة تفخيمية في حين أن الكاف مرقق ،فكل هذه العوامل الصوتية تجعل من اتصال القاف والكاف أمرا ثقيلا على اللسان .

وكذلك فان التقاء أصوات وسط اللسان (الجيم المعطشة مع الشين) أمر غير وارد في **سورة آل عمران** وذلك نتيجة للتقارب المخرجي بين الصوتين .

وعلى العموم فمهما حاولنا البحث أو الاستقصاء فلن نجد أي شكل من أشكال التنافر بين الأصوات في القرآن الكريم عموما ،وفي سورة آل عمران خصوصا باعتبارها مدونة البحث؛ إذ أن أصواته تتميز بحسن التلاؤم مع بعضها[2]، فقد نزل بأفصح اللغات وأصحها وأبلغها ،وأوضحها ، وأثبتها ، وأمتنها. [3]

[1]- مناهج البحث ،ص124.

[2] - ينظر:المعجزة القرآنية،ص110

[3] - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز الحكيم ،ص67/1.

أولا:الظَّواهر التماثلية :

تتأثر الأصوات اللغوية في أي لغة من اللغات بعضها ببعض في البيئة خلال عملية النُّطق ، مما يؤدي إلى تغيير مخارج بعضها أو صفاتها ، لكي تتفق في المخرج أو الصفة ، مع الأصوات المجاورة ،واللغة العربية في تطورها التاريخي ، عرفت هذا اللَّون من التأثر شأنها في ذلك شأن اللغات الأخرى ،ولعل من أكثر هذه الظواهر استخداما في اللغة، ظـــاهرة المماثلة بأضربِها وأشكالها المتنوعة ، فالمماثلة من الظواهر الصوتية ، الضَّاربة جـــذورها في أعماق العربية ،اهتم بها العلماء والنحاة والصرفيون وأهل القراءات، فرصـــدوا مظاهرهـــا وأوجهها المختلفة ووضعوا لها الكثير من الضوابط والقواعد .

ونحن بدورنا سنحاول استخراج شيء من هذه القواعد من **ســـورة آل عمـــران** ومعرفة مدى خضوع قواعد اللغة لصياغة القرآن الكريم وبالعكس.

1- المماثلة بين الصوامت:

تتأثر الأصوات اللغوية بعضها بالبعض الآخر في أثناء التأليف الفونولوجي، ويترتَّب على هذا التأثر ،أن جهاز النَّاطق يَجنح في أثناء الكلام إلى تقريب هذه الأصوات بعضها من بعض في الصفات أو المخارج ،ويمكن تحديد اتجاهين لتعامل الأصوات اللغوية فيمابينها، هما:

1-اتجاه التآلف، فيؤدي ذلك بأصوات الكلمة إلى الثبات وعدم التغير السريع.

2-اتجاه التنافر وهو أساس كثير من التغيرات الصوتية التي تصيب الكلمة وفي أحيان أخرى يكون سببا من أسباب تطور الأصوات اللغوية، واللغات بوجه عام تجنح إلى إلغاء هذا التنافر بطرق شتى منها ،تغيير في الأصوات يؤدي إلى الانسجام أو المماثلة[1].

أ/ المماثلة التامة :

إن الأصوات اللغويَّة منها ما يأتلف و منها ما يختلف و لا بد من تحقيق التآلف بين الأصوات عند تركيب الكلام حتى يتحقق الانسجام الصوتي فتتمكن أعضاء النطق من التفوُّه به، فإذا تجاور صوتان متنافران غُيِّر أحدهما ليقترب من الآخر، أو يتحد معه مخرجا أو صفة [2].وفيما يأتي سنقدم جزءا من عمل المماثلة باصطلاح المحدثين،ولكن قبل ذلك، لابأس من تقديم مفهومها عند قدامى النحاة واللغويين ،وهو ما اصطلحوا عليه في الغالب بالادغام .

يقول **ابن عصفور معرفا** الادغام،"**هو رفعك اللسان بالحرفين رفعة واحدة ووضعك إياه لهما موضعا واحدا**" [3]، وهو حسب عبارة **الاستراباذي** "**وصل حرف ساكن بحرف مثله متحرك بلا سكتة على الأول ، بحيث يعتمد بهما على المخرج اعتمادة واحدة قوية**" [4]. على أن إدغام الأول في الثاني يستدعي عدم وجود حركة تفصل بينهما ، "**فإنما يعتمد لهما باللسان اعتمادة واحدة ، لأن المخرج واحد ولا فصل ،**

---

[1]- غالب فاضل المطلبي، في الأصوات اللغوية: دراسة في أصوات المد العربية، دار الحرية للطباعة، بغداد 1994، ص259-260

[2]- عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشأة و تطورا ،دار الفكر العربي، القاهرة،د.ط 1418ه/1998، ص110

[3]- الممتع الكبير في التصريف 631/2

[4]- شرح الشافية 235/3.

وذلك قولك "قطَّع" و"كسَّر" وكذلك "محمَّد" و"معبَّد"، و"لم يذهب بكـــر" و"لم يقـــم معك" ،فهذا معنى الإدغام[1].

وقد يتجاور الصوتان تجاورا غير مباشر لوجود صائت فاصل،وفي هذه الحالة يـــجري حذف الصائت ويدغم أولهما في ثانيهما، وذلك نـــحو(يشدُ) في(يشدد) ونحـــو (قالَّهم) في ﴿قَالَ لَهُمُ﴾[2]، عند بعض القراء .[3]

"فالتلاصق أي التداني التام هوشرط حدوث الإدغام لتلك الأصوات، و من هـــذا نفهم أيضا أن هذا التلاصق هو الموجد للثقل في نطق تلك الأصوات وبالتـــالي حـــدوث الإدغام [4]، قال **الفراء" فإن اللام تدخل في الراء دخولا شديدا ويثقل علـــى اللســـان إظهارها فأدغمت**" وقال أيضا:" **فما ثقُل على اللسان إظهاره فأدغم**". [5]

والإدغام بهذا المفهوم جزء من المماثلة عند المحدثين، فهي تعـــني تـــأثر الأصـــوات المتجاورة بعضها ببعض تأثرا يؤدي إلى التقارب في المخرج أو الصفة [6].

فعلاقة المماثلة بالإدغام الاصطلاحي "**توضح أنها أعم منه من وجه، مـــن حيـــث كانت شاملة لكل حالات التأثر في حين نجده مقتصرا على حالة الإنـــدماج الصـــوتي الكامل، حيث يفقد الصوت المتأثر وجوده فقدانا تاما**". [7]

وقد استعمل **ابن خالـــويه** مصطلح المماثلة للدلالة على الإدغـــام الاصـــطلاحي، فذكر أن الحجة في الإدغام "**مـــماثلة الحرفين، لأن الإدغام على وجهـــين، مـــــماثلة الحرفين ومقاربتهما، فالمماثلة كونهما من جنس واحد، والمقاربة أن يتقاربا في المخـــرج**

---

[1]- المقتضب ،ص 227/1.

[2]- من الآية(173) من سورة آل عمران.

[3]-هو أبو عمرو بن العلاء

[4]-السيرافي، أبي سعيد (ت368ه)، ما ذكره الكوفيون في الإدغام، حققه وقدم له:صبيح التميمي، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، د.ت، ص32.

[5]- الفراء، معاني القرآن ، ص 354/2

[6]- ينظر:عبد الفتاح المصري، الصوتيات عند ابن جني ، ص 260 .

[7]- ينظر:أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ، ص 236 .

كقرب القاف من الكاف،والميم من الباء ،واللام من النون ،وإنما وجب الإدغام في ذلك لأن النطق بالمتماثلين والمتقاربين ثقيل فخففوه بالإدغام". [1]

كذا نجد **ابن جني** اقتبس فكرة التقريب عن **سيبويه**، فعرَّف الإدغام بأنه **تقريب صوت من صوت**،وفصَّل فيه تفصيلا دقيقا،وقرَّر في النهاية أن التقريب مرادف للإدغام[2]، إذ التقريب هو نزعة صوتين إلى التقارب أي الاتصاف بصفات متقاربة حتى يسهل نطقهما متتاليين، وذلك إذا كانا متباعدي المخرج، أوكانا متماثلي المخرج لكن يختلفان في الصفات.[3] فالإدغام بهذا المفهوم مطابق لمفهوم المماثلة عند المحدثين.

وعبارتهم في تعريف الإدغام، (**ليكون عمل اللسان من وجه واحد**)، "تعني الاقتصاد في الجهد العضلي، وتلك نظرية يُقِرُّهَا علم اللغة الحديث، وممن نادى بها **أندري مارتني**، إذ صرَّح بأن التغيرات الصوتية الهامة في اللغة ترجع أساسا إلى الميل إلى استعمال الوسائل الفونيمية في اللغة اقتصاديا، وبطريقة سهلة قدر الإمكان" [4].

فالهروب من الثِّقل ،أوكما عبَّروا هم عنه بجعل عمل اللِّسان من وجه واحد، هو نفسه ما عناه المحدثون بالإقتصاد في الجهد العضلي وجعلوه الهدف الرئيس من وراء حدوث ظاهرة المماثلة .

ويمكن تلخيص حالات التأثر كالتَّالي:

1-التأثر المقبل الكلي في حالة الاتصال وفي هذه الحالة يتأثر الصوت بالصوت الذي قبله مباشرة فيتحول إلى الصوت السابق نفسه ويدغم فيه.

2-التأثر المقبل الكلي في حالة الانفصال: وفي هذه الحالة يتأثر الصوت بالصوت الذي يسبقه، ولكنه يفصله فاصل من صوت صامت أو صائت فيتحول إلى صوت مماثل للصوت السابق.

---

[1]- ابن خالوية ، الحجة في القراءات السبع ، تحقيق وشرح : عبد العال سالم مكرم ، دار الشروق د.ط.د.ت ، ص 63

[2]- ينظر: الخصائص،ص 139/2 .

[3]- ينظر: التصريف العربي من خلال علم الأصوات، ص69-70

[4]- ينظر:أحمد مختار عمر،البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر،ص 119.

3-التأثر المقبل الجزئي في حالة الاتصال: ويكون ذلك بأن يتأثر الصوت بصوت سابق له، يماثله في القرابة المخرجية، أوفي بعض الصفات الصوتية، فيتحول الصوت اللاحق إلى صوت آخر قريب الشبه في المخرج أو في الصفات[1].

4-التأثر المقبل الجزئي في حالة الانفصال:وذلك بأن تتأثر الأصوات اللاحقة بما قبلها من الأصوات غير المتصلة بها مباشرة،حيث يفصل بينهما فاصل ويتم التحول في ضوء القرابة المخرجية أوالاتفاق في الصفة وأخيرا،5-التأثر المدبر الكلي في حالة الاتصال.[2]

ونماذج هذه الحلات في **سورة آل عمران** هي كالتالي:

1/التأثر المقبل الكلي في حالة الإتصال:

ومنه في سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾[3]، قرأ الجمهور (تدَّخرون) بدال مشددة ، وقرأ **أبو شعيب السوسي** (وما تذْدَخرون) من غير إدغام[4] .

"والأصل يدخرون من الفعل يفتعلون....يراد به يدتخر، فلما اجتمعت الذال والتاء وهما متقاربتا المخرج، ثقُل إظهارهما على اللسان، فأدغمت إحداهما في الأخرى وصيرتا دالا مشددة صيَّروها عدلا بين الذال والتاء"[5]، "ذلك أنَّهم وجدوا التاء إذا سُكِّنت واستقبلتها ذال دخلت التَّاء في الذال فصارتا ذالا، فكرهوا أن تصير التاء ذالا فلا يُعرف الافتعال من ذلك، فنظروا إلى حرف يكون عدلا بينهما في المقاربة فجعلوه مكان التاء ومكان الذال"[6].

وقد فسَّر **الزجاج(ت311ه)** هذا الإبدال بأسلوب علمي ممتاز فذكر **"أن الذال حرف مجهور لا يمكن للنَّفس أن يجري معه لشدة اعتماده في مكانه،والتاء مهموسة،**

---

[1]- حسام البهنساوي، علم الأصوات، ص201

[2]- نفسه، ص 205

[3]- من الآية(45) من سورة آل عمران .

[4]- ينظر: البحر المحيط ،ص476/2.

[5]- الطبري،محمد بن جرير(ت310ه)،جامع البيان عن تأويل آي القرآن،دار الفكر،بيروت،لبنان1405ه/1984م،ص280/3

[6]- ينظر:الفراء، معاني القرآن،ص215/1.

فأبدل من مخرج التاء حرفا مجهورا يشبه الذال في جهرها وهو الدال فصارت تذدخرون، ثم أدغمت الذال في الدال فصارت تدَّخرون وجائز فيها تذَّخرون."[1]

يذتخر←يذدخر← يدَّخر

فقولك (تدَّخرون) يندرج ضمن **التأثر المقبل الجزئي في حالة اتصال**، و قولك (تذَّخرون) هو **تأثر مدبر كلي في حالة اتصال**.

ومن قبيل هذا النَّوع من الأمثلة، قوله تعالى:﴿ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[2] ،القراء بإظهار الراء مع اللام،وزعم بعض النحويين أن الراء تدغم مع اللام فيجوز(ويغفر لكم) وهي قراءة مروية عن أبي عمرو بن العلاء، واعتبرها **الزجاج** خطأ في العربية "**لأن الراء حرف مكرر،فلو أدغمت في اللام ذهب التكرير وهذا إجماع النحويين الموثوق بعلمهم** "[3].

وقد حاول **أبو جعفر النحاس** (ت338ه)تخريجه عن طريق تأويل هذه القراءة، فقال إن أبا عمرو لم يكن يدغم، وإنما كان يقلل حركة اللسان مع الراء، أو يخفيها، وكأنه يعني بذلك ما يقوله علماء اللغة المحدثون عن وجود ما يسمى بالرَّاء الاستلالية أواللمسية،التي يقتصر الصوت فيها على ضربة واحدة في سقف الحلق ؛ومعنى هذا أن هذه القراءة خارجة عن أمثلة الإدغام كلية .[4]

وإن كان لهذا الإدغام تخريج آخر أقرب إلى ما قالت به الدراسات الصوتية الحديثة، قال به **ابن عصفور**"**وهو أن الراء إذا أدغمت في اللام صارت لاما،ولفظ اللام أسهل من الراء لعدم التكرار فيها ،وإذا لم تدغم الراء كان في ذلك ثقل، لأن الراء فيها**

---

[1]-ينظر: الزجاج،أبي إسحاق إبراهيم السري (311ه) تهذيب معاني القرآن و إعرابه، هذبه و علق عليه و خرَّج حديثه الشيخ عرفان بن سليم العشا حسونة، المكتبة العصرية صيدا، بيروت ط1، 2006م/1427ه، ص276/1

[2]- من الآية(31) من سورة آل عمران .

[3]- ينظر: الزجاج ،تهذيب معاني القرآن وإعرابه ص265/1

[4]- ينظر:أحمد مختار عمر، دراسات لغوية في القرآن الكريم و قراءاته، ص36

تكرار فكأنـــها راءان واللام قريبة من الراء،فتصير كأنك أتيت بثلاثة أحرف من جنس واحد.[1]

وإدغام الراء في اللام أمر أيَّدته الدراسات الصوتية الحديثة، يقول **إبراهيم أنيس:** "والذي يبرر هذا الإدغام هو قرب المخرج مع إتحاد في الصفة، لأن كلا منهما صوت متوسط بين الشدة والرخاوة، ولا يكاد يسمع للراء حفيف، مثلها في ذلك مثل أشباه أصوات اللين، التي منها اللام، هذا إلا أن الراء في نظر المحدثين من أوضح الأصوات الساكنة في السمع، وكل ما يتطلبه إدغام الراء في اللام هو ترك التكرار المختصة به "[2].

2/ التأثر المقبل الكلي في حالة الإنفصال:

يندرج ضمن هذا الشَّكل من أشكال التغيُّر مايطلق عليه القُراء،تسـمية الإدغـام الكبير وعُرف به أبو عمرو بن العلاء خاصة، و ممـا ورد منـه في سـورة آل عمـران ﴿ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ (03) ﴿ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ ﴾ (18)، ﴿ وَيَعْلَمُ مَا ﴾ (29) ﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ ﴾ (41)، ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (124).

يقول ابن جني: "**فإن كان الأول من المثلين متحركا ثم أسكنته وأدغمته في الثاني فهو أظهر أمرا وأوضح حكما،ألا ترى أنـك إنـما أسـكنته لتخلطـه بالثـاني، وتـجذبه إلى مضامته ومـماسة لفظه بلفظه بزوال الحـركة التي كانت حاجزة بينـه وبينه** [3].وقد ذكر أن العرب حين أدغموا "**إنما فعلوا ذلك لكراهـة اجتمـاع مـثلين متحركين**" [4]،والبصريون –سوى **ابن جني**–رافضون لهذا الشكل من الإدغام ذاهـبين إلى أنه إخفاء وليس بإدغام[5]، أما الكوفيون فيجيزون الإدغام في هذه الحالة، وهو الصـواب

[1]– الممتع الكبير في التصريف، ص458

[2]– إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص200

[3]– الخصائص 140/2

[4]– المنصف 90/1

[5]– ينظر: الممتع الكبير في التصريف، ص455، و شرح الشافية ص 248/3

لورود قراءات قرآنية على ذلك ومنها قراءة أبي عمرو بن العلاء ﴿ شَـــهْرُ رَمَضَـــانَ ﴾[1]، بإدغام الراء الأولى في الراء الثانية[2].

ومنه في قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا ﴾ [3] قرأ الجميع بإظهار صـــوتي الغين من كلمة (**من يبتغ**) وكلمة (**غير**)، ورُوي عن أبي عمرو إدغام إحداهما في الأخرى وهو الإدغام الكبير.[4]ويعلق **العكبري** على قراءة أبي عمرو بقوله:" **وهـــو ضـــعيف لأن كسرة الغين الأولى تدل على الياء المحذوفة**" .[5]

فالعكبري يعدُّ الكسرة في هذا المثال في قوة الصَّـــائت الطويـــل ومشـــيرة إليـــه، ولـــهذا تأخذ حكمه، وقد يكون هناك سبب آخر لـــمنع الإدغام في هذه الآية، وهـــو طبيعة الصوت الصامت، وليس وجود صائت بعده، فالصوت الصامت المراد بإدغامه هنـــا هو صوت الغين.[6]وقد صرَّح سيبويه بأن أصوات الحلق ليست بأصل للإدغام لقلتها. [7]

وعلى العموم فإن الإدغام هنا يحقق الاقتصاد اللغوي والذي يظهـــر في أمـــرين: **"أولهما أن الحركة التي تكون بين المتماثلين قد سقطت، وفي هـــذا تقليـــل في عـــدد الأصوات، وثانيهما تقليل من عدد المقاطع القصيرة المفتوحة المتتالية.**"[8]

---

[1]- من الآية(185) من سورة البقرة .

[2]- الإتحاف،ص 113/1.

[3]- من الآية(85) من سورة آل عمران .

[4]- ينظر:تفسير التحرير والتنوير،ص 303/3

[5]- العكبري، إملاء ما من به الرحمان من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت دت ص83/1

[6]- ينظر:أحمد مختار عمر، دراسات لغوية في القرآن الكريم و قراءاته عالم الكتب القاهرة ط1، 1421ه/2001م، ص18

[7]- الكتاب،ص 449/4

[8]- إستيته سمير شريف،القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية ،ص114

3/ التأثر المدبر الكلي في حالة الإتصال:

وذلك في قوله تعالى:﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [1] وكذلك ﴿ قُلْ سِيرُوا ﴾[2]، قَرأ **أبان بن تغلب**[3] (قل صدق) بإدغام اللام في الصاد [4].

وقد علَّل ابن جني لهذه القراءة فقال: "**وعلة جواز ذلك فشو هذين الحرفين، أعني الصاد والسين في الفم بانتشار الصدى المنبث عنهما فقاربتا بذلك مخرج اللام، فجاز إدغامها فيهما،وكذلك هي أيضا مع الزاي ومع الطاء والذال والتاء.**"[5]

"لأن الصاد فيها انبساط وفي اللام انبساط بـــحيث يتلاقى طرفاها فصارا متقاربين". [6]

وحقيقة الأمر أن اللام في هذه الحالة في موضع ضعف ،فعدم تحصُّنها بصائت جعلها عرضة للفناء والتأثر بـــما يـــجاورها من أصوات ،في حين أن الصاد تـــحتل قوة موقعية تفرض عليها التأثير على الصَّوت السَّابق لها غير ذي صائت ،أما صفة الصَّفير والانبساط على حدِّ قول القدامى ، فهي عوامل مساعدة ساهمت في زيادة قوة الصاد ،ولكنها ليست العلَّة الأساس لوقوع هذا التأثر.

ومنه في قوله تعالى:﴿ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾[7]، قرأ **سعيد بن جبير**[8] (لَّما) بالتشديد،واحتُمل أن يكون أصلها التخفيف فزيدت (من) فصارت (لمن ما).[9]

---

[1]- من الآية(95) من سورة آل عمران .

[2]- من الآية(69) من سورة النمل .

[3]- أبان بن تغلب :الربعي أبو سعد ،ويقال له أبو أميمة الكوفي النحوي الجليل، قرأ على عاصم وأبو بكر الشيباني وغيرهما توفي(141هـــ)،ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء ، ص: 4/1.

[4]- البحر المحيط ،ص05/03 .

[5]- ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها تحقيق: على النجدي ناصف، عبد الحليم النجار، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء كتب السنة القاهرة 1415ه1994،ص 165/1

[6]- العكبري ، إملاء ما من به الرحمان،ص 143/1

[7]- من الآية(81) من سورة آل عمران.

[8]- سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الألبي مولاهم أبو محمد ويقال أبو عبد الله الكوفي التابعي الجليل والإمام الكبير،قتله الحجاج بواســـط شهيداً في سنة 59هـــ.ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء،ص277/1.

[9]- ينظر: الجامع لأحكام القرآن،ص 111.

يقول **العكبري** "**أراد (لمن ما) ثم أبدل من النون ميما لمشابهتها إياها، فتوالت ثلاث ميمات فحذف الثانية لضعفها بكونها بدلا وحصول التكرير بها**" [1].

"فالتقاء النون الساكنة في آخر الكلمة مع صوت آخر مقارب لها في المخرج في أول كلمة ثانية ، يؤدي إلى أن تتأثر النون بذلك الصوت، وقد يصل ذلك التأثر إلى درجة الإدغام التام ،أي تحول النون إلى جنس الصوت التالي ،فيجد الكاتب نفسه حينئذ بين الاستجابة لواقع النطق فيصل الكلمتين ،وبين أن يحفظ لكل كلمة أصل رسمها"وقد قال **أبو بكر أنباري**، وهو يتحدث عن قطع ووصل (أن لا): فالمواضع التي كتبت فيها مقطوعة كتبت على الأصل لأن الأصل فيه (أن لا) فأدغمت النون في اللام لقرب مخرجها منها.[2] فمراحل تحول هذه الصيغة كالتالي :

لِمن ما ← لِمم ما← لِمما←لَّما .

ومنه في سورة آل عمران قوله تعالى:﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾[3]، ﴾[3]، وقوله:﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَلا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الآخِرَةِ﴾[4].

وكل هذا من قبيل **التأثر المدبر الكلي في حالة اتصال** .

كذلك روى عن **أبي عمرو**، في قوله تعالى﴿ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ ﴾[5]"**بإدغام الحاء في العين، ولا يدغم فيها إلا مثلها** "[6].

ووَصَفَ العلماء كيفية حدوث إدغام العين في الحاء، "**أنه إذا اجتمعت العين مع الحاء، وتقدمت العين كنت بالخيار، إن شئت أدغمت فقلبت العين حاء نحو (اقطع**

[1]- إملاء ما من به الرحمن ص142/1.

[2]- غانم قدوري الحمد رسم المصحف،دراسة لغوية تاريخية اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن 15ه، العراق، ط2،1982م ص 456-457 ،نقلا عن الأنباري، إيضاح الوقف و الابتداء 1،ص/145-146

[3]- من الآية(92) من سورة آل عمران .

[4]- من الآية(167) من سورة آل عمران .

[5]- من الآية(185) من سورة آل عمران.

[6]- الزمخشري، المفصل في علم العربية تحقيق: سعيد محمود عقيل، دار الجيل،بيروت، لبنان، ط1 2003م/1424ه، ص511

حملا)، و إن شئت لم تدغم، وإن تقدمت الحاء فالبيان، ولا يـــــجوز الإدغـــام إلا أن تقلب العين حاء و تدغم الحاء في الحاء"[1].

كما ذُكر الإدغام[2] في قول تعالى﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا ﴾[3] ،من قبل الكـــوفيين غير **عاصم** والبصريين غير **يعقوب**[4] ، **ولابن عامر** [5] **"وعلة الإدغام ضعيفة، لأن الـــدال أقوى من الثاء، للجهر الذي في الدال فأنت تنقلها بالإدغام إلى الأضعف من حالهـــا، فالإظهار أقوى وأولى"**[6].

والدراسة الصوتية الحديثة تُجيز هذا الإدغام ،فلا دخل للجهر والهمس في إحداث التأثير ،فهما ليستا من صفات القوة ،ولكن الذي تحكَّم هنا هو القوة الموقعية ،فالـــدال في نِهاية المقطع والثاء في بدايته ، والبداية أقوى وأصمد بخلاف النهاية .

فالذي يزداد قوة مع الإدغام هو إدغام التاء في الطاء نحو ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ ﴾[7]، ﴿ وَدَّتْ طَائِفَةٌ ﴾ ، ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ﴾ [8] **لأن التاء حرف ضعيف للهمس الـــذي فيه والطاء حرف قوي للإطباق والاستعلاء والشدة اللواتي فيها،فهو أقوى من التـــاء كثيرا،فإذا أدغمت التاء نقلتها من ضعف إلى قوة مكررة.** [9]

والملاحظ أن هذا الشكل من الإدغام يندرج ضمن **الإدغام الرجعي**، حيث يكون موقع الصوت المدغم سابقا، وهو في هذا الموقع يكون دائما، نهاية المقطع،فهـــو ضـــعيف

---

[1]- ينظر:ابن عصفور، المقرب ،ص09/2

[2]- القباقي محمد بن خليل (777ه-849ه)، إيضاح الرموز و مفتاح الكنوز، الجامع للقراءات الأربعة عشر، دراسة و تحقيق، فرحات عياش، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1995، ص193

[3]- من الآية(145) من سورة آل عمران .

[4]- يعقوب بن إسحاق بن يزيد بن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي البصري،كان أعلم الناس في زمانه بالقراءات والعربية والرواية والرواية وكلام العرب والفقه.انتهت إليه رياسة الإقراء بعد أبي عمرو، ت(205ه)،ينظر:غاية النهاية في طبقات القراء ،ص336/2.

[5] -ابن عامر:هو عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة بن عامر بن عبد الله بن عمران اليحصبي ،إمام إهل الشام في القراءة ،توفي بدمشق يوم عاشوراء ،سنة (118هـــ) ،ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء ، ص:1/ 381،380.

[6]- الكشف عن وجوه القراءات السبع و عللها و حججها،ص217/1

[7]- من الآية(72) من سورة آل عمران .

[8]- من الآية(69)ومن الآية(122) من سورة آل عمران .

[9]- ينظر:الكشف عن وجوه القراءات، ص204/1

عرضة للتأثر بالصوت التالي في حين أن الصوت التالي أكثر قوة لأنه بداية المقطع، فهو متمكن في موضعه[1].أما صفات القوة التي تتميز بها الطاء فلا شأن لها في حدوث الإدغام ،ذلك أن الصفات لا تأثير لها حين يتعلق الأمر بالأصوات التي من مجموعة واحدة.

بقيت أحكام النون الساكنة و التنوين و معلوم أن النون الساكنة، هي التي لاصائت لها كنون (من وعن) وتكون في الاسم و الفعل والحرف، وتكون وسطا وطرفا، والتنوين هو نون ساكنة زائدة تلحق آخر الأسماء لفظا وتفارقه خطا ووقفا؛ ومن أحكامها الإدغام وهو قسمان: إدغام بغنة، وله أربعة أصوات مجموعة في لفظ (ينمو) وهي الياء، والنون، والميم، والواو، "**فإذا وقع حرف من هذه الأحرف بعد النون الساكنة، بشرط أن يكون من كلمتين وبعد التنوين، ولا يكون إلا من كلمتين وجب الإدغام أويسمى إدغاما بغنة** ."[2] نحو قوله تعالى: ﴿ لَمَنْ يُؤْمِنُ ﴾ [3]

والنون تدغم كذلك مع الراء (أي في الراء) لقرب المخرج وتدغم في اللام،"لأنها قريبة منها على طرف اللسان، فإن شئت كان إدغاما بلا غنة ،فتكون بمنزلة حروف اللسان، وإن شئت أدغمت لأن لها صوتا من الخياشيم، فترك على حاله لأن الصوت الذي بعده ليس له في الخياشيم نصيب فيغلب عليه الإتفاق"[4] ،من ذلك في قوله تعالى ﴿ خَيْرًا لَهُمْ ﴾[5].

إن **سورة آل عمران** حوت نماذج مهمة من المماثلة التامة بين الصوامت ، وظهرت فيها نماذج أُشكِل على علماء العربية القدامى إيجاد تخريج لها ،واستطاع الدَّرس الصوتي الحديث ،شرحها والتَّعليل للقراءة بها ،إضافة إلى أن جل حالات التأثر كانت من قبيل المماثلة الرجعية، وذلك الأصل في العربية ،وإن كان ذلك لا يمنع تواجد حالات من التأثر التقدمي .

---

[1]-ينظر: أثر القراءات في الأصوات و النحو العربي، ص237

[2]- البرهان في تجويد القرآن، ص07

[3]- من الآية(199) من سورة آل عمران.

[4]- ينظر الكتاب،ص 4/452-453

[5]- من الآية(110) من سورة آل عمران .

ب-المماثلة الجزئية :

وهي تشمل ماعُرف عند القدامى بالإبدال ويراد به إقامة حرف مكان حرف مع الإبقاء على سائر حروف الكلمة، على أن البدل لا يتم إلا إذا كان بين البدل والمبدل منه علاقة صوتية، كقرب المخرج أو الاشتراك في بعض الصفات الصوتية كالجهر والهمس والشدة والرخاوة، وهو مذهب **أبي زكريا الفراء** [1] .والإبدال بهذا المفهوم شكل من أشكال المماثلة.

و قد ذكر **ابن جني** نقلا عن **أبي علي الفارسي**، أن الأصل في الإبدال أن يكون فيما تقارب وتدانى من الحروف[2] ،"**أصل القلب في الحروف إنما هو فيما تقارب منها وذلك الدال والطاء والتاء، وغير ذلك مما تدانت مخارجه**"[3].

وعبَّر عنه ابن جني **بالإدغام الأصغر**، الذي هو "**تقريب صوت من صوت من غير إدغام يكون هناك**" [4]، أو مما يكون الإبدال للتقريب هو الأصل، ثم يدخله الإدغام التقاطا من غير قصد، وذكره فيما كان في تاء الافتعال وما تصرَّف منه في النون الساكنة إذا وليها ميم أوياء .[5]

ومن نماذج الإبدال الواردة على سبيل المماثلة الجزئية في سورة آل عمران ،**إبدال التَّاء طاء** في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾[6].

---

[1]- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص73، و ينظر: البطليوسي أبي محمد عبد الله (ت 521ه)، الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ،تحقيق: محمد باسل عيون السود دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1420ه/1999م،ص331/1

[2]- الدراسة اللهجية و الصوتية عند ابن جني، ص98

[3]- سر الصناعة، 197/1

[4]- الخصائص، 141/2

[5]- الدراسة اللهجية و الصوتية عند ابن جني، ص347

[6]- من الآية(42) من سورة آل عمران .

ففي (اصطفاك)" **تبدل من التاء طاء، كما أبدلت منها بعد الطاء والضاد والصاد والظاء لتوافقهن في الإطباق**"[1]؛ وعلة **الفراء** لوقوع هذا الإبدال هوكراهة إدغام المصوت في الأخرس[2].

ويرجع السبب في هذه المماثلة الجزئية، هو أن تتابع التاء المرققة والصوت المفخم بعدها مستثقل مكروه في النطق، لأنه يجمع بين صوتين متحدين أو متقاربين في المخرج، ومتنافرين في الصفة، فالاستثقال والترقيق الذي تمثله التاء مناقض للاستعلاء والتفخيم الذي تمثله الأصوات المطبقة في العربية، ومن هنا كان الحل التسوية وهو الإطباق على سبيل المماثلة الجزئية [3].

ولا يخرج تعليل **ابن جني** عن هذا التصور، وإن عبَّر عنه في كتابه المنصف بالتجنيس،حيث قال: "**و العلة في أن لم ينطق (بتاء افتعل)على الأصل، إذ كانت الفاء أحد الحروف التي ذكرها و هي حروف الإطباق، أنهم أرادوا تجنيس الصوت وأن يكون العمل من وجه واحد بتقريب الحرف من الحرف، فهذا يدُلُّك من مذهبهم على أن للتجنيس عندهم تأثيرا كبيرا**"[4].

فقد علَّل الإبدال بذكر الاستعلاء في هذه الأصوات من غير الإشارة إلى الإطباق فيها:"**فأبدلوا من التَّاء ما هو مستعل من حيِّزها وهو الطاء** "[5]، على أن عبارته في **سر الصناعة** خير منها في المنصف: "**لما رأوا التاء بعده هذه الأحرف والتاء مهموسة، وهذه الأحرف مطبقة، والتاء مخففة قربوها من لفظ الصاد والضاد والظاء بأن قلبوها إلى أقرب الحروف منهن وهو الطاء، لأن الطاء أخت التاء في المخرج، وأخت هؤلاء**

[1]- الفارسي، أبي علي الحسن (ت377ه) التكملة وهي الجزء الثاني من الايضاح العضدي،تحقيق : جسن الشاذلي فرهود ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1984،ص280.

[2]- يعني بالمصوت، الصوت الرخو و بالأخرس الصوت الشديد، ينظر: ما ذكره الكوفيون في الإدغام، ص45

[3]- أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، ص223

[4]- المنصف،ص 324/2-325

[5]- نفسه ،ص 327/2

الأحرف في الإطباق و الاستعلاء ،قلبوها مع الطاء طاءا أيضا لتوافقهما في الجهر والاستعلاء وليكون الصوت متفقا"[1].

وإن كان من المحدثين من ذهب إلى أن علة التأثير تكمن في أمرين اثنين:

1-موقع الصوت المؤثر في المقطع.

2-وضعه بالنسبة للنبر، فالصوت الذي يقع في بداية المقطع أقوى من ذلك الذي يشكل نهاية المقطع، والصوت الذي يقع عليه النبر أقوى من غير المنبور، ولا دخل للجهر ولا التفخيم في هذا الأمر، وإنما هما مجرد عاملين مساعدين[2].

وهذا **التأثر تقدمي** لأن الصوت الثاني تأثر بالأول"[3].

كذلك تبدل النون ميما على سبيل المماثلة الجزئية "**بشرط سكونها و وقوعها قبل باء من كلمتها أو من غيرها"**[4].

نحو قوله تعالى: ﴿غَمًّا بِغَمٍ﴾ [5]، ﴿ وَأَنْبَتَهَا ﴾ ،[6]ومُوجب الإبدال عسر النطق النطق بالأصل[7]،"**وقُلبت النون ميما خاصة من أجل مواخاة الميم للنون في الغنة، ومشاركتها للباء في المخرج فتقلب ميما من أجل ذلك"** [8]، فالنون الساكنة لم تقلب باءا باءا لبعد الباء عن مَخرج الميم ولأن ليس فيها غنة، فأبدلوا في مكانها أشبه الأصوات بالنون وهو الميم [9].

ففي نظر القدامى،الميم تسمح بالحفاظ على الغنة من الضياع مع تقليل عمل اللسان بِحيث يعمل في موضع واحد ،من أجل إصدار صوت الباء ثم صوت الميم بدل النون.

---

[1]- سر الصناعة،ص 2/217-218

[2]- أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، ص200

[3]- دراسة الصوت اللغوي، ص333

[4]- شذا العرف في فن الصرف، ص139

[5]- من الآية(153) من سورة آل عمران .

[6]- من الآية(37) من سورة آل عمران .

[7]- أبو حفص،عمر، فتح اللطيف في التصريف على البسط والتعريف، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،ط1 ،1991، ط2 ،1993،ص 327

[8]- ينظر: التحديد في الإتقان، ص244

[9]- ينظر:اللغة العربية معناها و مبناها، ص287

قال **سيبويه**:" **وتقلب النون مع الباء ميما، لأنهما في موضع تعتل فيه النون، فأرادوا أن تدغم هنا إذا كانت الباء من موضع الميم**"[1]، فالميم تبدل من النون الساكنة إذا وليها الباء، وذلك لأن الباء شفهية وهي بعيدة المخرج عن النون، وتجاورهما في كلمة واحدة يتطلب مزيدا من التأني في الأداء، لهذا وجدنا أنهم أبدلوا النون ميما شفهية لتجانس الباء الشفهية، وفي الوقت نفسه تحتفظ بالغنة التي في النون هذا وجه ، ووجه آخر أن سيبويه جعل إبدال النون هنا ميما للإدغام، وتسمى هذه الظاهرة عند علماء القراءات (إقلابا) وأمثلتها كثيرة في القرآن الكريم وعليها جمهور القراء[2].

والواقع أن هذا الشكل من أشكال المماثلة الجزئية يعزز فكرة القوة الموقعية ،فعلى الرغم من غنة الباء وسهولتها في النطق وخصائصها الصوتية المميزة ،إلا أنها أبدلت ميما بسبب موقعها في الكلمة ،فقد اشترط لوقوع هذا الإبدال أن تقع النون مسكنة بعد الباء ، ففي خلوِّها من الصَّائت نزع للحصانة التي يقدمها عادة الصوت الصائت للصامت ،إضافة إلى أن وقوعها بعد الباء يجعلها تحتل نهاية المقطع والصَّوت الواقع نهاية المقطع عرضة للتغيُّر أكثر من سواه .

كما ورد في سورة آل عمران شكل من أشكال الإبدال لداعٍ لهجي على نحو تعليق **الفراء** على قوله تعالى : ﴿ مِنْ طِينٍ لازِبٍ ﴾ [3]

"**اللازب و اللاتب واحد،وقيس، تقول طين لاتب**"[4].

وعليه قول **كُثَيِّر**:

فَمَا وَرِقُ الدُّنْيَا بِبَاقٍ لأَهْلِهِ * ولاَ شِدَّةُ البَلْوَى بِضَرْبَةِ لاَزِمِ[5]

أراد لازب فأبدل الباء ميما،قال صاحب الصحاح :ضربة لازب أفصح من لازم[6] ،

[1]- الكتاب،ص 453/4

[2]- ينظر: الإقناع،ص 257/2 و غيره من كتب القراءات

[3]- من الآية(11) من سورة الصافات .

[4]- ينظر : الفراء، معاني القرآن، 384/2

[5]- اللسان مادة (لزب)، 738/1

[6]- ينظر : المزهر في علوم اللغة،ص74/1.

ومنه في سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾[1]

"**فإن الباء والميم صوتان متقاربان في المخرج فيقام كل واحد منهما مقام الآخر**"[2]،و(بكة) لغة في (مكة) بإبدال الميم باءا، [3]وذكر منه السيوطي:"**الظأب والظأم، سلف الرجل،يقال تظاءبا وتظاءما:إذا تزوجا أختين،والربا والرما،وما اسمك وباسمك**"[4].

فمخرج كل من الباء والميم من الشفتين وكلاهما صوت مجهور ولايفرق بينهما سوى صفة الشدة في الباء والتوسط في الميم، وسوى أن مجرى الهواء مع الميم من الأنف ومع الباء من الفم مما يجوِّز وقوع الإبدال الصوتي بينهما.

وكلُّ ذلك على سبيل **المماثلة المدبرة الجزئية في حالة إنفصال**،وإن كان هذا الشَّكل من الإبدال ،وعلى الرغم من التعليلات الصَّوتيَّة له يبقى إبدالا لداع لهجي ، والقرآن باحتوائه لمثل هذه الحالات ؛إنما يعكس مدى استيعابه لكلام العرب من مختلف روافده.

وهكذا فإن حالات المماثلة الجزئية الواردة في سورة آل عمران لم تخرج عن الغرض الأساس الذي احتج به العلماء لوقوعها ،وهو السَّعي لجعل عمل اللسان في مستوى واحد قصد التخفيف و الاقتصاد في الجهد العضلي.

---

[1]- من الآية(96) من سورة آل عمران .

[2]- الرازي، التفسير الكبير،ص 135/8

[3]- عُزيت هذه اللهجة إلى مازن بن ربيعة وإلى بني أسد ،ينظر: اللهجات العربية في التراث ،ص412.

[4]- المزهرفي علوم اللغة وأنواعها،ص358/1.

2- المماثلة بين الصوائت :

إن إيثار العربية للتجانس ورغبتها في السهولة والتيسير بين الأصوات يدفعها إلى تطبيق حالات المماثلة السابقة على الصوائت ،وذلك كلما وجدت اللغة إلى ذلك سبيلا؛ فإلغاء التَّنافر كما يشمل الأصوات الصَّامتة ،فهويعني الصَّوائت ،إذ تتَّخذ المماثلة بين الصَّوائت عِدَّة أشكال منها :

أ-الإمالة:

وهي شكل من أشكال التَّغيير رغبة في الانسجام، والإمالة لغة:" **العدول إلى الشيء و الإقبال عليه**"[1]، واصطلاحا: أن ينحي بالفتحة نحو الكسرة، وزاد بعضهم وبالألف نحو الياء[2].يقول **سيبويه** :" **الإمالة أن تنحو بالفتحة نحو الياء بضرب من تجانس الصَّوت**[3] "فالإمالة تَنَاسُب الصوت[4].

وقدَّم **المكي بن أبي طالب** تعليلا علميا لعلَّة إمالة الألف إلى الياء يقول :"**الألف أقرب إلى الياء في المخرج منها إلى الواو ؛ لأن الواو من الشفتين، والياء من وسط اللسان ، فالياء قريبة من الألف و الكسرة من الياء ، فحسُن أن تقرُب الفتحة ؛ التي هي من الألف إلى الكسرة ، التي هي من الياء لتقرب الألف التي بعد الفتحة إلى الياء التي هي أصلها ؛ لقُرب مابين الألف والياء، وبُعد ذلك في الضمة مع الفتحة ،لبُعد الواو من الألف ، وأيضا فإن الألف تؤاخي الياء في الخفة ،وتبعُد من الواو لثقل الواو، فحَسُن تقريب الفتحة ، التي هي من الألف إلى الكسرة ؛ التي هي من الياء ؛ لمؤاخاة الألف الياء في الخفة ،وبعُد ذلك من الواو ؛ لبُعد الواو من الألف في الثقل**".[5]

---

[1]- لسان العرب ،مادة (ميل)، ص 236/11

[2]- ينظر:الخصائص،ص 141/2

[3]- ينظر:الكتاب ،ص117/4.

[4]- ينظر: همع الهوامع شرح جمع الجوامع، ص183/6

[5] - الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ،ص477/2.

فالقُرب المخرجي بين الفتحة والكسرة ،كونهما صوتان أماميان، يُعلِّل ميل الألف نحو الكسرة؛ في حين أن الضمة صوت خلفي؛ في الإنتقال إليه قدر من الثقل والصعوبة يُمكن تجنُّبه.

والإمالة على ضربين إمالة شديدة،ويُطلق عليها: الإضجاع والبطح،والإمالة المحضة، الكبرى، والكثير والكسر[1]، وهي تُشكل ما يرمز له في الصَّوائت المعيارية بـ(e)[2]. وهناك الإمالة المتوسطة، وفيها يُؤتى بالصَّوت بين الفتح المتوسط، والإمالة الشديدة، ويُطلق عليها الإمالة الصغرى والتقليل والتلطيف، وبين بين وبين اللفظين أي بين الفتح والإمالة المحضة ،[3] ويُرمز له بـ (E)[4].

"فاللِّسان مع الفتح يكاد يكون مستويا في قاع الفم، فإذا أخذ في الصُّعود نحو الحنك الأعلى بدأ حينئذ ذلك الوضع الذي يسمى الإمالة وأقصى ما يصل إليه اللسان في صعوده نحو الحنك الأعلى هو ذلك المقياس الذي يسمى عادة بالكسرة الطويلة كانت أو قصيرة فهناك، إذن مراحل بين الفتح و الكسر، لا مرحلة واحدة، من أجل ذلك كان القدماء يقسمون الإمالة إلى نوعين: إمالة خفيفة و إمالة شديدة".[5]

وذهب بعض المحدثين إلى قِدم ظاهرة الإمالة مُستدلاً بنقوش قديمة كتبت بحروف يونانية، مما حدا بعضهم إلى القول بأن صوت الإمالة كان أحد الصَّوائت الأساسية في اللغات السامية ثم فقد قيمته، وأصبح مجرد صورة نطقية ،لذلك يقرر **برجشتراسر**، أن الإمالة في بعض اللهجات العربية القديمة إنَّما كانت بقية من آثار ذلك الصوت الرابع الموجود في اللغة السامية القديمة.[6]

---

[1]- ينظر: النشر،ص 29/2 ، وشرح الشافية،ص 970/4

[2]- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص41

[3]- النشر في القراءات العشر ،ص 24/2

[4]- أنيس، الأصوات اللغوية، ص41

[5]-إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص57

[6]- ينظر: التطور النحوي ، ص34.

وهي في الأساس ظاهرة قُصد بـــها "**مناسبة صوت نطقك بالفتحة لصوت نطقك بالكسرة التي قبلها كعماد، أوبعدها كعالم أولصوت نطقك بياء قبلها،كسيال وشـــيبان أوقصد مناسبة فاصلة لفاصلة مـــمالة، أوقصد مناسبة إمالة لإمالة قبل الفتحة، أوقصد مناسبة صوة نطقك بالألف بصوت نطقك بأصل تلك الألف**"[1]، ففائدة الإمالة تكمـــن في تحقيق سهولة النطق واللفظ،"**وذلك أن اللسان يرتفع بـــالفتح وينحـــدر بالإمالـــة، والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع، فلهذا أمال من أمال، وأما من فـــتح فإنـــه راعى كون الفتح أمتن أوهو الأصل**" [2].

يقول **الأشموني**: "**اعلم أن الغرض الأصلي منها هو التَّناسب وقد ترد للتنبيـــه على أصل أوغيره...وذلك أن النطق بالفتحة والألف تصعد واســـتعلاء، وبالكســـرة والياء انحدار و تسفل، فإذا أملت الألف قَرَّبت من الياء ،وامتزج بالفتحة طرف مـــن الكسرة، فتصير الأصوات من نـــمط واحد في التسفل و الانحدار**"[3]، ففـــي الإمالـــة تقريب الألف من الياء، لأن الألف تطلب من الفهم أعلاه، والكســـرة تطلـــب أســـفله، فتنافرا، ولهذا جنحت الفتحة نَحو الكسرة ،والألف نَحو الياء وبـــهذا زال الثقل وحـــلَّ محله الانسجام والتَّماثل [4].

فالإمالة في الأصل نوع من الانسجام الصوتي بين الصَّوائت يـــؤدي إلى تغيُّـــر في الألف لأن الألف يكون ما قبلها أبدا مفتوحا[5]، ولِهذا عدَّها **ابن جني** ضربا من ضـــروب الإدغام الأصغر[6]؛ يُؤتى بِها نُفرة من الثِّقل وطلبا للخفَّة، وهي شكل من أشكال **التـــأثر المدبر الجزئي في حالة الانفصال.**

---

[1]- شرح الشافية ،ص05/3

[2]- ينظر: السيوطي جلال الدين ، الإتقان في علوم القرآن، ص259/1

[3]- اللهجات العربية ،نشأة وتطورا ، ص 141 ، نقلا عن شرح الأشموني،ص 220/4-221 .

[4]- اللهجات العربية في التراث ، ص 276-277 .

[5]- المحتسب،ص 219/1 .

[6]- الخصائص ، ص 141/2 .

"والإمالة أو التفخيم من أظهر الصِّفات اللَّهجية التي تعكس أثر البيئة الجغرافية والبيئة الاجتماعية في النشاط اللغوي، فمثل هاتين الظاهرتين الصوتيين هو الذي يُحدد مجال الاستعمال اللغوي، ويبين بيئته وحدوده الجغرافية المعينة،وانتمائه الاجتماعي الخاص،ويفسر لماذا يَميل بعض الناطقين إلى سهولة اللفظ فيُميل أوفَيَميل إلى المتانة" [1].

يقول **سيبويه** :" **واعلم أنه ليس كل من أمال الألفات وافق غيره من العرب ممن يميل ، ولكنه قد يخالف كل واحد من الفريقين صاحبه ،فينصب بعض ما يميل صاحبه، ويميل بعض ما ينصب صاحبه ...،فإذا رأيت أعرابيا كذلك فلا ترينَّه خلط في لغته ولكن هذا من أمرهم ."**[2]

فهي ممَّا نزل به القرآن الكريم [3]،وإن لم تكن قاعدة من القواعد الملزمة لأي قارئ من قُرَّاء الذكر الحكيم، لأنه في موقع المختار بين استعمال قراءة الإمالة وعدمه، وإذا ثبت له الاختيار أصبح استعمال الإمالة أوتركها ،قرارا يتخذه القارئ[4].وكلٌّ ذلك من من باب التَّيسير على الأمة في تلاوتها للذِّكر الحكيم.

ويجدر بالذِّكر أن اللغويين لاحظوا عدم إمالة العرب للألف عند مجاورتها لأصوات الاستعلاء، وهي **القاف و الغين والصاد، والضاء، والطاء، والظاء، والخاء** [5].

"وعِلَّة ذلك أنَّ هذه الأصوات مستعلية إلى الحنك الأعلى والألف إذا خرجت من موضعها استعلت إلى الحنك الأعلى، فلما كانت مع هذه الأصوات المستعلية غلبت عليها، كما غلبت الكسرة عليها في مساجد و نَحوها، فلما كانت الأصوات المستعلية وكانت الألف يستعلى وقَرُبت من الألف كان العمل من وجه واحد أخف عليهم،كما أن الصَّوتين إذا تقارب موضعهما كان رفع اللسان من موضع واحد أخف عليهم

---

[1]- هادي نهر،التفسير اللغوي الاجتماعي للقراءات القرآنية،عالم الكتب الحديث ،إربد،الأردن،ط1، 1429ه/ 2008م،ص 89.

[2]- الكتاب ،ص125/4.

[3]- ينظر : ابن الجزري، أبي الخير محمد بن محمد ، منجد المقرئين ومرشد الطالبين ،خدمه وعنى به: عبد الحليم بن محمد الهادي قابة دار البلاغ ، الجزائر ط1 1424 هـ/ 2003 م ، ص 96 .

[4]- تمام حسان ، البيان في روائع القرآن ، ص 303

[5]- ينظر:ابن خالوية، إعراب ثلاثين سورة ، ص 176 .

فيدغمونه."[1] فالقصد من أن الألف يستعلي، أن الفراغ بين الحنك واللسان الذي يستوي في قاع الفم حين نطق الألف يكون كبيرا بما يكفي ليمنح هذا الصوت رنينا عاليا يشبه رنين الأصوات المستعلية.

"كذلك جعلوا الراء المفتوحة أوالمضمومة مانعة للإمالة،ولم يجعلوا الراء المكسورة كذلك ،والسبب في ذلك هو صعوبة الجمع بين التفخيم والترقيق لما بينهما من تباعد، على حين أن صوت الكسرة صائت أمامي، فساغت لذلك الإمالة عدا الراء المكسورة دون المفتوحة أو المضمومة".[2]

فإمالة الرَّاء المكسورة ،أمر مُيسَّر نتيجة لموافقة طبيعة الإمالة لمخرج الكسرة ، في حين أنَّ التفخيم المميِّز لكلٍّ من الرَّاء المضمومة والرَّاء المفتوحة ، يَجعل من حدوث الإمالة لهذين الصوتيين ،عمليَّة صعبة وثقيلة لما فيها من الجمع بين المتناقضين.

ومن القراءة بالإمالة في سورة **آل عمران** ،قراءة **الكسائي** ﴿ وَيُسَارِعُونَ ﴾[3]، ﴿ وَسَارِعُوا﴾[4]، بالإمالة وهو تسعة مواضع ثلاثة منها في **سورة آل عمران**.[5]

فجواز الإمالة هنا لكسرة الرَّاء.[6]

ومنه كذلك **أن أبا عمرو، وحمزة**[7]**برواية وأبي عمرو والكسائي**[8] ،يُميلون **كل ألف في اسم بعدها راء مكسورة إذا كان كسرها كسر إعراب** نَحو:"**في النار**"،

---

[1]- ينظر:الكتاب،ص 4/ 129.

[2]- الحملاوي ، شذا العرف في حق الصرف ، ص 180-183 .

[3]- من الآية(114) من سورة آل عمران .

[4]- من الآية(133) من سورة آل عمران .

[5]- الموضعين السابقين وفي قوله (﴿الَّذِينَ يُسَارِعُونَ ﴾ من الآية (176

[6]- ، ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1998.ص 238/1 .

[7] -حمزة:حبيب بن عمارة با إسماعيل،أحد القراء السبع ولد سنة 80هـ وإليه صارت الإمامة في القراءة بعد عاصم والأعمش وكان إماما ثقة ثبتا (ت150هـ) ،غاية النهاية في طبقات القراء ،ص236/1.

[8]- الكسائي: علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي ،مولاهم ،انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيَّات ،سمي بالكسائي لأنه حكى عن نفسه أنه أحرم في كساء ،(ت 189هـ) ،غاية النهاية في طبقات القراء،ص474/1.

في "النهار"[1] و﴿ بِقِنْطَار ﴾ ،﴿ بِدِينَارٍ﴾[2]، ﴿الأبْصَارِ ﴾[3]. **"إن وجه حسن إمالة الألف إذا إذا كان بعدها راء مكسورة أن الرَّاء حرف فيه تكرير، فكأن الكسر متكرر".**[4]

فكأنَّ النطق بالرَّاء في كل الحالات هو نطق بصوت مكرر، لصفة التكرير المميزة لهذا الصوت ،فالرَّاء المضمومة تنطق راءان ، والمفتوحة تنطق كذلك راءان ،فيصبح الأمر في نظر القدامى وكأنك تنطق بصوتين مفخَّمين مما يجعل السعي لإمالتها أمرا غير ممكن ،وعلى العكس من ذلك في حالة الرَّاء المكسورة، إذ تُنطق وكأنَّها راءان مما يضاعف التجانس ،ويُحسِّن الصوت حال إمالتها.

ـــ الإمالة لوجود الكسرة قبل الألف ظاهرة :

قرأ **ابن عامر** بالإمالة في ﴿ الْمِحْرَابِ ﴾[5]، قال **أبو علي: "قد أطلق أبو بكر القول القول في إمالة ابن عامر الألف من (محراب)، ولم يخص به الجر من غيره، وقال غيره: إنما يميله في الجر"**[6]. وحدثت الإمالة في (المحراب) لوجود الكسرة المتقدمة على الألف، فلذلك كانت الإمالة لكون الكسرة من الأسباب الجالبة لها.

"والإمالة في (مِحراب) تتقوى قليلا بسبب كسرة الميم وكسرة الباء،فلما اجتمعت قويت الإمالة بعض القوة"[7].

فصوائت الصيغة كلها كسرة؛ فيصبح الإنتقال من الكسر إلى الفتح ثم العودة إلى الكسر أمرا مستثقلا ، ويتطلب الكثير من الجهد ،لذلك تصبح إمالة الألف وهو صائت طويل، الحلَّ الأمثل لخلق المناسبة في الصوت وللتخلُّص من الثقل.

---

[1]- الأصبهاني ،الحسن بن مهران(ت 38 ه) ،المبسوط في القراءات العشر، تحقيق : جمال الدين محمد شرف ، دار الصحابة للتراث ، طنطا ، 2004،ص55 .

[2]- من الآية(75) من سورة آل عمران .

[3]- من الآية(13) من سورة آل عمران.

[4]- ينظر: ابن خالويه، الحجة ،ص66.

[5]- الآية(39) من سورة آل عمران .

[6]- الفارسي أبو علي(ت377ه) ، الحجة للقراء السبعة ،أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام ،تحقيق: بدر الدين قهوجي ،بشير حويجاتي ،عبد العزيز رباح ، أحمد يوسف الدقاق ، دار المأمون للتراث، ط1، 1987 ،ص3/38 ،39 .

[7]- الكشف،ص 172/1 .

ثم إن القرآن الكريم تكثر فيه **الإمالة لعلة الدلالة على أن أصل الفعل من ذوات الياء**،من ذلك في قوله تعالى﴿ إِلا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾[1]،قُرأت(**تقاة**) بالإمالة والتفخيم، **"فالحجة لمن أمال أنه دل على أن أصل الألف ياء، لأنَّها (تقية) فانتقلت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها كما قالوا :سار وباع ،والحجة لمن فخم: أن لفظ الياء قد زال بانقلابِها فزال حكمها كما قالوا: قضاة ورماة"**.[2]

ومنه (**التوراة**) في قوله تعالى :﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ ﴾[3].

ذلك أن راء (التوراة) فخَّمها **ابن كثير**[4] **وعاصم وابن عامر** وأضجعها **أبو عمرو والكسائي** وقرأها بين اللفظين **حمزة ونافع**[5] وروى عن **نافع** فتحها[6]، وقد كتبت في المصحف بالياء وسبب كتابته كذلك الإشارة إلى لغة إمالته[7].

"ففي الإمالة في التوراة، تقريب الألف إلى أصلها وهو الياء ولا يتمكن ذلك إلا بتقريب فتحة الراء إلى الكسرة"[8].

والتعليل نفسه تفسر به الإمالة في قوله تعالى﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾[9] وفي قوله:﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي ﴾[10]، إذ ورد رسم المصحف فيها موافقا

---

[1]- الآية(28) والآية(102) من سورة آل عمران.

[2]- ابن خالوية الحجة في القراءات السبع ، ص 107 .

[3]- من الآية(48) من سورة آل عمران .

[4]- عبد الله بن كثير (45–120ه). كان إمام الناس بمكة، لم ينازعه فيها منازع،،ولذلك نقل عنه أبو عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد والشافعي وسفيان بن عيينة وابن جريج وخلق كثير من الأئمة،كان ثقةً في الحديث،وكان فصيحاً بليغاً،ص396/1.

[5]- نافع: بن عبد الرحمن بن أبي نعيم أبو رويم ،أحد القراء السبعة والأعلام ، ثقة صالح ،أقرأ الناس دهرا طويلا ، وانتهت إليه رياسة الإقراء بالمدينة مات سنة 169ه ينظر:غاية النهاية في طبقات القراء،ص288/2،291.

[6]- ينظر:البحر المحيط ،ص378/2.

[7]- تفسير التحرير والتنوير،ص 149/3 .

[8]- الكشف،ص 241/1.

[9]- من الآية(19) من سورة آل عمران .

[10]- من الآية(39) من سورة آل عمران.

موافقا للإمالة، رسم فيه بالياء غير منقوطة، هكذا (فناده)، ومن سنته رسم الألف الممالة ياءا لأنها منقلبة عنها.[1]

كذلك ورد في سورة آل عمران **إمالة كل ألف في اسم استفهام** نحو قوله تعالى: ﴿ أَنَّى لَكِ هَذَا ﴾[2]،وقوله سبحانه:﴿ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ ﴾[3].

و(**أنَّى**) قرَّر النحاة فيها أنَّها لا تُمال إلا في الاستفهام[4]،وإنما فعلوا ذلك لأنها اسم فجعلت كالأسماء[5].

كذلك وردت **الإمالة في الألف الزائدة التي تجري على حكم الأصلية** فتمال (كسالى) و(يتامى) و(حوايا) وشبهه.

ومنه الإمالة في قوله تعالى: ﴿ فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾[6] وإنَّما وردت الإمالة في هذا الموضع لأن"**الألف هنا بمنزلة ما هو من بنات الياء، ألا ترى أنك لو قلت في معزى وفي حبلى فعلت على عدة الحروف، لم يجئ واحد من الحرفين إلا من بنات الياء، فكذلك كل شيء كان مثلهما مِمَّا يصير في تثنية أو فعل ياء، فلما كانت في حروف لاتكون من بنات الواو أبدا صارت عندهم بمنزلة ألف رمى ونحوها**" [7].وفي الحقيقة لايوجد تبرير لهذه الإمالة في هذه الحالة سوى كونها طلبا للإنسجام بين الصَّوائت.

هذه هي أهم أسباب الإمالة الَّتي ذكرها النُّحاة واللُّغويون ،وتبقى الإمالة ظاهرة لهجيَّة جيئ بِها طلبا للخفَّة ،يقول ابن الجزري :" **الإمالة لغة قبائل العرب ،دعاهم إلى الذَّهاب إليها التماس الخفَّة؛**" [8] فلهذا هي ظاهرة اختيارية تتوقف على قراءة القارئ واختياره،ويهدف من وراءها على اختلافها علاَّتِها إلى التقريب بين الأصوات أثناء النطق.

---

[1]- تفسير المنار ،ص 292/3.

[2]- من الآية(37) من سورة آل عمران .

[3]- من الآية(40) من سورة آل عمران .

[4]- شرح الشافية،ص 28/3

[5]- ينظر: التكملة ص228.

[6]- من الآية(94) من سورة آل عمران .

[7]- ينظر: الكتاب،ص 120/4.

[8]- منجد المقرئين ومرشد الضَّالين ،ص96.

ب- **الإتبـــــــاع:**

الإتباع في اللغة:" **الإدراك واللحوق، وجعل شيء تاليا لشيء**"[1]،وهو اصـــطلاحا أن تتبع الصَّائت أوالصَّامت صائتا آخر سابقاً أولاحقاً، فتغيره عما حقه أن يكـــون عليـــه لتُماثل الصَّائت المتبوع .وهو من أمثلة الانسجام بين الصوائت ولون من ألوان المماثلة على مستوى الصَّوائت لضرب من التَّشاكل، والفرار من نفرة الاخـــتلاف، ولـــذلك أتبعـــوا الصائت صائتا تَحقيقا لهذا التشاكل.

"وقد جاء الإتباع في الكلمة الواحدة كثيرا وفي الكلمتين المتجـــاورتين قلـــيلا، وبعض حالاته ظواهر لهجية تقع في لهجة هذه القبيلة أوتلك لأسباب صـــوتية ونطقيـــة معينة، ويُلاحظ بصورة عامة أن لهجات البدو أميل إلى هذا الانسجام مـــن لهجـــات الحضر التي تحقق فيها الأصوات نتيجة التأني والتؤدة في النطق". [2]

فقد عزيت صيغة (مِنْتِن) بالكسر إلى تميم وبالضم إلى الحجاز ،وقـــد جـــاءت في الخصائص مهملة العزو[3]، فتميم لم تعن نفسها في تحقيـــق صـــوتين متعـــاقبين متنـــافرين واستهلت إتباع أولهما ثانيهما حسب القرب والجوار[4].

ومنه في سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾[5].

قَرأَ **ابن عامر حمزة وعاصم والكسائي وأبو جعفر[6] وخلف[1]** بضم الضاد وضم وضم الراء مشددة والضمة ضمة إتباع للصائت العين عند الإدغام للتخلص مـــن التقـــاء

---

[1]- اللسان،ص 27/8 مادة (تبع)

[2]- عبد الحميد السيد، دراسات في اللسانيات التطبيقية (المشاكلة،التنغيم)،دارحامد،عمان،الأردن،ط1425،1ه/2004م،ص13 (المشاكلة،التنغيم)،دارحامد،عمان،الأردن،ط1425،1ه/2004م،ص13

[3]- ينظر:الخصائص،ص 35/1

[4]- صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، ط1 1960م، ط13، 1997م، ص 101

[5]- من الآية(120) من سورة آل عمران .

[6]- أبو جعفر: يزيد بن القعقاع أبو جعفر (ت130): إمام فقيه مقرئ، ثقة في رواية الحديث،. روى عن بعض الصحابة مثل ابن عمر وابن عباس وأبي هريرة وجابر بن عبد الله. قال محمد بن سعد: «كان ثقة قليل الحديث وكان إمام أهل المدينة في القراءة، فسمي القارئ بذلك»،ينظر: غاية النهاية،ص333/2.

الساكنين،سكون الجزم وسكون الإتباع[2]،"**واختلف أحركة الراء إعراب فهو مرفوع أم حركة إتباع لضمة الضاد**"[3].

وذهب النحاة في تفسير ذلك إلى عدة أوجه منها أنها ليست إعرابا، بل لما اضطر إلى التَّحريك حرَّك بالضم إتباعا لضمة الضاد [4].

وهذا نوع من **المماثلة التقدُّمية الكلية في حالة الإتصال** .

كذلك ورد الإتباع في قوله تعالى :﴿ أَلا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلا رَمْزًا ﴾[5] في قراءة الإتباع **للأعمش**[6]،"كما قرأ بِها **يحي بن وثاب**[7] **و يجوز أن يكون مُسكَّن الميم في الأصل،و إنما اتبع الضم الضم** "[8]،و حكى **أبو الحسن عن يونس** أنه قال:ما سمع في شيء (فُعْل)، إلا سمع فيه (فُعُل) و عليه قول **طرفة**:

وردا وشُقُرا، يريد شُقْرا[9].

كذلك أتبعت الضمَّة ضمَّة في قراءة قوله تعالى ﴿ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ ﴾[10] بضم الراء، قال **أبو الفتح**: ينبغي أن يكون أصله (قُرْبَان) ساكنة الراء و الضمة فيها إتباع،

1- خلف: هو خلف بن هشام بن ثعلب بن غالب الأسدى البغدادي البزار، وهو أحد الرواة عن سليم عن حمزة . واختار لنفسه قراءة فكان أحد القراء العشرة ،وكان ثقةً كبيراً زاهداً عالماً عابداً،ينظر: غاية النهاية 273/1.

2- ينظر:تفسير التحرير و التنوير،ص 69/4

3- البحر المحيط،ص 43/3

4- التبيان في إعراب القرآن،ص 235/1

5- الآية(41) من سورة آل عمران،ومن كذلك إتباع الضم بالضم في قوله تعالى﴿ الرُّعْب﴾،من الآية(151)من سورة آل عمران

6- المحتسب ،ص161/1والأعمش:أبو محمد سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي مولاهم الكوفي ،ولد سنة 60ه ،كان فصيحا لم يلحن قط ت148ه ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء ،ص315./1

7- يحي بن وثاب:الأسدي مولاهم الكوفي ، تابعي ثقة كبير روى عن ابن عمر وابن عباس (ت 103هـ) ،غاية النهاية في طبقات القراء ،ص331/2.

8- التبيان في إعراب القرآن،ص 212/1

9- المحتسب ،ص161/1-162،و الشطر لطرفة بن العبد من بيت له جاء فيه :

(**أَيُّهَا الفِتْيَانُ فِي مَنْزِلِنَا * جَرِّدُوا مِنْهَا وِرْدًا وَ شُقُرَ**)،طرفة بن العبد ، الديوان، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي ،بيروت،لبنان ط1 1424ه/2003م ص52

10- من الآية(183) من سورة آل عمران .

لتعذر (فُعُلاَن) في الكلام، وحكى صاحب الكتاب منه السُّلُطَان *وذهب إلى أن ضمة اللام إتباع لضمة الراء من القُرُفُصَاء، وإنما هي القُرْفُصاء بسكون الراء[1]، وإن ذهب بعض النُّحاة إلى عدم وجود صيغة فعلان بضم الفاء و العين[2]،في حين أن **ابن السراج** (ت316ه) لم يمنع وجود هذا الوزن في كلام العرب، إذ عده أحد أوزان الأسماء .

وكل هذا من قبيل **المماثلة التقدُّميةالكلِّية في حالة إتِّصال**.

نستنتج من هذا أن الإتباع يعد من التغيُّرات التركيبية ، الَّتي تهدف إلى إحداث نوع من المماثلة بين الصَّوائت ،وهي تعكس لهجة من اللَّهجات أو قراءة من القراءات . والقرآن الكريم بدوره استوعب هذه الظَّاهرة من منطلق إستيعابه للهجات العرب المختلفة ،وللقراءات القرآنية ،ولما يمنحه الإتباع من انسجام ومماثلة بين الصَّوائت.

* في قوله تعالى:﴿ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ من الآية(81) من سورةالأنعام ،حيث قرئ (سُلُطانا): التبيان في إعراب القرآن،ص 514/1

[1]- المحتسب،ص 178/1

[2]- البحر المحيط،ص 132/3

3-المـــماثـــلة بين الصوامـــت و الصوائـــت:

إن تأثيرا الصَّوامت في الصَّوائت لا يمكن أن نَتَلَمَّسَه في العربية تلمســـا يـــدعو إلى الاطمئنان، ذلك لأن آثار هذا التأثير لا تظهر في الكتابة، ليس في العربية وحدها وإنَّما في السَّاميات عامة، فلا يظهر مثلا تأثير صوت مطبق في الضمة في حالة اجتماعهما معا، عِلمًا بأن صوتًا من هذا القبيل قد يَجعل الضمة صوتا أكثر خلفية في مواقع أخرى.[1]

لقد أشار اللغويون إلى شيء قليل من هذا الضرب من التأثير، فيما يَخص الألـــف إذ ذهبوا إلى أن الألف:"**لا توصف بترقيق ولا بتفخيم، بل بِحسب ما يتقدمها فإنَّها تتبعه ترقيقا وتفخيما**"[2] ؛ ومن ذلك تَحريك العرب السَّاكن من أصوات الحلق بالفتحة علـــى سبيل المماثلة كما سنرى .

- فتح الحرف الحلقي:

تنـــزع الأصوات الحلقية بوجه عام إلى أن يكون الصَّائت المجاور لَها فتحة وهـــذا الأمر ظاهر في واحد من أبواب الأفعال العربيـــة علـــى الأقـــل، إذ نلاحـــظ أن بـــاب (**فَعَلَ، يَفْعَلُ**) بفتح العين في الماضي والمضارع إنـــما يكون في الأفعال التي عينها أولامها صوت حلقي[3].

لقد أشار اللغويون العرب إلى أن هذا التروع إلى الفتح في هذه الأفعال إنَّما كـــان بسبب وجود الصوت الحلقي وقد فسَّر **سيبويه** ذلك "**بأن العرب إنما فتحوا هذه الحروف لأنها سفلت في الحلق فكرهوا أن يتناولوا حركة ما قبلها بحركة ما ارتفع من الحروف، وجعلوا حركتها من الحرف الذي في حيزها وهو الألف**"[4].

وهذا يعني أن سيبويه فسَّر هذا التروع بعمليتين:

---

[1]- ينظر:في الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المد، ص280

[2]- النشر،ص 2 /215

[3]-في الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المد، ص281 ، نقلا عن الأفعال لابن القطاع ،ص143/2

[4]- ينظر:الكتاب،ص 101/4

الأول: أن هذه الأصوات اختارت صائتاً من حيزها للمجانسة ،وهي علة غير صحيحة، ذلك أن صوت الألف (والفتحة منه) ليس صوتا حلقيا[1].

الثاني: أن الفتحة صوت مستفل ،ولعله كان يشير بذلك إلى أنها من أسفل المخارج وأقصاها ،وأن استفالها تمَّ في مخرج الحلق.

"وقد زعم الكوفيون أن كل اسم كان على مثال (فعل) وعين الفعل منه حرف من حروف الحلق، فالفتح فيه والسكون جائزان معا، كالنَّهْر والنَّهَر والشَّعْر والشَّعَر"[2].

قال **الفراء**: "**والظعن يثقل في القراءة ويُخفف، لأن ثانيه عين والعرب تفعل ذلك بما كان ثانيه أحد الستة أحرف مثل: الشَّعَر والبَحَر والثَّمَر**"، واستشهد ببيت **كثيِّر(ت:105هـ)**:

لَهُ نَعْلُ لاَ تَطَبَّى الكَلْبُ رِيحَهَا * * وَ إِنْ وُضِعَتْ فِي المَجَالِسِ شُمَّتِ [3]

وأهل البصرة يجعلونه موقوفا على السماع وهو الصحيح [4]،وإن كان من المحدثين من عدَّ موقف الكوفيين أصح ومن ذهب مذهبهم كالبغداديين مستندا في ذلك إلى موقف **ابن جني** الذي خالف به مذهب أنصاره من البصريين في هذه المسألة وينحاز إلى جانب الكوفيين[5]، قال في المحتسب:" **مذهب أصحابنا في كل شيء من هذا النحو، مما فيه حرف حلقي ساكن بعد حرف مفتوح: أنه لا يحرك إلا على أنه لغة فيه، كالزَّهْر والزَّهَر والنَّهْر والنَّهَر والشَّعْر والشَّعَر، فهذه لغات عندهم كالنَّشْز والنَّشَز والحَلْب والحَلَب،والطَّرْدِ والطَّرَد، ومذهب الكوفيين فيه أن يحرك الثاني لكونه حرفا حلقيا فيجيزون فيه الفتح، وإن لم يسمعوه كالبَحْر والبَحَر والصَّخْر والصَّخَر، وما أرى القول من بعد إلا معهم، والحق إلا في أيديهم وذلك أنني سَمعت عامة عقيل تقول ذلك،**

---

[1]- في الأصوات الغوية (دراسة أصوات المد)، ص281.

[2]- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب،ص 244/1.

[3]-كثير عزة ، الديوان، شرحه: عدنان زكي درويش، دار صادر، بيروت ط1 1994، ص73.

[4]- الاقتضاب في شرح أدب كتاب،ص 244/1.

[5]- أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، ص263.

ولاتقف فيه سائغا غير مستكره، حتى سمعت الشجري يقول: أنا محموم بفتح الحـــاء، وليس أحد يدعي أن في الكلام مَفْعُولُ"[1].

والتفسير العلمي لهذه الظاهرة أن تحريك الصوت الحلقي أخف من تســـكينه، وأن كل أصوات الحلق عند صدورها من مخرجها الحلقي، تحتاج إلى اتساع في مجراها بـــالفم، فليس هناك ما يعوق هذا المجرى في زوايا الفم، ولهذا ناسبها من أصوات اللـــين أكثرهـــا اتساعا وتلك هي الفتحة[2].

إن وجه الشبه الوحيد بين أصوات الحلق وصائت الفتح ؛إنما يكمن في اتساع مجرى الهواء في الفم عند النطق بها ؛ فالصوت مع الفتح لا يحتاج بعد صدوره من الحنجـــرة إلا لارتفاع بسيط في وسطه ،وبالتالي فهو لا يكلف أي جهد عضلي وذلك مريح لأعضـــاء النطق ؛لاسيما بعد نطق صوت من أصوات الحلق.

ويمكن نستعير لفظة المماثلة من علم اللغة الحديث للتعليل الذي قدمه العلماء العرب للفتحة مع أصوات الحلق، ذلك أن الأصوات اللغوية يتأثر بعضها ببعض وهي في هذا التأثر تهدف إلى نوع من المماثلة أوالمشابهة بينهما.ويمكن أن نسمي هذا التأثر بالانسجام الصوتي بين أصوات اللغة[3]؛ والقرآن الكريم لم يَشُذَّ عن هذه القاعدة إلا في أفعال قليلة[4] ، وفي كل ذلك تحقيق للاقتصاد في الجهد [5].

ومما ورد منه في سورة آل عمران قوله تعالى ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾[6] حكـــي عـــن العرب سماعا: دَأَبْتُ دَأْبًا مثقلة محركة الهمزة كما قيل هذا شَعَر وبَهَر فتحرك ثانية لأنـــه صوت من الأصوات الستة (يعني أصوات الحلق) ،وإن كان من النحاة من أخذ القـــراءة

[1]-ينظر: المحتسب ص84/1

[2]- ينظر:في اللهجات العربية، ص170

[3]-الدراسات اللهجية و الصوتية عند ابن جني، ص341

[4]- في اللهجات العربية ،ص170

[5]- لغة القرآن الكريم، دراسة للمشتقات في الربع الأول من القرآن الكريم، ص53

[6]- من الآية(11) من سورة آل عمران .

بالتسكين مع إجازة القراءة بالفتح، يقال: **"دَأَبَ يَدْأَبُ دَؤوبًا ودَأْبًا، هكذا حكى النحويون منهم الفراء حكاه في كتاب المصادر"**[1] كما قال **امرؤ القيس:**

كَدَأْبِكَ مِنْ أَمِّ الحُوَيْرِثِ قَبْلَهَا * * وَ جَارَتِهَا أُمِّ الرَّبَابِ بِمَأْسَلِ [2]

فأما الدَّأَبُ فإنه يجوز .[3]

كذلك في مثل قوله تعالى﴿ وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ﴾[4]،"**أصله أن يأتي المضارع المضارع على (يفعِل) بكسر العين، ولذلك حذفت الواو لوقوعها بين باء وكسرة،ولكن لما كانت العين حرف حلق فتحت مع مراعاة الكسرة المقدرة، وهو نَحو وضع يضع، إلا أن هذا الفتح لكون لامه حرف حلق.**"[5]

ومنه كذلك﴿ وَيَنْهَوْنَ ﴾[6] ، ﴿ فَعَلُوا ﴾ ،[7] ﴿ مُؤَجَّلا ﴾[8]، ﴿ يَجْعَلَ﴾ [9]

فسورة آل عمران احتوت من حالات فتح الحرف الحلقي في صيغة (يَفْعَل) ما يجوِّز هذه الظاهرة ويؤكد على تحقيق القرآن الكريم لمبدأ الرغبة في التيسير وإحداث الانسجام بين أصوات اللغة.

---

[1]- جامع البيان،ص 191/3.

[2]- امرؤ القيس، الديوان، دار صادر، بيروت، ط، ت، ص32.

[3]- الجامع لأحكام القرآن، ص21.

[4]- من الآية(08) من سورة آل عمران .

[5]- ينظر:البحر المحيط، ص 371/2.

[6]- من الآية(114) من سورة آل عمران .

[7]- من الآية(135) من سورة آل عمران .

[8]- من الآية(145) من سورة آل عمران .

[9]- من الآية(176) من سورة آل عمران .

ثالثا/الظَّـــواهـــر التَّـــخالفية :

من التطورات التي تعرض أحيانا للأصوات اللغوية ما يمكن أن يُسمى بالمخالفـــة وهي أن الكلمة قد تشتمل على صوتين متماثلين كل المماثلة فيُبدل أحدهما إلى صـــوت آخر لتتم المخالفة بين الصوتين المتماثلين.[1] وهي ظاهرة تحدث بصورة أقل مـــن حـــدوث المماثلة، وإن كانت ضرورية لتحقيق التوازن وتقليل فاعلية عمل المماثلة.

"فالعلماء ينظرون إلى المماثلة على أنَّها قُوَّة سالبة في حياة اللُّغة لأنها ترمـــي، إلى تخفيف الخلافات بين الفونيمات ؛ويتخيلون أنه لو تُرك العنان للمماثلة لتعمل بحرية، فربما انتهت إلى إلغاء التفريق بين الفونيمات، ذلك التفريق الذي لا غنى له للتفاهم، ولذا فـــإن عامل المخالفة يستخدم لإعادة الخلافات التي لا غنى عنها، ولإبراز الفونيمات في صـــور أكثر استقلالية".[2]

" فلو تركت المماثلة تعمل عملها دون عوائق فربما أدى ذلك إلى خلـــط الأبنيـــة وعدم معرفة أصول الكلمات"،[3] "لذلك كانت المخالفة أمرا ضروريًّا لتحقيـــق التـــوازن وتقليل المدى التأثري للمماثلة"،[4] "إنها تقوم على استغلال الصَّوتين كل ما بينـــهما مـــن فروق فيعمِّقاها إلى حد ألاَّ يبقى بينهما مشترك، ثم يزيلا كل نقطة للتشابه، وتلك هـــي عملية المفارقة التي هي ضد التوافق" [5].وتتخذ المخالفة عدة أشكال، وهي تشمل الصوامت الصوامت والصوائت على السواء ومما ورد منها في سورة آل عمران مايلي

[1]- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص211.

[2]- دراسة الصوت اللغوي، ص330.

[3]- أصوات اللغة العربية، ص241.

[4]- عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص291.

[5]- فندريس، اللغة، ص91.

1-المخالفة بالإبدال

يُشكل هذا الجانب أكثر جوانب المخالفة شهرة، واقترانا بمصطلح المخالفة، ويتمثل في كون الكلمة التي تشتمل على صوتين متماثلين كل المماثلة يتغير فيها أحد الصوتين إلى صائت طويل-وهو الغالب- أو إلى أحد الأصوات الشبيهة بالصوائت في بعض الأحيان ولاسيما اللام والنون.[1] فالمخالفة تجري بين الأصوات التي تحتاج إلى جهد عضلي وغير ذلك يبقى المثلان دون تغييركاللآميين والنونيين، فلا تتناولها عملية المخالفة إلا في النادر من الأحيان[2] .

وقد ذكر **ابن جني** أن الناطق بصوتين متماثلين يجنح في الغالب إلى تعويض أحدهما بصوت أخف و أسهل نطقا،عادة ما ينتمي الصوت المبدل إلى مجموعة المخالفة: الياء والواو والميم واللام والنون والرَّاء، من ذلك قول بعضهم دهديت بدل دهدهت: فأبدلوا الياء من الهاء[3].

ومنه في سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ ﴾[4] فأحَسَّ من (يُحِسُّ) إحساسا وليس من قوله: ﴿ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾[5]، لأن معنى (حَسَسْت) قتلت، و(أَحْسَسْتُ) هو ظننت،[6]**"والعرب تقول من أين حسيت هذا الخبر؟ يريدون: من من أين تخبرته؟ وربما قالوا حسيت الخبر وأحسيت به، يُبدلون من السين ياء** [7].

فهذان الصَّوتان المتماثلان يحتاجان إلى جهد عضلي في النطق بهما في كلمة واحدة، ولتيسير هذا المجهود العضلي، يُبدل أحد الصوتين صوتا من تلك الأصوات التي لا تتطلب

---

[1]- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص212.

[2]- عبد الغفار حامد هلال، أصوات اللغة العربية، ص242.

[3]- ينظر:ابن جني، المنصف،ص 175/2.

[4]- من الآية(53) من سورة آل عمران.

[5]- من الآية(152) من سورة آل عمران.

[6]- الأخفش، معاني القرآن، ص343.

[7]- الفراء، معاني القرآن ،ص 217/2.

جهدا عضليا مثل أشباه الصوائت (الواو والياء) وبعض الأصوات المتوسطة كاللام والنون والواو، ويُعد ذلك مظهرا من مظاهر قانون التسيير اللغوي.[1]

كذلك ورد إبدال الراء ياءا في (**ذرية**) من قوله تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[2]، فأصلها (ذريرة) على هذا ، فلما كثرت الراءات أبدلوا الأخرى ياءا وأدغموا فيها ياء فعيلة التي قبلها[3].

فالذي تمَّ في هذه اللفظة هو إبدال الراء الثانية ياء ،ثم إدغامها في الياء الأولى ، لتصبح اللفظة (ذريَّة)،وواضح أنَّ التلفُّظ بصيغة (ذرية)،أيسر وأسهل من (ذريرة).ويمكن تلخيص ذلك على النحو التالي :**ذريرة← ذرية← ذريّة**

ومنه في قوله تعالى:﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ ﴾[4] "**ففاؤه بدل من نون، يدل على ذلك الجمع قالوا دنانير وأصله دنَّار أبدل من أول المثلين،**"[5]

وكل هذا قريب مما روته كتب اللغة والنحو من إبدال أحد صوتي التضعيف ياء نحو قولهم:"**أمليت وقصَّيت أظفاري،ولا ربيك ولا أفعل،وتسريت وتظنيت ولم يتسن، وتقضَّى البازي.**"[6] إذ كره اجتماع الأمثال، ولا طريق لهم إلى الإدغام ، فيستريحون إلى قلب الثاني ياءا لزيادة الاستثقال.[7]"**و يقال هو الإجاص، ولا تقل إنجاص، وهي الإجانة، ولا تقل إنجانة، ويقال هو الخروب والخرنوب ولا تقل خرنوب.**"[8]

---

[1]- رمضان عبد التواب، لحن العامة و التطور الغوي، ص46

[2]- من الآية(34) من سورة آل عمران .

[3]- ينظر: ابن جني، المحتسب ،ص157/1

[4]- من الآية(75) من سورة آل عمران .

[5]- ينظر:البحر المحيط ،ص498/2

[6]- المفصل، ص470، و ينظر، الخصائص ،ص231/2، المنصف،ص 175/2

[7]- ينظر:الاستراباذي، شرح الشافية،ص 210/3

[8]- ابن السكيت (186ه-244ه)، إصلاح المنطق شرح و تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون، دار المعارض، القاهرة ط4، د.ت، ص176

وقد حكى بعض اللغويين أن قوما من أهل اليمن يُبدلون الحرف الأول من الحرف المشدد نونا، فيقولون حنظ، يريدون حظا، و إنحاص و إنجانة، فإذا جمعوا رجعوا إلى الأصل[1].وعادة ما تنسب هذه الظاهرة إلى القبائل البدوية .[2]

على أن الملاحظ في الأمثلة التي سقناها، أنه أوثر فيها مجيء الياء مكان الصامت محلَّ الثقل، **ولعل علة ذلك، هوإبقاء المعنى الذي تتضمنه الكلمة قبل حذف الصامت، فلو أُدخِل صامت غير الياء، مكان الصامت المحذوف لأدى ذلك إلى تغيير المعنى، ولو جيء بالواو نصف الصائت لكانت أثقل في أدائها الصوتي من أداء الكلمة بوجود الياء، ولعل إحساس العرب بخفة الياء، إذا ما قيست بالواو كان الدافع لاستعمالها، ولهذا فقد كانت الياء شبه صائت هي الصوت الذي يتحاشى المعضلتين.** [3] إضافة لما تتميز به هذه الأصوات من سهولة في النُّطق وكونها لاتتطلب مجهودا عضليا كبيرا لإصدارها .

والعربية إن لم تجنح لهذا الأسلوب للتخلُّص من الأمثال ،جنحت إلى أسلوب الحذف كما سنرى فيما يلي :

[1]- ينظر:الإقتضاب في شرح أدب الكتاب ،ص271/1، وينظر: القالي أبي علي، االأمالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص171/2 و ابن قتيبة أبي محمدعبد الله بن مسلم ،أدب الكتاب، حققه وضبط غريبه وشرح أبياته والمهم من مفرداته :محمد محي الدين عبد الحميد دار الطلائع ، القاهرة ، دط،دت، ص281.

[2]- اللهجات العربية في القراءات القرآنية ،ص180.

[3]- ينظر:زيد خليل، الحركات في اللغة العربية، ص93.

2-المخالفة بالحـــذف :

تـــميل اللغة العربية إلى التخلص من توالي المقاطع المتماثلة فتحذف واحدا منـــها ويقصد بالمقاطع المتماثلة، ما يشمل المقاطع ذات الأصوات الصامتة المتماثلة أو المتقاربة في المخارج، ويحدث ذلك في أول الكلمة أو في وسطها أو في آخرها،كما أن العربية تميـــل كذلك أحيانا إلى التخلص من توالي الأصوات المتماثلة،سواء أكانت صوائت أم أصـــوات صامتة، والسبب في هذا صعوبة تتابع المقاطع والأصوات المتماثلة في النطق.[1]

فالعربية تميل إلى التخلص من توالي الأمثال في أبنيتها عن طريق آخـــر إلى جانـــب طريق المخالفة الصوتية، ووضع عازل بين الأصوات،وذلك هو طريق الحذف،ومن أمثلـــة ذلك فيها: صيغة (تَفَعَّلَ) و (تَفَاعَل) و (تَفَعْلَلَ) مع تاء المضارعة [2].

"إن نظام اللغة يقرر أن التاء حرف من حروف المضارعة وإن التفاعل يبـــدأ بتـــاء زائدة هي تاء التفاعل،ومعنى ذلك أن التفاعل إذا جاء على صورة المضارع المبدوء بالتـــاء، فقد توالت في الفعل تاءان ملحقان بأوله،هـــما تاء المضارعة وتاء التفاعل،وعندئذ تظهـــر مطالب الاســـتعمال،الذي يكـــره التـــوالي الأمثـــال فتجعـــل حـــذف الثانيـــة خـــير الصياغتين،"[3]**فتحذف التاء الثانية في مثل: تتقلد، تتباعد، تتبختر لاجتماع حرفين مـــن جنس واحد،وعدم إمكان الإدغـــام وعينـــت الثانيـــة لأن الأولى علامـــة والعلامـــة لا تحذف.**"[4]

وفي القرآن الكريم أمثلة كثيرة لذلك ففيه مثلا "تَذَكَّرُون" سبعة عشر مرة بالحذف و في المقابل "تَتَذَكَّرُونَ" ثلاث مرات بلا حذف.[5]

---

[1]- رمضان عبد التواب، بحوث و مقالات في اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1995، ص.27

[2]- رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره، علله و قوانينه، ص72.

[3]- اللغة العربية معناها و مبناها، ص298.

[4]- شرح المراح في التصريف، ص90.

[5]- و هي:(من الآية57)من الأعراف ، (من الآية 90) من النحل ، (من الآية 01) من نون.

ومنه قوله سبحانه وتعالى :﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ ﴾[1] بدل تتصعَّدون "فحذفت إحدى التائين على الخلاف في ذلك أهي تاء المضارعة أم تاء تفعل."[2]

وقوله: ﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ ﴾ [3]، بدل (تتمنون)، فقد جرى الحذف إرادة التخفيف،[4] وفيه المضارع (تولُّوا) خمس مرات في مقابل (تتولوا) أربع مرات ففيه﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾،[5]كما أن فيه، ﴿ وَلا تَفَرَّقُوا ﴾[6]، بجانب ﴿ وَلا تَتَفَرَّقُوا ﴾[7]، وهذا الحذف ضروري عندما تتوالى ثلاثة مقاطع فيها التاء،كما في قول **القطامي**:

وَخَيْرُ الأَمْرِ مَا اسْتَقْبَلْتَ مِنْهُ * * وَ لَيْسَ بِأَنْ تَتْبَعَه إِتْبَاعَا [8]

والأصل تتتبعه [9].

ومن ذلك حذف نون الرفع إذا التقت بنون التوكيد والحذف هنا لازم ومطرد في العربية ومنه في قوله تعالى: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ﴾[10]، "**و أصل (لتبلون) (لتبلوونَّ) فلما توالت ثلاث نونات، ثقل في النطق، فحذفت نون الرفع، فالتقى ساكنان، واو الرفع ونون التوكيد الشديدة فحذفت واو الرفع لأنها ليست أصلا في الكلمة، صار لتبلون**" [11] .

لتبلوونن← لتبلوونن←لتبلونن←لتبلونَّ

وقد شرح **سيبويه** علة ذلك، بما يوافق الرغبة في التخفيف والبحث عن السهولة والتيسر،يقول: "**وإذا كان فعل الجميع مرفوعا،ثم أدخلت فيه النون الخفيفة أوالثقيلة،**

---

[1]- من الآية(153) من سورة آل عمران .

[2]- البحر المحيط، ص82/3

[3]- من الآية(143) من سورة آل عمران .

[4]- ينظر: شذا العرف في فن الصرف ،ص144.

[5]- من الآية(32) من سورة آل عمران .

[6]- من الآية(103) من سورة آل عمران .

[7]- من الآية(13) من سورة الشورى.

[8]- القطامي،الديوان ،تحقيق: إبراهيم السامرائي، أحمد مطلوب، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1960، ص35.

[9]- بحوث و مقالات في اللغة، ص30.

[10]- من الآية(186) من سورة آل عمران.

[11]- ابن عاشور، تفسير التحرير و التنوير،ص 189/4.

حذفت نون الرفع، وذلك قولك: لتفعلن ذاك، وتذهبن لأنه اجتمعت فيه ثلاث نونات فحذفوها استثقالا، وتقول: هل تفعلن ذاك؟ و تحذف نون الرفع لأنك ضاعفت النون، وهم يستثقلون التضعيف فحذفوها إذ كانت تحذف وهم في ذا الموضع أشد استثقالا للنونات، وقد حذفوها فيما هو أشد من ذا". [1]

فكراهية التضعيف هي التي دعت إلى هذا الحذف وإلى مثله في قوله تعالى: ﴿ كَانُوا غُزًّى ﴾ [2]، بحذف إحدى الزايين كراهية التضعيف [3].

فالثِّقل الناتج عن اجتماع ثلاث أصوات متماثلة ليس بثقل صوتي ،وإنما هو ثقل تشكيلي ،إذ ينجر عن تواليهم توالي ثلاث مقاطع من نوع (**ص م**) ؛وعلى الرغم من قبول العربية هذا النوع من التتابع ،إلا أن التخلص منه متى تهيَّأ ،يصبح أفضل وأحسن السُّبل، فالعربية تجنح إلى السهولة والتيسير متى أمكن ذلك وتحقق.

كذلك جوَّز **الكسائي** الحذف في (أحست) بدل (أحسست)، أي حذف إحدى المثلين استثقالا في كل موضع سكنت فيه لام الفعل سكونا لا يناله الصائت[4] ،"**فهم قد عدلوا عن الإدغام إلى الحذف** "[5].

ولا يقتصر الحذف على الصوامت بل يتعداه إلى الصوائت، فيجري تقصير الصائت أو حذفه تماما ،من الأولى ما روي **عن عاصم وحمزة والكسائي** ؛حذف الياء في (**اتبعن**) من قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴾ [6]،اجتزاء بالكسر وإتباعا للمصحف [7]،"**فمن حذفها اكتفى بالكسرة التي قبلها دليلا عليها وذلك لأنها**

[1]- الكتاب،ص 154/2.
[2]- من الآية(156) من سورة آل عمران .
[3]- التبيان في إعراب القرآن ،ص247/1.
[4]- ينظر:ما ذكره الكوفيون في الإدغام، ص48.
[5]- المفصل في علم العربية، ص518.
[6]- من الآية(20) من سورة آل عمران.
[7]- الرازي، التفسير الكبير،ص 205/7.

لأنـــها كالصلة، إذا سكنت وهي في آخر الحروف، واستثقلت فحـــذفت".[1]وذلـــك تشبيها له برؤوس الآي و القوافي ؛كقولِ **الأعشى:**

فَهَلْ يَمْنَعُنِي ارْتِيَادِي البِلاَ * * دِ مِن حَذَرِ المَوتِ أَنْ يَأْتِين [2]

وهو كثير في كلامهم،[3] "**فإذا لم يكن آخر قافية أو آخر آية فالأكثر إثبات الياء الياء و حذفها جيد بالغ أيضا خاصة مع النونات.**"[4]

ففي حقيقة الأمر ما حدث في هذه القراءت ليس حذفا بالمعنى الحقيقي، وإنما هـــو تقصير صائت الكسر الطويل إلى صائت الكسر القصير ،وذلك بالتَّقليل من زمـــن نطـــق الياء، مما يؤدي إلى السرعة والسهولة في النطق.

كذلك روي الحذف في قوله تعالى: ﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ﴾ . [5]

يقول **ابن قتيبة:** " هذا كله يكتب بواو واحد و ذلك أقيس إذا انضـــمت الـــواو الأولى، وقد كتب ذلك كله بواوين أيضا . [6]

ومنه الحذف في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ﴾[7]"**فقـــد قُـــرأ باليـــاء الساكنة أخيرا، وذلك لاستثقال الحركة في حروف اللين**". [8]

إن تقصير الصَّائت في هذه الحالة إنَّما تمَّ بفعل عامل الجزم، حيث يؤدي ذلك إلى سرعة في أداء نطق الكلمة كاملة، وهذه السرعة قد تؤثر على زمن أصوات الكلمة كلها، فلا تتريث الأعضاء النطقية عند نطق أصوات الكلمة كلها، فيؤدي ذلك إلى تقصير الزمن الذي تستغرقه أصوات الكلمة، وبذلك تتأثر كمية الصَّائت، فتقل عن وضعها الطبيعي.[9]

---

[1]- الفراء، معاني القرآن ،ص 200/1.

[2]- الأعشى، الديوان، دار صادر، بيروت ط1 1374هـ/1995م، ط2 1412هـ/1992م، ص205.

[3]- التبيان في إعراب القرآن،ص 205/1.

[4]- الزجاج، تهذيب معاني القرآن و إعرابه،ص 259/1.

[5]- من الآية(78) من سورة آل عمران .

[6]- ابن قتيبة ، أدب الكتاب، ص135.

[7]- من الآية(10) من سورة آل عمران .

[8]-ينظر: البحر المحيط 388/2.

[9]- الحركات في اللغة العربية، ص47.

وقد يحذف هذا الصائت كليا نحـــو : ﴿ إِنْ يَنْصُـــرْكُمُ ﴾[1]، ﴿ يُعَلِّمُهُـــمُ ﴾[2] **"قُرئت بالإسكان على حذف حركة الإعراب، وذكر أبو عمرو أن ذلك لغة تميم."**[3]

"إن ظاهرة حذف الصَّوائت تتلاءم وتميم البدوية، حيث إنـــهم يميلون إلى السرعة في النطق الذي ينتهي إلى الاقتصاد في الجهد العضلي، ولا شك أن حذف الصَّوائت فيـــه تيسير واقتصاد وهو ما يهدف إليه البدوي،بعكس الحجاز المتحضرة، التي تَهدف إلى إعطاء كل صوت حقه من الوضوح والبيان."[4]

إن سورة آل عمران اعترفت بظاهرة المخالفة بشـــكليها ، الحـــذف والإبـــدال والقراءات القرآنية بها وردت بالحذف ومن دونه، عاكسة بذلك مبدأ التيسير على مجموع المسلمين ، فوردت القراءة بالحذف كظاهرة بدوية تميمية ،وجاءت القراءة بتحقيق جميـــع أصوات الكلمة ،كظاهرة حضرية حجازية.

[1]- من الآية(160) من سورة آل عمران.

[2]- من الآية(164) من سورة آل عمران .

[3]- البحر المحيط،ص 188/2.

[4]- اللهجات العربية في التراث، ص246 .

ثالثا–الظواهر ما فوق التشكيلية الواردة في سورة آل عمران :

تشكل الدراسة ما فوق التشكيلية الركن التطريزيَّ في الدراسة الصوتية ،وتظهر ملامحها بصورة جلية عند الأداء ،كما أنها تساهم بشكل بارز في تعزيز الجانب الدلالي ، وسنحاول في هذا المبحث التعرف على طبيعة الظواهر ما فوق التشكيلية في سورة آل عمران من خلال نماذج منتقاة .

1 ــ الدراسة المقطعية لسورة آل عمران :

يكشف الوقوف على مقاطع أي لغة عن الخصائص التركيبية ،ويفسر العديد من الظواهر الصرفية ذات المنشأ الصوتي ،كما يوضح الأساس الذي انبثقت منه الأنماط النغمية الموسيقية للشعر.[1] فالفونيمات لا حياة لها إلا في داخل المقاطع ، لأنها لا تنطق من المجموعة البشرية بشكل منفصل ،وإنما على شكل تجمعات ،فصفاتها وخصائصها وكيفية انتظامها في المقطع ، إنما يعتمد على المقطع وتشكيلاته الصوتية.[2]

"**إن المقطع الصوتي هو مجموعة من الأصوات التي تمثل قواعد صوتية مكونة من أصوات صامتة تعلوها قمة مكونة من صوائت***، **واتفق على كون هذه القمة نواة عالية الإسماع.**"[3]

وهذا التعريف صوتي فونيتكي، أما التعريف الوظيفي للمقطع فيذهب إلى وصفه كأصغر وحدة في تركيب الكلمة، من حيث تميُّزه في كل لغة،[4] فهو مزيج من صامت وصائت يتفق مع طريقة اللغة في تأليف بنيتها، ويعتمد على الإيقاع التنفسي، فكل ضغطة من الحجاب الحاجز على هواء الرئتين، يمكن أن ينتج إيقاعا يعبر عنه مقطع مؤلف في كل الأحوال من صامت وصائت،[5]"**ويستطيع الدارس أن يضع كفه على أسفل صدره**

---

[1]– أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص 114.

[2]–ينظر: عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي ، 1998،ص

* يمكن لأصوات الصفير أن تشكل قمة المقطع في بعض اللغات ، ينظر:
Ferdinand de saure , cours de linguistique général, éditions talantikt, Bejaia ,2002, p76.

[3]– يحي عبابنة، دراسات في فقه اللغة و الفنولوجيا العربية، دار الشروق عمان، الأردن، ط1، 2001، ص.15

[4]– عبد القادر عبد الجليل، الدلالة الصوتية في لهجة الإقليم الشمالي،دار الصفاء ،عمان، الأردن، ط1، 1997م/1414ه،ص71

[5]– عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص38.

وينطق بكلمة كتب نطقا متأنيا هكذا [ك ت ب]، وسوف يحس بضغطات الحجاب الحاجز على الصدر، وهي ثلاث تقابل مقاطع الكلمة الثلاث."[1]

إن المقاطع تعبيرات عن نسق منظم من الجزئيات التحليلية ، أوخفقات صدرية في أثناء الكلام ، أو وحدات تركيبية ،أوأشكال وكميات معنية.[2]

وقد رأى بعض اللغويين أن أفضل تعريف عملي للمقطع، ما دعا إليه اللغوي **ج.فرث** الذي وصف المقطع "**على أنه جزء من أجزاء الكلمة المسلم بِها شأنه في ذلك كشأن غيره من المصطلحات اللغوية الأخرى كالاسم والفعل.**"[3]ويسجل الصوتيون أن أفضل تعريف أحاط بالمقطع كما هو في تصور هذا الاتجاه، هو الذي قال به **دي سوسير** حيث ينص على أن المقطع ، هو تلك الوحدة الأساسية التي تظهر بداخلها نشاط الفونيم الوظيفي.[4]

إن هذه التعريفات كلها تفسر المقطع، إلا أن أيًّا منها لا يَحُد المقطع حدًّا قاطعا مانعا ،ويعد تعريف **حسام سعيد النعيمي** أكثر التعريفات تقييدا لمعنى المقطع،[5]فهو يعده **"مجموعة صوتية تبدأ بصامت يتبعه صائت ،وتنتهي قبل أول صامت يرد متبوعا بصائت أوعند انتهاء الكلام قبل مجيء القيد."**[6]

---

[1]– حامد غنم القدوري، المدخل إلى علم أصوات العربية، ص 190.

[2]– تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص 170.

[3]– محمد إسحاق العناني، مدخل إلى الصوتيات، دار وائل للنشر، عمان، 2006، ص 84.

[4]– فرديناند،دي سوسير،محاضرات في الألسنية عامة ترجمة :يوسف الغازي،ومجيد النصر، دار النعمان للثقافة جونته، لبنان د.ت،د.ط، ص 57.

[5]– عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسة العربية، دار الفكر، دمشق،1998،ص 278.

[6]– المصطلح الصوتي ،عبد العزيز الصيغ ص278،نقلا:حسام سعيد النعيمي، أبحاث في أصوات العربية، ص08.

ووجود هذه التعريفات للمقطع في الدرس اللساني الحديث لا ينفي حقيقة وجوده في الراث اللغوي القديم ،فقد تطرق **الفارابي(ت339ه)** إلى المقطع مقيدا إياه على أنه حصيلة اقتران صوت صامت بصوت صائت:"**فقال المقطع مجموعة حرف مُصَوِّت وحرف غير مصوت.**"[1]

هذا و**ابن سينا** يفصح عن معرفته المقطع بمعناه العلمي المعهود في الدرس الحديث، أثناء تفصيله مستويات الحدث الكلامي، الذي يعدها سبعة مبتدئا إياها بالمقطع الذي قال فيه:"**المقطع الممدود والمقصور كما علمت يؤلف من الحروف الصامتة وهي التي لا تقبل المد ....مثل الطاء والباء،والتي لها نصف صوت،وهي التي تقبل المد مثل السين والراء والمصوتات الممدودة والتي يسميها المدات المقصورة وهي الحركات.**"[2]

ونلاحظ أن كلا من **الفارابي وابن سينا** كان على دراية بركني المقطع، أي الصوت الصامت،والمصوت بفرعيه،كما ألما بالنوعين الرئيسيين من المقاطع العربية وهُما الممدود أي الطويل والمقصور أي القصير.[3]

وزاد عليهم **الغزالي(ت505ه)** بإشارته إلى المقطع المتوسط المغلق (ص م ص) والمقطع الطويل المغلق (ص م ّص) ،وقد عبر عن المقطع بلفظة جزء ،يقول معرفا الاسم :"**الاسم المفرد ،وهو الذي لا يراد بالجزء منه دلالة على شيئ أصلا حين هو جزؤه ، كقولك :عيسى ،وإنسان، فإن جزأي عيسى ،وهما :عي وسى، وجزأي إنسان ،وهما :إن وسان ،مايراد بشيء منهما الدلالة على شيء أصلا**".[4]

---

[1]- المهدي بوروبة، الدراسة المقطعية في التراث من إشارات النحاة و اللغويين إلى تنظير الفلاسفة المسلمين، مجلة المجمع الجزائري، لِلُّغة العربية، العدد 1، 11 ربيع 1426هـ /ماي 2005 م،ص243.

[2]- ابن سينا، الشفاء الفن السابع الشعر،تحقيق :عبد الرحمان بدوي، الدار المصرية لنشر التأليف،القاهرة 1386ه/1966،ص65.

[3]- الدراسة المقطعية في التراث، ص 247.

[4]- الغزالي ،أبو حامد (ت505ه) ،تهافت الفلاسفة المسمى معيار العلم ،تحقيق :سليمان دنيا ،دار المعارف ،القاهرة ،مصر ،1961،ص77.

وعلى هذا الأساس فأنواع النسج في المقاطع العربية خمسة فقط هي:

المفتوحة : 1)-صوت ساكن + صائت قصير

2)-صوت ساكن +صائت طويل

المغلقة : 3)-صوت ساكن + صائت قصير + صوت ساكن

4) -صوت ساكن+ صائت طويل+ صوت ساكن

5)-صوت ساكن+صائت قصير+صوتان ساكنان[1]

وقد ثبت أن المقاطع الثلاثة الأولى هي أكثر المقاطع شيوعا في النسج العربي يليها في كثرة الشيوع المقطع الرابع، فأما الخامس و السادس فلا يردان إلا في نادر الصيغ وبشروط خاصة كأن يكون النطق بالكلمة في حالة الوقف، أوأن يكون اشتقاق الكلمة من مخفف اللام، وفي حالة الوقف أيضا [2].

وفيمايلي الدراسة الإحصائية لعدد من مقاطع **سورة آل عمران**، و قد جرى اختيار عشر آيات من ثلاثة مواضع من سورة آل عمران (أول السورة و من وسطها ومن آخرها) [3] .

[1]- ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 164.

[2]- أثر القراءات في الأصوات و النحو العربي، ص411.

[3]- الآيات (من (2) إلى 10)، (190 إلى 200)، (94 إلى 103) من سورة آل عمران.

فمن الموضع الأول جرى تقطيع الآيات كالتالي[1]:

13 3 1 1 1 3* 1 2 3 3 3 3 1 2 3 1 1 1 2 1 1 3* 4 4 3 1

3 3* 1 2 3 3 1 2 3 3 1 3 1 1 3 1 13 3 2 1 3 1 3 1 1 3 3 1 2

2 1 3 1 1 1 3 2 1 1 2 1 1 1 2 1 3 3 1 2 3 3 1 3 1 1 2 3 3 1 1

2 1 1 3 3 3 3 1 3 1 2 3 2 1 1 3 3* 4 1 3 3 2 1 1 1 3 3 2 1 3

3 1 2 3 1 2 1 2 1 2 1 1 3 1 2 3 3 3 1 1 3 1 2 1 3 1 * 1 2 1 3

1 1 3 1 3 3 2 1 3 3 1 1 1 3 1 2 3 3 1 1 1 3 2 1 3 * 4 1 3 2 1

1 1 2 3 1 1 1 1 3 1 3 3 3 1 2 1 2 1 2 1 3 3 1 3 2 1 2 1 1 3 1

3 3 2 1 2 1 3 1 3 3 3 1 1 2 3 1 1 2 2 1 1 3 3 1 2 1 2 3 3 3 3

3 2 1 3 1 2 1 3 1 3 1 3 2 1 2 1 3 1 2 2 1 3* 4 3 2 2 2 3 1 1

1 3 2 3 3 1 1 2 3 1 2 1 1 3 2 3 3* 4 3 3 3 1 1 3 3 1 3 1 3 1

3 1 2 3 3 3 1 1 3 3 2 1 1 1 2 1 3 3* 4 2 3 1 3 2 1 1 3 3 1 2

*4 3 2 1 3 1 1 1 2 1 3 3 1 1 3 1 3 1 2 3 2 1

[1]- استعملت الأرقام للدلالة على نوع المقطع: ص م =1 ، ص م̄ = 2 ، ص م ص=3 ، ص م̄ص =4 ،ص م ص ص=5

- ومن مجموع التقطيع في المواضع الثلاث توصلنا إلى النتائج التالية:

نوع المقطع	نسبة تواتره
ص م	613
ص م̄	271
ص م ص	430
ص م̄ ص	44
ص م ص ص	03

التـــعليـــق:

والملاحظ على هذه النتائج هو احتلال المقطع الأول (ص م) أول المراتـــب ويليـــه المقطع من نوع (ص م̄)،ثم المقطع من نوع (ص م ص)، أما المقطع (ص م̄ ص) فجُـــلُّ مواضعه في حالات الوقف وبعض منها في حالة التقاء الساكنين، هذا إذا مـــا نظرنـــا إلى المقطع من الناحية الوظيفية لا من الناحية الأصواتية، أما المقطع (ص م ص ص) فتواجـــده قليل جدا يظهر فقط في حالات التقاء الساكنين فما فوق.

وعلى هذا فإن البناء المقطعي **لسورة آل عمران**، لايتناقض مع ما توصـــل إليـــه الباحثون من نتائج، وذلك يعكس الرغبة في التيسير على الأمة العربية والصياغة على منوال ما اعتادته السليقة العربية.

وتوالي المقاطع من النوع الأول أو من النوع الثالث جائز مستســـاغ في الكـــلام العربي، وإن كانت اللغة العربية في تطورها تـــميل إلى التخلص من توالي النـــوع الأول، أما توالي النوع الثاني فهو مقيد غير مألوف في الكلام العربي فهولا يسمح بتوالي أكثر من اثنين من هذا النوع.[1] فاللغة العربية تميل عادة في مقاطعها إلى المقاطع الساكنة، وهي الـــتي

[1]-إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص166.

تنتهي بصوت صامت ويقل فيها توالي المقاطع المتحركة خصوصا حين تشمل على صوائت قصيرة،[1]

وقد أشار النحاة من القدماء، إلى ميل اللغة العربية إلى المقاطع الساكنة، حيث قرروا استحالة اجتماع أربعة متحركات في الكلمة الواحدة، وكراهته فيما هوكالكلمة، ومعنى قولهم هذا (كما يعبر عنه المحدثون، أن اللسان العربي ينفر من توالي أربعة مقاطع متحركة فيما هوكالكلمة، ولكنهم أباحوا توالي أربعة مقاطع ساكنة فيما هو كالكلمة، إذ تقول (استفهمتم).[2]

فكراهة توالي وتتابع المقاطع القصيرة هوالذي دعا إلى تسكين هاء الضمير من **(هو وهي)** في القرآن الكريم* عند بعض القراء، وذلك إذا ما سبق الضمير باللام، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[3]، حيث أن القراءة بالتحريك ينتج عنها تتابع ثلاث مقاطع من النوع (ص م) **لَـ/هُـ/وَ**، في حين أن القراءة بالتسكين تلغي هذا التتابع **ص م /ص م/ص م/**

إذ يتحول النسيج المقطعي إلى (ص م ص/ ص م) **لَـهْ/وَ**

ص م ص/ص م

زد على ذلك أنَّ المقطع العربي لا يبدأ بصائت مهما كان موقعه من الكلمة، ولوجاز أن يبدأ بصائت في العربية، لوجب أن ينقسم المقطع الرابع المديد إلى مقطعين هكذا (**ص+م/م+ص**)في حالة الوقف، وهو ما لا يمكن إلا في حالة الوصل[4].

---

[1]- نفسه، ص 163.

[2]- إبراهيم أنيس ،الأصوات اللغوية، ص164.

*- ينظر: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، ص 134.

[3]- من الآية(62) من سورة آل عمران.

[4]- المنهج الصوتي للبنية العربية، ص41.

ففي بداية الكلمة يتحاشى العربي أن ينطق بمجموعة من الصوامت الانفجارية المتصلة، وذلك بأن يأتي بمصوت، فيقال (آ)كتب بدلا: من (كتب)... وحيث وجب الإتيان بصامت لبداية المقطع، فقد اصطلح أن تكون الهمزة.[1]

هذه الهمزة أو الصائت المساعد يسقط من الكلمة عندما تنتهي الكلمة السابقة عليه بصائت، إذ يستخدم هذا الصائت في وصل مجموعة الأصوات الصامتة.[2]

وبيان الجانب الصوتي في صائت الإيصال أنَّها صويت يعين على تحريك الصوت الساكن، لكي يوافق بناء العربية التي تقتضي أحكامها أن لا يبدأ بصامت، ولا يوقف على صائت.[3]

أما المقطع الرابع فلا يجوز في اللغة العربية الفصحى إلا في آخر الكلمة في حالة الوقف عليها أو في وسطها، بشرط أن يكون المقطع التالي له مبتدئا بصامت يُماثل الصامت، الذي ختم به المقطع السابق[4]،حيث يعمد العربيُ في هذه الحالة إلى تقسيم المصوت الطويل إلى مصوتين قصيرين منفصلين بواسطة همزة، وبذلك يصبح المقطع المديد مقطعين قصيرين، وذلك مثل (**إحمأر**)، (**ولاالضالين**)، فقد كان على هؤلاء العرب أن يجروا تقسيمهم المقطعي بطريقة ربما أبقت على المقطع المديد، ولكن كراهيتهم له جعلتهم يلجأون إلى حيلة أخرى لتحاشيه[5]،

فهذه هي الحالات التي يرد فيها هذا النوع من المقاطع،وثم فإن المجيء به فصلا في غير ما ذكرنا، مكروه تأباه العربية ولا تكاد تسيغه،[6] لذلك لجأت إلى عديد الأساليب للتخلص منه، ومن ذلك **الكسر على أصل التقاء الساكنين**، وهو تعبير اتخذه علماء العربية للتعبير عن نوع من أنواع العمليات الصوتية التي لجأت إليها اللغة للتخلص من

---

[1]- هنري فليش، العربية الفصحى، ص43.

[2]- ينظر:أثر القراءات في الأصوات و النحو العربي، ص409، و هناك من جوز الإبتداء بالنصف صائت، ينظر: بسام بركة علم الأصوات العام، ص143.

[3]- علم الصرف الصوتي، ص77، و ينظر: همع الهوامع،ص 222/6.

[4]- لحن العامة و التطور اللغوي، ص56.

[5]- ينظر: العربية الفصحى، ص45.

[6]- أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة ،ص114.

مقطع لا يقبله النظام المقطعي للغة العربية،وهذا المقطع ينتج بسبب بعض العلاقات النحوية الصوتية الطارئة على أشكال محدودة من أشكال التراكيب اللغوية.[1]

ومن الأمثلة التي يمكن أن نسوقها لتوضيح هذا، حروف الجزم الداخلة على الأفعال المضارعة المسندة إلى المعرف بـــ(أل) التعريف، فحرف الجزم يؤثر في الفعـــل المضـــارع صوتيا فيجزمه، فيصبح ساكن الآخر، وينضم الصوت المتبقي من المقطع بعد حذف نواته إلى المقطع السابق، مشكلا معه مقطعا جديدا من النوع الثلاثي القصير المغلق، وأما همـــزة الوصل في (ال) التعريف، فتسقط في درج الكلام، ويبقى منها في هذه الحالة صوت اللام الساكنة الذي لا يمكن أن يشكل مقطعا مستقلا بذاته، لأنه يفتقر إلى النواة الـــتي تحمـــل النبر، ولا يوجد ما يمكن أن ينضم إلى هذا الصوت من مقاطع ،لأن المقطع السابق مغلـــق بصامت، وليس في العربية مقطع يمكن أن يغلق بصامتين، ولذلك نلجأ إلى إعادة ترتيـــب المقاطع في التركيب بـــما يتلاءم مع النظام المقطعي للعربية.[2]

من ذلك في قول تعالى:﴿ لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِـــنْ دُونِ الْمُـــؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾.[3]

فقوله تعالى ﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ،تتكون من المقاطع التالية :

لـــا/يـــت/تـــ/خ/ذأل/مـــؤ/م/نـــو/ن

ص م¯ / ص م ص/ ص م/**ص م/ص م ص**/ص م ص/ص م/ص م¯ /ص م

و عندما تلجأ العربية التخلص من همزة الوصل في درج الكلام تصبح المقاطع نظريا (لا يتخذ لمؤمنون).

ص م ص ص/ ص م

ولمـــا كان المقطع الأول (1) غير جائز في العربية، ولا يمكن أن ينضم إلى المقطـــع السابق لأنه سيصبح (ص م ص ص)، وهذا غير جائز في العربية إلا إذا كان المقطع يمثـــل

[1]- ينظر: تمام حسان، الخلاصة النحوية، ص28.

[2]- يحي عبابنة، دراسات في فقه اللغة و الفنولوجيا العربية، ص36.

[3]- من الآية(28) من سورة آل عمران.

كلمة واحدة في الوقف عليه، وهذا ما لا يتوافر في هذا المقطع لجأت اللغة إلى استخدام كسرة أطلق عليها عملية الكسر على أصل التقاء الساكنين.[1]

فيتغير ترتيب المقاطع و يصبح على النحو التالي:

لا يتخذ لـــ مؤمنون

ص م/ص م ص/ص م

وهي مقاطع جائزة في نظام العربية المقطعي،وعلى النحو نفسه جرى الكسر في قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾[2]

القراءة بالتحريك: لَـــم/مـــا/يـــع/ل/مـــل/لـــا/ه

ص م ص/ص م̄ /ص م ص/ ص م/**ص م ص/ص م̄** /ص م

القراءة بالاسكان: لـــم/مـــا/يـــع/لـــمـــل/لـــا/ه

ص م ص/ص م̄ /ص م ص/**ص م ص ص/ص م̄** /ص م

و على العموم يمكن إجمال المقاطع المرفوضة في اللغة العربية بما يأتي:

* م ص
* م̄ ص
* ص م̄ م̄ [3]

كذلك من الأنسجة غير المقبولة اجتماع ثلاثة مقاطع الأول منها من النوع الثالث (ص م ص) والثاني والثالث من النوع الثاني (ص م)، لأن العربية لم تعرف في نظامها المقطعي نسيجا من هذا النمط، نحو لفظة (سرغايا)، وهي علم على قرية في سوريا، غير أنَّ هذا النَّسيج يتلاأم في بعض الأبنية العربية ويكون مقبولا مستساغا في حالة الوقف على المنون المفتوح نحو قمصانا، ومئزرا.[4]

---

[1]- ورد في تهذيب معاني القرآن و إعرابه القراءة بالجزم و كسر الذال لالتقاء الساكنين،ص 263/1.

[2]- من الآية(159) من سورة آل عمران.

[3]- ينظر، دراسات في فقه اللغة و الفنولوجيا العربية، ص101.

[4]- محمد الأنطاكي، المحيط في أصوات العربية و نحوها و صرفها، ص51.

وليس هذا هو كل ما يمكن الإتيان به في هذا المجال، بل هناك أنسجة أخرى كثيرة يمتنع إيرادها في العربية، إذ لا يمكن الإحاطة بكل ما تقبله العربية وما لا تقبله من الأنسجة، إلا ببحث متخصص يتناول المسألة وحدها دون سواها، ذلك أن فائدة معرفة هذه النماذج مساوية لفائدة معرفة الموازين الصرفية، لأن الموازين الصرفية إذا كانت نماذج تحكم على الصيغ المكونة على مثالها بأنَّها عربية، فإن النماذج الممتنعة تمكننا من أن نَحكم على شكل تركيبي ما بأنه غير عربي.[1]

[1]- مناهج البحث في اللغة، ص176.

2- النـــبـــــــر :

احتلت إشكالية وجود النبر من عدمه في اللغة العربية، ثم قضية تفطن أو عدم تفطن علماء العربية إليه، مساحة واسعة من اهتمام المستشرقين، والعرب مـــن دارســـي اللغـــة العربية، "**فبرجشتراسر** يقول أثناء عرضه لهذه المسألة :"**والآن بعد هذه التوطئة العامـــة نوجه نظرنا إلى العربية خاصة فنتعجب كل العجب من أن النحويين والمقرئين القدامى، لم يذكروا النغمة ولا يفيدنا ما قالوه، فلا نص نستند إليه في إجابة مسألة كيف كـــان حال العربية الفصيحة في هذا الشأن، ومما يتضح من اللغة العربية نفسها، ومـــن وزن شعرها أن الضغط لم يوجد فيها أو لم يكد يوجد ؛وذلك أن اللغة الضاغطة كثير فيهـــا حذف الحركات غير المضغوطة، وتقصيرها وتضعيفها ومد الحركات المضغوطة، وقـــد رأينا أن كل ذلك نادر في اللغة العربية.**"[1]

وذهب **هنري فليش** بأن نبر الكلمة فكرة مجهولة تماما لدى النحاة العـــرب، بـــل لم نجد لها اسما في سائر مصطلحاتهم ، ثم أشار إلى أن النبر لم يلتفت إليه إلا في حالة واحدة في علم الصرف العربي، وهم يـــذكرون الاســـم المؤنـــث إشـــارة منـــه إلى (غيـــداء) و(نجلاء)،وذلك حين يلحق بالاسم المؤنث ألف التأنيث الممدود في مقابل المقصورة وهـــو يريد بالأولى (المنبورة) وفي الثانية غير المنبورة.[2]

ومن جانب آخر نفى الكثير من دارسي العربية هذه الفكرة، حيث يُقرُّ **رمضـــان عبد التواب:** أنه ليس لدينا نص نستند إليه في معرفة حال النبر في العربية، أما كون العربية لا تنبر، فهذا محل شك؛ويورد دليلا على النبر في العربية الفصحى فيقـــول:"**مـــن طبيعـــة العربية الفصحى أن تُقصِّر الحركة الطويلة في المقطع المفتوح، إذا كان يســـبق مقطعـــا آخر منبورا ذا حركة طويلة فأصل مصدر (فاعل) في العربية القديمة (فيعال) نبر المقطع**

[1]- برجشتراسر، التطور النحوي، ص87.

[2]- هنري فليش، العربية الفصحى، ص49.

الثاني، وقد ترتب على خلو المقطع الأول من النبر أن قصرت حركته صار المصدر (فعال) مثل "قاتل قتالا"، بدلا من "قتل قتيلا".[1]

أما إنكار معرفة اللغويين العرب للنبر، بإدعائهم جهلهم لمصطلحه على رأي فليش، فإنه مردود بعدهم الهمز والنبر، كما سنرى شيئا واحدا دالا على الضغط دون أن يفصِّلوا أو ينظِّروا له، لأنهم لم يهتموا بتسجيل هذه الظاهرة ،وربما لم تلفت نظرهم لعدم تدخلها في تغيير المعنى.

وهاهو **كارل بروكلمان** يثبت وجود النبر في العربية القديمة إذ يقول:"**يدخل نوع من النبر تغلب عليه الموسيقية، ويتوقف على كمية المقطع، فإنه يسير من مؤخرة الكلمة نحو مقدمتها، حتى يقابل مقطعا طويلا، فيقف عليه، فإذا لم يكن في الكلمة مقطع طويل، فإن النبر يقع على المقطع الأول.**"[2][3]

فالنبر في العربية أصيل ، غير أن ارتباط قيمته بالجانب الأدائي فقط ، وعدم تدخله في تغيير المعاني ، جعل علماء العربية والتجويد لا يلقون أهمية كبيرة لتدوينه .

"إن مكان نبرة الكلمة في العربية الفصحى معروف، وإن كانت حقيقة هذه النبر مجهولة ،ونجدهم عادة قد وضعوا القاعدة التالية في هذا السياق، تقع النبرة على أول مقطع طويل من الكلمة ابتداء من آخرها، وإذا خلت الكلمة من المقاطع الطويلة وقعت النبرة على المقطع الأول منها، ثم إن النبرة لا تقع البتة على المقاطع الطويلة الأخرى وذلك نحو: (يقاتلوا) و(قاتل) ،و(يقاتلوا) (النبرة على قا)".[4]

[1]- رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره، علله و قوانينه، ص127.

[3]- ظواهر التشكيل الصوتي ،ص306،نقلا عن ،كارل بوكلمان فقه اللغات السَّامية ،ص45.

[4]- جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ص194-195.

ثم إن الهمزة العربية هي صورة من صور النبر، ويؤكد سيبويه في وصفه لهذا الصوت، أنه صوت شديد ونبرة في الصدر تخرج باجتهاد [1].وأن علم العروض العربي، يقوم على المتحرك والساكن، وفكرة المقطع العربي وبطريقة نبرة.[2]

بل إنَّ الملاحظات التي قدَّمها الفلاسفة حول ظاهرة النبر ،تُنبئ عن وعي كبير لمفهوم النبر ،فقد ورد في **الموسيقى الكبير للفارابي** ؛حديث مهم عن النبرة في الكلام ، ووظَّف النبرة بمعنى الضغط في قوله:"**والحروف المتحركة إذا مدَّت حركاتها أدنى مدٍّ أوقرنت حركاتها بنبرات أو(هاء) خفيفة كانت قريبة من سبب خفيف.**"[3]وكأنه يشير بقوله (كانت قريبة من سبب خفيف) إلى مايعرف بالنبر الطولي ، إذ أن الزيادة في طول الصَّائت يجعل المقطع ينتقل من نوع(ص م) إلى(ص م ـ) ،الأمر نفسه يحدث إذا ماتصل الصوت المتحرك بهمزة أو هاء خفيفة .

كذلك من نصوص **الفارابي** التي حمَّلها ما يشعرنا بإدراكه النَّبر بمعناه العلمي المعهود في الدرس الحديث ،نذكر قوله الذي أشار فيه إلى أن النبر في العربية يُفضِّل المقطع الطويل أينما حلَّ في الكلمة[4]،فذكر أنه :"**متى توالت متحرِّكات كثيرة وتناهت إلى متحرك ووقف عليه،فإنه ربما جعل المتحرك الأخير ممدودا أو مقرونا بنبرة.**"[5]

وقريب من ذلك ما ذكره **ابن رشد (ت595ه)** ،إذ يقول:"**وأما المقاطع المقصورة فلا يستعملون فيها النبرات والنغم ،إذا كانت في أوساط الأقاويل ،وأما إذا كانت في أواخر الأقاويل ،فإنهم يَجعلون المقطع المقصور ممدودا ،فإن كان فتحة أردفوها بألف ، وإن كانت ضمة أردفوها بواو،وإن كانت كسرة أردفوها بياء.**"[6]

---

[1]- الكتاب،ص 405/2.

[2]- عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص244

[3]- الفارابي، أبو نصر محمد بن محمد بن طرفان، الموسيقا الكبير،تحقيق وشرح ،غطاس عبد المالك خشبة ،مراجعة محمود أحمد حنفي، دار الكتاب العربي ،القاهرة ،دط،دت،ص1084.

[4] - ظواهر التشكيل الصوتي في العربية ،ص302.

[5] - الموسيقا الكبير ،ص1085.

[6] - ابن رشد ، تلخيص الخطابة ، تحقيق وتقديم :عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، دار العلم ، بيروت ، لبنان ، دط،دت ،ص286،287.

أما **ابن سينا** ،فكان إلمامه بظاهرة نبر الكلام إلماما واضحا قارب حدَّ التَّبلور النهائي للمفهوم ،إذ عرض للزِّينة في الكلام مقرِّرًا ،أن الكلام يتشكل من الحروف،ومما يقترن به[1] "**من هيئة ونغمة ونبرة**"[2].ولاحظ أن للنبرة دورا في تحديد المعنى أوتوجيهه ؛ فيقول"**من أحوال النغم النبرات،وهي هيئات في النغم مدية غير حرفية ،يبتدئ بها تارة، وتخلل الكلام تارة ،وتعقب النهاية تارة أوربما تكثر في الكلام ،وربما تقلل ،ويكون فيها إشارات نحو الأغراض،وربما كانت مطلقة للإشباع ... ولتفخيم الكلام وربما أعطيت هذه النبرات بالحدَّة والثقل هيئات تصير بِها دالة على أحوال أخرى من أحوال القائل.**"[3]

هذه الإشارات إنما هي قليل من كثير ،مما جاء به الفلاسفة المسلمون فيما يتعلق بالنبر ،فالمقام لا يُسعف للتوسع في ذلك أكثر ؛ولكنها في العموم إشارات تؤكد انتباه الفلاسفة العرب إل هذه الظَّاهرة الصَّوتية التَّشكيلية.

والنبر يندرج ضمن الفونيمات الإضافية أو الثانوية، والتي تشكل ملامح صوتية إضافية، تؤثر على الأصوات الكلامية أو مجموعاتها؛ وقد اختلفت عبارات العلماء في تحديد مفهوم النبر، فذكروا أن النبر معناه أن مقطعا من بين المقاطع المتتابعة يُعْطَي مزيدا من الضغط أو العلو (نبر علوي stress accent) أويعطى زيادة أو نقصا في نسبة التردد (نبر يقوم على درجة الصوت (pitch accent)[4].

يقول **كانتينو**: "**النبرة هو إشباع مقطع من المقاطع، بأن تقوى إما ارتفاعه الموسيقي، أو شدته أو مداه، أو عدة عناصر من هذه العناصر في نفس الوقت، وذلك بالنسبة إلى نفس العناصر في المقاطع المجاورة**"[5]، أو هو إبراز ميزات المقطع بالتلفظ به

[1]- ظواهر التشكيل الصوتي ،ص304.

[2]- التفكير اللساني عند العرب ،الدار العربية للكتاب ،ليبيا تونس،ط1986،2 ،ص265، نقلا عن كتاب الشفاء (فن الشعر) لابن سينا ،ص 04.

[3]- التفكير اللساني عند العرب ،ص 266،نقلا عن فن الخطابة لابن سينا ،ص 128.

[4]- ينظر:ماريوباي، أسس علم اللغة، ص92.

[5]- جان كانتينو ،دروس في علم أصوات العربية، ص194.

على درجة كبيرة من الشدة و الدقة و بنوعية تصويت أشد ارتفاعا أو بزيادة مدته [1]، وهو وضوح نسبي للصوت أو مقطع، إذا قورن ببقية الأصوات و المقاطع في الكلام، ويكون نتيجة عامل أو أكثر من عوامل الكمية و الضغط و التنغيم .[2]

إن أبرز ما يلفت الانتباه في هذه التعاريف هو اتفاقها على لزوم حدوث الضغط، لكي يتحقق وجود النبر، والعرب عنت بالنبر ارتفاع الصوت وجعلته مرادفا للهمز، إذ قصدوا به تحقيق نطق همزة القطع في مقابل تسهيلها أوتخفيفها على النحو الذي ذكره **أبوزيد الأنصاري**، فقد قال:"**أهل الحجاز و هذيل وأهل مكة والمدينة لاينبرون، وقف عليها عيسى بن عمر: فقال ما آخذ من قول تميم إلا بالنبر وهم أصحاب نبر، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا.**"[3]

والهمزة صوت يتحقق في نطقه النبر، فكل الذي يستلزمه نطق الهمزة هو ذلك العلو الذي يرتبط بحركة الحجاب الحاجز في ضغطه على الرئتين ليفرغ ما فيهما من الهواء، فتؤدي زيادة كمية الهواء إلى اتساع مدى ذبذبة الوترين الصوتيين، فيكون من ذلك وضوح الصوت وبروزه، ويرتكز هذا الضغط أو التوتر على الزيادة في واحد من ثلاثة أمور هي مدَّة المقطع أوشدته أوحدته.[4]

فإذ عمَّمنا هذه الكيفية على أصوات العربية فإن الهمز يكون على حد تعبير **عبد الصبور شاهين:" كيفية في نطق الأصوات اللغوية حين يخصها الناطق بمزيد من التحقيق أو الضغط لا تستأثر بذلك صوتا دون آخر، فإذا ضغط الناطق على مقطع الخاء من الفعل (أخذه) كانت الخاء هنا مهموزة، وإذا ضغط على مقطع الذال كانت مهموزة،وكذلك إذا ضغط على مقطع الهمزة في بدايته كانت الهمزة مهموزة.**[5]

---

[1]- ينظر: أندري مارتيني، وظيفة الألسن و ديناميتها،ترجمة، نادر سراج، دار المنتخب العربي ،ط1 ،1996، ص205.

[2]- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص199، و ينظر عبد الحميد السيد، دراسات في اللسانيات العربية، ص49.

[3]- لسان العرب (مادة نبر) ،ص40/7.

[4]- المهدي بوروبة، ظواهر التشكيل الصوتي في العربية، ص295.

[5]-ينظر: عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص22.

فالمرء حين ينطق بلغته يميل عادة إلى الضغط على مقطع خاص من كل كلمة ليجعله بارزا، وأوضح في السَّمع من غيره من مقاطع الكلمة، وهذا الضغط هو الذي نسميه النبر.[1]

إنَّ الصَّوت الذي يتم عنده الانتقال من طبقة صوتية إلى طبقة صوتية أخرى، يتطلب قدرا من ضغط الحجاب الحاجز على الرئتين يزداد به مقدار النفس المطلوب لإحداثه، فعندما يسلط هذا القدر الزائد على الوترين الصوتيين ،يعلو الصوت عما جاوره فيحظى في السمع بوضوح أكبر من وضوح ما يحيط به من الأصوات، هذا الوضوح النسبي يسمى النبر.[2]

وللنبر مواضع في اللغة العربية إلا أنَّها تحكمها قواعد مطردة وتتسم بأنها قليلة لأنَّها تدور حول توالي العدد القليل من المقاطع في الكلمة أو السياق، ومن ثم فإنه يسهل تطبيقها، ومعالجتها واستخلاص ما تشمل عليه من نتائج[3]:

1)–نبر الكلمة: و هو ينقسم بحسب قوة النطق ودرجة الدفعة إلى نوعين:

أولا: النبر الرئيسي (الأولي)

يقع النبر على المقطع الأخير في الكلمة إذا كان من نوع (ص م ¯ ص) أو (ص م ص ص)أي من النوع الطويل مثل: قال، استقال، قلَّ استقل أو من النوع المتوسط في الكلمات الأحادية المقطع، كفعل الأمر من قال .[4]ولا يمكن أن يوجد هذان المقطعان في اللغة العربية الفصحى، إلا في حالتين:

1)–في حالة التقاء الساكنين عل حدهما، أي إن الصامت الأخير في نهاية المقطع هو نفسه الصامت الأول في بداية المقطع التالي، مثل ذلك قولنا: وللضالين، حيث تتألف الكلمة من المقاطع الآتية:

ضال لين= ص م ¯ ص + ص م ¯' بنبر المقطع الأخير.[5]

---

[1]– إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص170

[2]– ينظر:تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص262

[3]– حسام البهنساوي، الدراسة الصوتية عند العرب و الدرس الصوتي الحديث، ص177

[4]– ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص195

[5]– ينظر:حسام البهنساوي، الدراسة الصوتية عند العرب و الدرس الصوتي الحديث، ص180

2)-في حالة الوقف: ويكون النبر فيها هكذا: ص م ص + ص م ̄ص، وكذلك أمثلة، يفعلان، بتسكين الآخر، فيكون النبر على المقطع الأخير هكذا: ص م ص + ص م+ ص م ̄' ص، و كذلك في أمثلة (فعل) أو (فعل) أو (فعل)، و هي تتألف من مقطع واحد هو: ص م ص ص و يقع عليه النبر الرئيسي.[1]

(ب) ويقع على ما قبل الأخير إذا كان متوسطا والآخر متوسطا، سواء كان هذا المتوسط من نوع (ص م ص)أو (ص م ̄) مثل: علَّم – سلَّم – عبدك.. أو كان ما قبل الأخير من نوع (ص م)القصير مبدوءة به الكلمة أو مسبوقا بصدر إلحاقي نحو: كتب، حسب،محترم، انحبس.

يقع النبر على المقطع الذي يسبق ما قبل الآخر، إذا كان الآخر يقع مع قبله في إحدى الصور الآتية: *(ص م+ ص م ص)=نحو: علمك- حاسبك

*(ص م+ص م ̄) نحو : علموا – حاسبوا – ضربك- ولا يقع النبر على المقطع السابق لهذا الأخير. [2]

ثانيا: النبر الثانوي:

النبر الثانوي أضعف جهدا من النبر الأولي لأن ضغط الحجاب الحاجز على الرئتين عند إيقاعه أضعف منه عند إيقاع النبر الأولي، [3] ثم إن مجال النبر الثانوي في الكلمة أضيق منه في الجملة أو المجموعة الكلامية، ومع هذا فإن النبر الثانوي يوجد في الكلمات ذوات المقطعين فأكثر، فالمقطع المنبور نبرا ثانويا يمكن وجوده على مسافات محددة من النبر الأولى[4]؛كما يالي:

1-يقع الثانوي على المقطع الذي قبل المقطع المنبور نبرا أوليا، إذا كان ذو النبر الثانوي طويلا مثل (ضالين) تتألف هذه الكلمة من مقطعين ص م ̄ ص+ ص م ̄ ص،

[1]- ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها، ص182.

[2]- ينظر:مناهج البحث في اللغة، ص196.

[3]- البيان في روائع القرآن، ص269.

[4]- مناهج البحث في اللغة، ص.196، و ينظر اللغة العربية معناها و مبناها، ص184.

حيث يقع النبر الرئيسي على المقطع الأخير في حين يقع النبر الثانوي على المقطع الأول [1].

2-يقع على المقطع الذي بينه و بين المنبور نبرا أوليا مقطع آخر، إذا كان المنبور الثانوي يكون مع الذي يفصل بينه و بين المنبورة الأولي أحد الأنساق الآتية:

أ)-مقطع متوسط + آخر متوسط (ص م ص) أو (ص م̄) مثل، علمناه، مستبقين.

ب)-مقطع متوسط + مقطع قصير مثل: مستقيم ، صاحبوهم .[2]

3-يقع على المقطع الثالث قبل المنبور نبرا أوليا إذا كانت الثلاثة السابقة لهذا المنبور الأولي تكون نسقا في صورة (متوسط + قصير + قصير أو متوسط)نحو: مستحمين ، يستفيدون ، ما عرفناهم ،محتملون.

ولا يقع الضغط الثانوي على المقطع الرابع السابق للمنبور الأولي في الكلمة[3].

على أنه يجب تبيين قاعدة هامة تبين أثر السوابق والكواسع في موضع النبر، مفادها أن السوابق لا تغير من مكان النبر لأن الحساب من آخر الكلمة،أما الأحشاء والكواسع فإنها تغير من مكان النبر بأن تجعله يتأخر قليلا و تأخير موضع النبر بالكواسع مشروط بأن تكون الكلمة مكونة من ثلاثة مقاطع كحد أدنى.

فهذه قواعد النبر كما فصَّل فيها **تمام حسان**،وهي تشمل نبر الكلمة المفردة والنبر في السياق، ذلك أنه يمكن دراسة النبر في اللغة العربية بإحدى وجهتي نظر،أولهما في الإفراد والثانية في السياق المتصل،والنبر الافرادي نبر الصيغة الصرفية والسياقي نبر الايقاع.[4]

وقواعد النبر في الصيغة الإفرادية لخصها **إبراهيم أنيس** بصورة أكثر وضوحا ناظرا إلى مقاطع الكلمة المفردة من الآخر أي من مقطعها الأخير ،فإذا كان المقطع الأخير من النوعين(ص م̄ص) أو (ص م ص ص) الزائد الطول المغلق ، أوالمديد المغلق فان النبر يقع عليها ، وإلا نظرنا إلى المقطع الذي قبل الأخير ، فإن كان من النوع الثاني أو الثالث الطويل المغلق (ص م ص)والطويل المفتوح (ص م̄)، حكمنا بأنه موضع النبر ، أما إذا

---

[1]- ينظر:الدراسات الصوتية عند العرب و الدرس الصوتي الحديث، ص186.

[2]- ينظر:مناهج البحث في اللغة، ص196.

[3]- نفسه، ص197.

[4] - تمام حسان، مقالات في اللغة ص260.

كان من النوع الأول ، القصير المفتوح (ص م) نظرنا على ما قبله ، فإن كان من مثله ، أي من النوع القصير (ص م)أيضا كان النبر على هذا المقطع الثالث من الآخر ،ويكون النبر على المقطع الرابع من الآخر في حالة كون المقاطع الثلاثة التي قبل الأخير من نوع المقطع القصير المفتوح (ص م).[1]

وعلى كل حال فإن نبر الصيغة الصرفية لا يؤمن هو الآخر حدود الكلمات، وسبب ذلك أن السياق يدخل على الكلمات من اللواصق وحروف المعاني، ما قد يكون في صورته على صوت واحد ، فيبدوا كأنه جزء من بنية الكلمة تتغير به البنية ، فيدعو إلى تغيير موقع النبر فيها. [2]

فتجاور الكلمات في السياق اللغوي تنشأ عنه ظروف جديدة تفرض على النبر أن يقع في مواقع من الكلمات لم تكن له في حالة الإفراد، وهذه الظروف الجديدة هي مقتضيات الإيقاع الذي ينسب إلى السياق، ولا ينسب إلى المفردات[3].

وعلى هذا الأساس قمنا بمحاولة تحديد مواضع النبر في آيات محددة من سورة آل عمران من منطلق الإستماع إلى قراءة **الشيخ عبد الرحمن السديس لسورة آل عمران برواية حفص عن عاصم** ، وقد جرى تقطيع الآيات تبعا لذلك على النحو التّالي :

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [4]

زي/ي/ن/لل/نا/س/حب/**بش**/ش/ه/وا/ت/م/**نن**/ن/**سا**/ء/ول/ب/**ي**/ن/ول/ق/**نا**/ طي/رل/م/**قن**/ط/ر/ة/م/**نذ**/ذ/ه/ب/ول/**فض**/ض/ة/ول/خي/لل/**م**/سو/**و**/م/ة/ول/أن/**عا**/ م/ول/**حر**/ث/**ذا**/ل/ك/م/**تا**/عل/ح/**يا**/ة/د/**دن**/يا/ول/**لا**/ه/**عن**/د/**ه**/حس/**نل**/م/**ءاب**.

[1]-ينظر: ابراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ،ص 182-183.

[2]- ينظر : مقالات في اللغة ،ص216.

[3]- ينظر: في روائع القرآن، ص266.

[4]- الآية(14) من سورة آل عمران.

﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [1]

و/إذ/**قا**/ل/تل/م/**لا**/ئ/ك/ة/**يا**/مر/ي/م/**إن**/نل/لا/هص/ط/**فا**/ك/و/طه/**ه**/ر/ك/و ص/ط/**فا**/ك/ع/ل/ن/**سا**/ءل/**عا**/ل/**مين**.

﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [2]

أل/ل/**ذي**/ن/ين/**ف**/قو/ن/فس/سر/**را**/ء/وض/ضر/**را**/ء/ول/**كا**/ظ/مي/نل/غي/**ظ** /ول/**عا**/في/ن/ع/نن/**نا**/س/ول/**لا**/ه/ي/**حب**/بل/**مح**/س/**نين**.

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [3]

إذ/قا/لل/**لا**/ه/يا/عي/**سا**/إن/**ني**/م/ت/و/ف/**في**/ك/و/را/ف/ع/ك/إ/**لي**/ي/و/م/طه/**ه** /ر/ك/م/نل/ل/**ذي**/ن/ك/**ف**/رو/و/جا/ع/**لل**/ل/ذي/نت/**ت**/ب/عو/ك/**فو**/قل/ل/**ذي**/ن/ ك/**ف**/رو/إ/لى/يو/مل/ق/**يا**/م/ة/ثم/**م**/إ/**لي**/ي/مر/**ج**/ع/كم/**ف**/أح/ك/م/بي/ن/كم/**في**/ما/ كن/**تم**/في/ه/تخ/ت/ل/**فون**.

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[4]

[1]- الآية(42) من سورة آل عمران.

[2]-الآية(134) من سورة آل عمران.

[3]- الآية(55) من سورة آل عمران.

[4]- الآية(20) من سورة آل عمران.

ف/إن/**حاج**/جو/ك/ف/قل/**أس**/ **لم**/**ت**/و ج/ه/ي/**لل**/لا/ه/و/م/نت/**ت**/ب/ع/**ن**/و/قل/لل /**ل**/ذي/ن/**أو**/تول/ك/**تا**/ب/ول/أم/**مي**/ن/أ/أس/ لم/تم/ف/**إن**/أس/ل/مو/ف/ق/**ده**/ت/دو /و/إن/ت/**ول**/لو/ف/إن/**ن**/ما/ع/لي/كل/ب/**لا**/غ/ول/**لا**/ه/ب/**صي**/رن/بل/ع/**باد**.

هذه عينة من سورة آل عمران تم اختيارها،رغبة في تتبع مواضع النبر في كل منها، على أنني اعتمدت في ذلك على حسّي السَّمعي وتتبعي لقراءة الشيخ السديس أثناء تلاوته لسورة آل عمران عامة ،وللآيات محل الدراسة خاصة ، ذلك أن قواعد النبر التي قدمها الدارسون المحدثون ، تشمل نبر الكلمة أو الصيغة المفردة على الأصح ،وهو نبرصامت صمت القاعدة نفسها ،وصمت اللغة من بعدها.[1]

فالمفردة إذا انتضمت داخل السياق تغيرت أحوالها التي كانت لها عند الإفراد، وذلك لأسباب تشتمل عليها بيئتها الجديدة،[2]وبهذا يصبح النبر في الكلام هو الظاهرة الموقعية لأنه نبر الجمل المستعملة فعلا وهي ميدان الظواهر الموقعية. [3] ولهذا قرَّر المحدثون أن لاسبيل تعين على تحديد النبر في نطق العربية الفصحى "سوى ما يمكن أن يؤخذ من نطق القرآن الكريم."[4]

والملاحظ على أن النبر في سورة آل عمران من خلال النماذج التي تم تحليلها يقع في مواضع معينة ،إذ يظهر وقوع النبر بشكل كبير على الصوت المضعف ففي قوله تعالى﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ وقع النبر على المقطع الذي يضم الصَّوت المشدَّد في سبعة(7) مواضع من مجموع مواضع النبر في الآية الكريمة وهي ثلاثة وعشرون (23) موضعا وكذلك في الآية رقم عشرون (20)،فكل مواضع الصوت المضعف وقع عليها النبر .

[1]- اللغة العربية معناها ومبناها ،ص170.

[2]- مقالات في اللغة ،ص175.

[3]- اللغة العربية معناهاو مبناها ،ص170.

[4]- ينظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ،ص28.

كذلك فإن معظم المقاطع المنبورة –إضافة إلى المقاطع التي تضم الصوت المضعف- هي من نوع (ص م ـ) ومن نوع(ص م ـ ص) نحو:/حاج/ في ﴿حَاجُّوكَ﴾ ، /ءاب/ في ﴿الْمَآبِ﴾ ، ومنه وقوع النبر على المد قبل الهمزة ،إذ يقع النبر في﴿ النِّسَاءِ﴾ على المقطع/ساء/ ،ويقع على المقطع /راء/ من كلمة ﴿ السَّرَّاءِ﴾ وعلى المقطع /راء/ من كلمة ﴿الضَّرَّاءِ﴾ .

وهذا النوع من النبر يندرج ضمن النبر الطولي ،كذلك وقوع النبر على الصوت المشدَّد شكل من اشكاال النبر الطولي وإن عدَّه بعضهم شكلا من أشكال النبر التوتري إلا أنه يمكن إلحاق هذا النوع بالنبر الطولي ، من حيث كان التضعيف في الصوت الصَّامت طولا في مدته وأداءه.[1]

كذلك فإن النبر في القرآن الكريم يقع ضمن مسافات معينة تضمن تحقيق الموسيقية والإنسجام في آي الذكر الحكيم ففي قوله تعالى﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾

تمنح الفواصل الزمنية بين كل نبر ونبر*،موسيقية للآية الكريمة وإيقاعا متناغما ومتوازنا ، فبين المقطع الأول والثاني ثلاثة (3) مقاطع وبينه وبين الذي يليه ثلاثة (3) مقاطع ،وبين الثالث والرابع ثلاثة (3)مقاطع ،وهكذا يتوزع النبر وفق مسافات متساوية أو متقاربة مما يُحدث إيقاعا متناسقا وجذابا والأمر نفسه في الآية (134)إذ تتراوح المسافة بين كل نبر ونبر بين مقطعين أو ثلاثة وهكذا حتى نهاية الآية .

إنَّ التَّناسب أوالاتزان في التَّعبير هو مظهر في بيان القرآن، وهذا المظهر الإيقاعي المتلاحم ينسجم مع طبيعة السَّماع أو التلقي، فالأذن ترفض أن تقبل الإرتكاز المتتالي أوالنبر الشديد في كلمتين متعاقبتين ،بل إنَّها لترفض صيغة النقرة القوية يليها نقرتان خفيفتان أو زمنان ضعيفان، وإعادة ذلك بصورة معكوسة أوصيغة نقرة قوية فضعيفة ثم

[1]- ينظر: نفسه ،ص 26.

* – تتبعنا مواضع النبر الرئيسي فقط دون الثانوي.

أخرى قوية فرابعة ضعيفة تُساوي زمن الثانية،وإنَّما تقبل أوتستريح للتـــوازن وتلـــذ بـــه وتنتشي.[1]

فوضع الصوت أوالكلمة أوالجملة على هذا النحو من الأنحاء ، إنما يكون لملامـــح فنية تأتي في مقدمتها الموسيقا وبذلك يضحى التعبير أبرع والتأثير أروع ...فليس لزاعم أن يزعم بأن وضع اللفظ على هذا النحو إنما كان لمعنى في السياق وليس لضرورة الإيقاع .

3- التـــنـــغيـــم :

كلُّ لغة من لغات البشر ،تحمل صفة تنغيمية أو موسيقية خاصَّة بها ،وربما تتفـــوق لغة من اللغات في هذه الصفة التنغيمية ،كما هو الحال في اللغة العربية ،عنـــدما تنـــتظم كلماتها بطريقة خاصة يقصد بها الإفهام والتأثير في السامعين .

وقد اختلفت عبارات الدَّارسين في توصيف التنغيم ،فيعرفه **دانيال جونز** بقوله: **"التنغيم ربما يعرف بأنه التغيرات التي تحدث في درجـــة نغمـــة الحـــدوث في الكـــلام والحديث المتواصل،هذا الاختلاف المتواصل يحدث نتيجة لتذبذب الوترين الصوتيين.**[2] أما **ماريوباي**، فإنه يذهب إلى أن التنغيم التتابع الإيقاعي في أحداث كلام معين، [3] ويسميه

[1]- نعيم اليافي ،عودة إلى موسيقى القرآن ،مجلة التراث العربي، دمشق ، العدد 1407،25هـ/1986م،ص

[2] -Jones Daniel An outline of English phonetics Cambridge 1967, p 275

[3]- عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص256

إبراهيم أنيس موسيقى الكلام [1]، وينعته **محمود السعران** بقوله:"المصطلح الصوتي الدال على الارتفاع والانخفاض في درجة الجهر في الكلام. "[2]

ولعلماء العربية إشارات مهمة لهذا الملمح الصوتي، من ذلك ذكرهم إضافة المدة بغرض الترنم و التنغيم يقول **سيبويه: "إذا ترنموا ألحقوا الألف والياء والواو".**[3]

وقدَّم **ابن جني** لمحات ذكية تؤكد إدراك القدامى لما اصطلح عليه المحدثون بالتنغيم، وهويتفنن في ضروب المصطلح الدال عليه، كما يظهر من كلامه الصلة الوثيقة بين النبر والتنغيم،وكون العلاقة بينهما تلازمية [4]؛يقول **ابن جني**":**وقد حذفت الصفة و دلت عليه الحال، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: سير عليهم ليل، وهم يريدون ليل طويل وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها، وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح،والتطريح والتفخيم والتعظيم، ما يقوم مقام قوله:طويل أو نحو ذلك،وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته،وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فتقول: كان والله رجل، فتزيد في قوة اللفظ (بالله) هذه الكلمة وتتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها، أي رجلا فاضلا، أوشجاعا أوكريما أو نحو ذلك وكذلك سألناه فوجدناه إنسانا،وتمكن الصوت بإنسان وتضخمه فتستغني عن وصفه بقولك إنسانا سمحا أو جوادا،أو نحو ذلك،وإن ذممته و وصفته بالضيق قلت: سألناه وكان إنسانا وتزوي وجهك وتقطبه، فيغني ذلك عن قولك إنسانا لئيما أو نجزا أو مبخلا أو نحو ذلك.**" [5] فألفاظ التطويح والتطريح والتفخيم تدور من خلال معانيها اللغوية حول تطويل الصوت ورفعه؛**والنبر بمفهومه الحديث عملية عضوية تؤدي إلى علو الصوت، وكذلك تراعي في النبر قوة الصوت وهذه تفهم من قول ابن جني:(فتزيد قوة اللفظ، و تتمكن من تمطيط اللام و إطالة الصوت بها)، فتعيينه**

[1]- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 176

[2]- محمود السعران، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، ص 210

[3]- ينظر : الكتاب 220/2.

[4]- عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص 256

[5]- الخصائص،ص 370/2-371

اللام في كلمة رجلا، لتكون محلا للتمطيط والإطالة، يدل بوضوح على أن هذه القوة والتمكن في النطق، لا تقع على جميع مقاطع الكلمة، وإنما على جزء منها،كذلك يكون الصوت المنبور أطول منه، حيث يكون غير منبور [1].فالتنغيم ظاهرة صوتية تعمل بالموازاة مع ظواهر أخرى، أبرزها النبر، وما ينجم عنه من المد والتفخيم.

وللتنغيم وظائف تبعا لنوعية النغمة، ولكل وظيفتها وهي:

***النغمة الواسعة:** و تكون نتيجة إثارة أقوى للوترين الصوتيين بواسطة الهواء المندفع من الرئتين، فيسبب ذلك اهتزازا أكبر فيها، و من ثم يعلو الصوت و يربو.

***النغمة المتوسطة:** و تكون أقل تطلبا لكمية الهواء و ما يصحبها من علو الصوت السابق ذكره. ***النغمة الضيقة:** و تستعمل في العبارات الحزينة [2].

كذلك تُصنَّف التنوعات النغمية أو موسيقا الكلام ، بناءا على درجة إسماعها إل نغمتين ، أولاهما **صاعدة** أو عالية ،وهي التي تشعر السَّامع ببعض الأشياء التي لم تتم، بحيث يتوقع أن يتلقى بقية الكلام ،أو يتوقع إجابة ،وتنتهي هذه النغمة أو التنغيم بأعلى درجة إسماع ،أما ثانيهما، فهي **النغمة الهابطة** ،وهي التي تنبئ بنهاية الكلام وتتميز بدرجة إسماع أقل.[3]وهناك من أضاف **النغمة المسطحة**، وتكون عند الوقوف على الكلام غير التام،كالوقوف على الشرط قبل الدخول في الجواب .[4]

على أن تحديد طبيعة النغمة ، إن كانت صاعدة أو هابطة "**إنما يتم بالنظر إلى نهايتهما فقط ، أما إطارهما الدَّاخلي فينتظم عددا من التنويعات الجزئية الكثيرة فحسبان النغمات اثنين فقط ،إنما هو بالنظر إلى النهاية لا إلى الوحدات الداخلية المتناثرة في المنطوق المعين** [5].

---

[1]- عبد الكريم مجاهد، علم اللسان العربي، دار أسامة عمان، الأردن ط2005/1، ص37-38

[2]- ينظر:مناهج البحث في اللغة، ص229

[3]- ينظر: عبد القادر عبد الجليل ، الأصوات اللغوية،ص257،258، وظاهر التشكيل الصوتي ،ص320.

[4]-ينظر: مقالات في اللغة ،ص178/2.

[5]- فن الكلام ،ص263

فللمتكلم دور كبير في تحديد معنى الجملة بوضعها في إطارها الصوتي الملائم، فالتنغيم، أو التلوين الصوتي يؤدي دورا كبيرا و مهما في التفريق بين معاني الجمل، كالخبرية و الإنشائية، فقد تكون الجملة خبرية في المعنى، و هي تحتوي على أداة استفهام في اللفظ، و قد تكون استفهامية دون أن تحتوي أداة استفهام بيد أن للتنغيم أهمية كبيرة في دراسة الأساليب، كما أن هذه الأساليب تساعد إلى حد كبير في معرفة نوعية النغمة ،وقد قرر علماء اللغة أن **النغمة الهابطة** ،تظهر بوجه خاص في : الجمل التقريرية،الجمل الاستفهامية بالأدوات الخاصة، الجمل الطلبية ، التي تحتوي على فعل أمر ونحوه . **والنغمة الصاعدة**:تتضح في : الجمل الاستفهامية ،الجمل المعلقة [1]، فالجملة الإستفهامية مثلا تتألف من عدد من المقاطع المتلاحقة ،والذي يكون آخر مقطع قويٍّ فيها حاملا لنغمة متغيِّرة الإتجاه (تنخفض أوَّلا ثم تأخذ في الصُّعود).[2]

وما دام اللحن عبارة عن نتاج لنغمات متتابعة تأتي في ترتيب أفقي، ينتهي بنغمة منبورة تكون إما هابطة أو صاعدة متى تمت فائدة الكلام، و تكون مسطحة أو ثابتة متى لم تتم الفائدة، فهو مجموع هذه النغمات التي تحدث في مستوى المديات المسجلة [3].

وقد أدرك العربي سر التنغيم في اللغة ، فعمد إلى السجع في كلامه ، وعمد إلى الأوزان والقوافي في شعره ،...واستغل إمكانات اللغة كافة في الإيقاع والتنغيم ، ونستطيع القول بأن السَّبب في هذا الإهتمام الكبير بموسيقى اللغة ،يعود إلى أن العرب لم يكونوا أهل كتابة وقراءة بل أهل سماع وإنشاد ،فلجأوا إلى الأصوات والأنغام والإيقاع واعتمدوا على مسماعهم في الحكم على النَّص اللُّغوي[4] .

وفي تلك البيئة نزل القرآن الكريم ،فاندهشت نفوس العرب وبُهتت عقولهم ،لأنهم سمعوا من خلاله ضربا من الموسيقا اللغوية لا قبل لهم بها ، لانسجامه واطراد نسقه وجمال

[1] – نفسه، ص 264-265

[2]– محمد إسحاق العناني ، مدخل إلى الصوتيات ،ص 92

[3]– مناهج البحث في اللغة، ص 229.

[4] – ينظر:التنغيم في القرآن (دراسة صوتية)،سناء حميد بياتي،جامعة بغداد مركز إحياء التراث العلمي العربي،العراق ،دت ،ص05.

ألفاظه وسمو معانيه وإئتلاف حركاته وسكناته ومدَّاته ،وغناته واتزانه على أجزاء النفس مقطعا مقطعا ،ونبرة نبرة .

وليس أدلَّ على إعجاز القرآن في أسلوبه ،وانبهار العرب ودهشتهم لذلك التنغيم في التنظيم ،أي تنظيم الأصوات والكلمات والعبارات ،أن من عارضه كمسيلمة الكذَّاب جنح في خرافاته إلى ما حسبه نظما موسيقيا أو بابا منه ،فصبَّ اهتمامه على موسيقى العبارة ،وطوى عمَّا وراء ذلك من التَّصرف في اللغة وأساليبها ومحاسنها ،ودقائق التركيب البياني ،وكأنه فطن إلى أن الصَّدمة الأولى للنفس العربية إنما هي في موسيقى القرآن ،في أوزان الكلمات ،وأجراس الحروف دون ما عداها. [1]

فالقراءة الحسنة للقرآن الكريم تقتضي مراعاة التنغيم أثناء تلاوته ،وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم **أنه كان يقرأ وهو على ناقته أو جمله وهي تسير به سورة الفتح أومن سورة الفتح قراءة ليِّنة وهو يرجِّع**[2]،ولا يكون الترجيع بالقرآن الكريم إلا بإحداث شيء من النَّغم فيه.

ويرى **إخوان الصَّفا** أن حرص المسلمين على تلاوة القرآن الكريم بطيب النغمة ولحن القراءة إنما كان طلبا لرقة القلوب ولخضوع النفس وخشوعها والانقياد لأوامر الله تعالى ونواهيه .[3]

و منه فللقرآن سحر خاص به، حتى إنه يؤثر في الذين لا يعرفون معانيه من خلال نغمه،وهيئة أدائه،وقد التفت إلى هذه الناحية **الجاحظ** الذي قال: وقد بكى أحد متطيبي البصرة وكان يهوديا من أصل سرياني ، من قراءة أبي الخوخ، فقيل له: كيف بكيت من كتاب الله و لا تصدق به)؟ قال: (إنما أبكاني الشجا). [4]

---

[1] – إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ،ص214.

[2]– ينظر : صحيح البخاري ،ص112/6.

[3]– ينظر:إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا ،تحقيق: عارف تامر ، منشورات عويدات ، بيروت ، باريس ط1 1995م/1415ه ص197/1.

[4]– الجاحظ، الحيوان ،وضع حواشيه ،محمد باسل عيون السود،دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان،ط2 2003م/1424ه ،ص 353/4

لقد أدرك علماؤنا وجوه المخاطبات و الخطاب في القرآن، التي لا تخرج عن إطار العادات النطقية السليمة التي تساهم في تعزيز المعنى، و إفهامه دون مبالغة،و لا تخرج ، بالتالي عن كونها تلوينات صوتية تدخل ضمن التنغيم السليم للنص القرآني، فمن المعلوم أن للقرآن أغراضا منها: الإعلام،والتنبيه والوعد، والنهي،ووصف الجنة و النار والرد على الملحدين والكافرين..... وليس طبيعيا ولا سديدا أن تقرأ موضوعات هذه الأغراض كلها بتنغيم واحد .[1]

و قد تحدث **الإمام الزركشي** في كتابه (**البرهان**) عن وجوه المخاطبات والخطاب في القرآن، ويذكر أنها تأتي على نحو من أربعين وجها. [2] وإدراكه تنوع الأساليب في القرآن هو ما دفعه غير مرة في كتابه المذكور إلى القول: "فمن أراد أن يقرأ القرآن بكمال الترتيل فليقرأه على منازله، فإن كان يقرأ تهديدا لفظ به لفظ مهددا، و إن كان يقرأ لفظ تعظيم لفظ به على التعظيم [3].

فالتنغيم يساهم في تمام المعنى وفي توجيهه ، وفي القرآن الكريم تحديد نوعية النغمة يتطلب الالتزام بقراءة معينة، إضافة إلى الاستماع إلى قارئ محدد ، لذا عمدنا إلى الإستماع إل **قراءة الشيخ السديس لسورة آل عمران برواية حفص عن عاصم** وحددنا نوعية التنغيم في عدد من الآيات بالنظر إلى آخر نغمة تنتهي بها كل آية ، ذلك أن قولنا أن الكلام ينتهي **بنغمة هابطة** معناه "وجود درجة عالية في مقطع أو أكثر ، تليها درجة أكثر انخفاضا منه ،وقد تكون النغمة الهابطة مركبة من نغمة متوسطة الدرجة ، تليها نغمة منخفضة ،كما قد تكون مركبة من نغمة عالية الدرجة ،تليها نغمة متوسطة .والنغمة الصاعدة تعني وجود درجة منخفضة في مقطع أو أكثر تليها درجة أكثر علوا منها ،وقد تكون النغمة الصاعدة مركبة من نغمة منخفضة تليها نغمة متوسطة ، وقد تكون مركبة من نغمة متوسطة تليها نغمة عالية .[4]

---

[1]- خير الدين سيب، الأسلوب و الأداء، ص 179

[2]- ينظر الزركشي، البرهان في علوم القرآن،ص 217/2 و ما بعدها

[3]- نفسه، 450/1

[4]- عبد الرحمن أيوب ، أصوات اللغة ، مكتبة الشباب، القاهرة، دت،ص154.

فمن **النغمة الصاعدة** مايظهر في الآيات التالية :

ففي قوله سبحانه وتعالى :﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [1] يظهر تنغيم الآية بدرجة إسماع عالية ويظل النغم يسير وفق هذه النغمة المتصعدة حتى نهاية الآية مما يمنح الآية وقعا وحضورا قويين .

وفي قوله تعالى :﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[2]

فتنغيم الآية الكريمة يتركب من نغمة متوسطة تليها نغمة عالية متصعدة ، وعلى النحو نفسه يسير التنغيم في الآية التالية﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾[3]

أما النغمة الهابطة في سورة آل عمران قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[4]

إذ تبدأ الآية بنغمة صاعدة في المقاطع الأولى من الآية ثم تبدأ بالانخفاض تدريجيا حتى تصبح نغمة هابطة كليا مع نهاية الآية .

ومنه قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[5]

كذلك يبدأ النغم بدرجة إسماع عالية ثم يتدرج في النزول إلى أن يتحول إلى نغم هابط.

ومنه قوله تعالى:﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[6]

---

[1]- الآية (102) من سورة آل عمران.

[2] -الآية (175) من سورة آل عمران.

[3]-الآية (142) من سورة آل عمران.

[4]- الآية (29) من سورة آل عمران.

[5]- الآية (51) من سورة آل عمران.

[6]- الآية (74) من سورة آل عمران.

ويسري النغم في هذه الآية على نفس الوتيرة في الآيتين السابقتين يبدأ، بنغمة صاعدة ثم نغمة هابطة .

ومنه النغمة الهابطة المنخفضة في صيغة الدعاء نحو قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾[1]

وفي قوله تعالى ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [2]

تُستأنف الآية بدرجة عالية من الإسماع تجسدها النغمة الصاعدة ، ثم بدرجة إسماع أقل تتمثل في النغمة المتوسطة ولتنتهي الآية بنغمة هابطة .

وقد يتشكل النسيج النغمي من نغمة متوسطة فقط بحيث يظهر الشكل النغمي للآية على وتيرة واحدة في مثل قوله تعالى﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [3]

فهذه نماذج من الأشكال النغمية التي تُقرأ بها بعض آيات سورة آل عمران ، ومازال هنالك من الأشكال النغمية الكثير مما يمكن استخراجه تبعا للنسيج النغمي الذي تتشكل منه الآية ،وتبعا للتنغيم الذي يميز قراءة القارئ ،فهنالك مثلا النغمة الهابطة الصاعدة وتعني وجود درجة عالية في مقطع أو أكثر ،تليها درجة أقل منها ،ثم درجة عالية[4].

فالتنغيم هو الصورة العامة التي تتمثل مجموع النغمات التي يشملها نوع خاص من أنواع الحدث اللغوي[5]،وهو إضافة لما يمنحه من لحن شجي فإنه يخدم الدلالة ،فكل ضرب ضرب من ضروب الأساليب إلا ويختار لنفسه هيكلا نغميا خاصا يمتاز به عن سواه ،إذ

[1]- الآية (08) من سورة آل عمران.
[2]- الآية (103) من سورة آل عمران.
[3]- الآية (121) من سورة آل عمران
[4]- أصوات اللغة ،ص154
[5]- نفسه ،ص155

يكفي أن تستمع إلى أداء الجملة أو العبارة أو الآية في القرآن الكريم حتى تدرك تلقائيا المعنى المراد منه،وذلك من خلال التنغيم فقط وسنرى شيئا من ذلك في الفصل الثالث .

أولاً ــ أثر البناء الصوتي في الدلالة:

يُعَرِّف بعضهم علم الدلالة بأنه دراسة المعنى،أو العلم الذي يدرس المعنى أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشُّروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى [1].وهي أنواع، الدلالة الصوتية والدلالة الصرفية، والدلالة النحوية والدلالة المعجمية.

فأما الدلالة الصوتية فهي تُعد نوعا ما زال يحاول فرض نفسه كشكل من أشكال الدلالة ،والمحدثون يقفون إزاءه بين مؤيد يستند في رأيه على توقيفية اللغة وعلى نماذج من الكلمات التي تدل بأصواتِها على معانيها ،وبين معارض لها انطلاقا من الأخذ بفرضية اعتباطية العلاقة بين الكلمة وما تدل عليه.

فمِمَّا يعزز ارتباط الدلالة بِمجموع الأصوات المكونة للكلمة، تلك الألفاظ من النوع الرباعي نَحو:**العطعطة** ،وهي تتابع الأصوات واختلاطها في الحرب ، **والغطغطة**، من غطغطة القدر إذا سمعت صوت غليانها[2]، وعادة ما تندرج هذه الألفاظ وغيرها ، فيما يعرف بأصوات الأحداث وهي أكثر ما يعبر به اللغويون القدامى عن الصلة الطبيعية بين الدال والمدلول ،ومنهم من قال بعدم وجودها إلا في ألفاظ الحكاية الصَّوتية، مثل صرصر للبازي والكوكو صوت طائر يسمى به .

وأطلق المحدثون على هذه الأصوات **بأصوات الأصوات**، ومنهم من أطلق عليهم تسمية (**المحاكاة**) ونسبة هذه التسمية إلى إحدى نظريات نشوء اللغة وأن هذه الأصوات هي التي أحدثت اللغة وأخذت ألفاظها، ودلالاتها من هذه الأصوات [3].

---

[1] – أحمد مختار عمر، علم الدلالة ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1998 ، ص 11 .

[2] – ابن دريد، جمهرة اللغة ،ص157/1 .

[3] – جاسم محمد عبد العبود، مصطلحات الدلالة العربية ، دراسة في ضوء علم اللغة الحديث ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ط1 2007م /1428 هـ، ص 85.

ومن ذلك الحكاية الصوتية، فقد ذكر الخليل بأنها "**بمنزلة الصلصلة والزلزلة وما أشبهها، يتوهمون في حسن الحركة ما يتوهمون في جرس الصوت، يضاعفون لتستمر الحكاية في وجه التصريف**". [1] ويرى بعض العلماء بناءا على هذه النظرية أن مناسبة اللفظ للمعنى مناسبة حتمية ،بمعنى أن اللفظ يدل على معناه دلالة وجوب لانفكاك فيها[2].

إلا هناك فئة أخرى من العلماء، حكمت على اللفظ ومعناه، والعلاقة بينهما بالاعتباطية أي عدم وجود صلة بين اللفظ ومعناه إلا بالتواضع والاصطلاح حيث خُصِّص اللفظ لذاك المعنى[3].

فكلماتنا رموز تقليدية، ونحن نكسب معاني هذه الكلمات في طفولتنا المبكرة ، ولكن بطريق التعلم إذ لا يوجد في اللفظ ما ينبئ عن المدلول،فبالإضافة إلى عدم وجود أي علاقة بين كلمة(منضدة) وما تدل عليه مثلا، هناك شيئان يعارضان افتراض وجود أي علاقة بينهما مهما كانت هذه الصلة غامضة[4] :

الأول : يتمثل في تنوع الكلمات واختلافها في اللغات المختلفة ذلك أن الكلمة الواحدة في اللغة الواحدة قد تعبر عن عدة معاني وهو ما نسميه بالمشترك اللفظي ،ولا نستطيع إنكاره أو إهماله،كما أن المعنى الواحد قد يعبر عنه بكلمات عدة مختلفة الأصوات ،وهو ما يسمى بالترادف الذي نلحظه في كل لغة ولا سيما العربية .

الثاني: أن الأصوات والمعاني تخضع للتطور المستمر على توالي الأيام، فقد تتطور الأصوات وتبقى المعاني سائدة كما قد تتغير المعاني وتظل الأصوات على حالها[5] ،كذلك لو صح الافتراض القائل بوجود علاقة فطرية بينهما لكان حتما أن يتكلم الناس لغة واحدة[6].

---

[1] – الخليل، العين،ص39/1 .

[2] – رمضان عبد التواب ، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، ص 113 .

[3] – جاسم محمد عبد العبود، مصطلحات الدلالة العربية ، دراسة في ضوء علم اللغة الحديث ، ص86.

[4] – رمضان عبد التواب ، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، ص 209.

[5] – إبراهيم أنيس ، من أسرار اللغة ، مكتبة أنجلو المصرية ، ط7، 1985 ص 144 .

[6] – ماريو باي ، أسس علم اللغة ، ص 41 .

ولعل أفضل رد على هذه النقاط هو أن اللغات-بوجه عام-تؤثر التعبير عن الأشياء بوساطة ألفاظ أثرها في الأذان كأثر تلك الأشياء في الأذهان ،وأن الكلمة بدأت واضحة الصلة بين أصواتها ودلالاتها، ثم تطورت تبعا لحاجات الإنسان المتجددة والمتغيرة حتى وصلت إلى مرحلة أصبحت فيها ملاحظة الصلة بين أصوات الأشياء ومعانيها تكاد تكون معدومة، وقد لا يتجاوز عشرات في بعض اللغات[1].

وهكذا ترقى الحكاية الصوتية إلى حكاية معنى عرفي رصده المعجم للفظ أو معنى طبيعي مما تستوحيه النفس ولا تستطيع وصفه ،فإن أمكن أحيانا أن نشير إليه من بعد، فإننا لا نستطيع تفسير العلة التي جعلته موحيا على هذا النحو، فمثل التأثر به كمثل التأثر باللحن الموسيقي، نطرب له ولا ندري لماذا، وهكذا يمكن أن ننسب إلى التفخيم مثلا،إيحاء المبالغة في إيقاع الحدث أو في الوصف،فإذا سألنا أنفسنا عن السبب في ذلك لم نستطع لهذا السؤال جوابا[2]، فمن ذلك قولهم: النضح للماء ونحوه، و النضخ أقوى منه قال سبحانه و تعالى: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾[3]،فجعلوا الحاء لرقتها للماء الخفيف والخاء لغلظها لما هو أقوى منه[4].

ورؤية الأمر الحقَّة أن الدلالة الصوتية،وإن أسهم الحرف بشكل واسع في مد محتوياتها إلا أن التتابع الصوتي، و تنوعاته داخل تيار الكلام، يوجهان بنيتها،و هي تخضع، لما يمنحه المتكلم من قدرة و ديناميكية داخل التركيب[5] ،أضف إلى ذلك فإنه لا معنى للصوت منعزلا عن سياقه، وإنما يمكن القول إن الصوت المفرد يرتبط بدلالة دون سواها،حينما يصبح في سياقه النصي وتَختلف هذه الدلالة من سياق لآخر.[6]

---

[1] – ينظر: صالح سليم عبد القادر الفاخري ،الدلالة الصوتية في اللغة العربية ، مؤسسة الثقافة الجامعية ،الإسكندرية 2007 ، ص 62-63، وهناك من ظل متذبذبا في موقفه من هذه العلاقة ، ينظر : فندريس ، اللغة ص 235-236 .

[2] – تمام حسان، البيان في روائع القرآن ص293

[3] – الآية (66) من سورة الرحمان.

[4] – ينظر: الخصائص ،ص158/2.

[5] – عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي ص152

[6] – ينظر : تمام حسان، مقالات في اللغة،ص 255/1

وهذا ما يتجسد في ألفاظ القرآن الكريم، فهي مِما يجري على اللسان في سهولة ويسر، ويعذب وقعه على الأذان في انسياق و انسجام، قال **البارزي** في أول كتابه **أنوار التحصيل في أسرار التنزيل**، "**اعلم أن المعنى الواحد قد يخبر عنه بألفاظ بعضها أحسن من بعض، و كذلك كل واحد من جزأي الجملة، قد يعبر عنه بأفصح ما يلائم الجزء الآخر، ولابد من استحضار معاني الجمل واستحضار جميع ما يلائمها من الألفاظ ثم استعمال أنسبها وأفصحها، واستحضار هذا متعذر على البشر في أكثر الأحوال،وذلك عتيد حاصل في علم الله، فلذلك كان القرآن أحسن الحديث وأفصحه،وإن كان مشتملا على الفصيح و الأفصح و المليح و الأملح.**"[1]

ونروم في هذا المبحث أن نستكشف شيئا من مساهمة الصوت في إبراز الدلالة في سورة آل عمران .

[1]- أحمد أحمد البدوي، من بلاغة القرآن، نهضة مصر ط د ت ص60.

1-دلالة الصَّوامت:

ونعني بدلالة الصوامت مايشمل الصَّوت الصَّامت مفردا ،أي كقيمة مستقلة تفرض هيمنتها على باقي الأصوات في توجيه الدلالة ،منتقلين بعد ذلك للحديث عن دور مجموع الأصوات في توجيه الدلالة وتحديدها .

أ- الإختيار الصوتي في سورة آل عمران وأثره في الدلالة:

سنحاول في هذا العنصر، انتقاء نماذج يظهر فيها تأثير صوت واحد في الصِّيغة أكثر من سواه من الأصوات، مع مراعاة تجاوره في السياق مع أصوات أخرى، ولكن دون التَّعويل على ذلك، بمعنى أننا سنهتم بالنظر إلى الصوت من ناحية صفاته ومخرجه كوحدة مستقلة ، وإن كنا أشرنا مُسبقا إلى أنَّ الصوت يكتسب قيمته الدلالية من خلال السياق الذي يَردُ فيه، إلا أن النَّماذج المنتقاة يمكن القول فيها أن هناك صوتا واحدا يُهيمن بخصائصه الصوتية على توجيه دلالة الصيغة أو الآية ككل .

ففي قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾[1] .

" تكرر **صوت القاف** عشر مرة، ولهذا الإختيار الصوتي علاقة بالدلالة،ولهما علاقة بسياق الحال،فسياق الحال،وما يؤتى به من تَهديد وتقريع يقتضي وجود أصوات مهيبة لتُروِّع القلوب،وقد حمل صوت القاف عبء التعبير عن هذه المعاني،وما تُؤتي به من ظلال؛"[2] وذلك بالنَّظر إلى عمق مخرجه ،وشدته ،وتفخيمه الجزئي .

كذلك فإن **صوت النون** يظهر في **سورة آل عمران** بخصائصه الصوتية المتميزة وقوته الإسماعية العالية وغنته الموسيقية، مساعدا على اجتياز مراحل التَّأوُّه والأنين وضروب التعبيرات الإنفعالية[3]، يظهر ذلك في هذا الدعاء الذي تنتهي الكثير من ألفاظه بنغمة النون وغنتها الموسيقية وامتدادها الصوتي، عاكسة حالة الخشوع والتضرع بالدعاء

---

[1]- الآية (181) من سورة آل عمران .

[2]-ينظر: خالد قاسم بن دومة: دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم ،عالم الكتب الحديث، الأردن 2006،ص265

[3]-ينظر: عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي ص 87

على وجه يُصوِّر الحالة النفسية للقارئ، وكأن أنفاسه تتصاعد إلى السماء، كل ذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾.[1] ﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾[2]

وتساعد النون في عرض هذه الصورة **صوت الهاء** في (هديتنا، هب، الوهاب،...) فهي تدل على السعة و تُشعر بتلك المساحة الواسعة التي تحاول من خلال صوت الهاء ملأها بصوت هادئ يوحي بالضعف و الليونة.

وقد ذكر **العقاد** أن احتلال الصَّوت موضعا معينا في الكلمة يُلقي بظلاله على دلالة الكلمة،وذكر من ذلك **صوت الحاء،"ففي بداية الكلمة احتكرت أشرف المعاني وأقواها"**[3]، وتتبعت ذلك في **سورة آل عمران** فوجدته كلاما سليما إلى حد كبير، فمما وردت فيه الحاء أول الكلمة على اختلاف تَنَوُّع الاشتقاق: (**الحي**)،(**الحق**)،(**الأرحام**)، (**الحكيم**)،(**محكمات**)،(**رحمة**)،(**تحشرون**)،(**حياة**)،(**حب**)،(**حرث**)،(**حسن**)...وغيرها.

ولو تأملنا كلمة (**يغشى**) في قوله تعالى:﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ ﴾ [4] ،ففي قوله تعالى (**يَغْشَى**) تصوير للنعاس في هيئة شيئ حسِّي يُغشيهم الله تعالى به رحمة منه ،إذ في وقت يسُود فيه التوتر والقتال الأجواءَ ،والنفوس قلقة خائفة، يغشى الله تعالى النفوس المطمئنة بِهالة من النعاس والسَّكينة؛ ويأتي الإختيارالصوتي لكلمة (يغشى) متناسبا تمام المناسبة مع هذا المعنى ،حيث يتميز صوت الشين بالتَّفشي وبإستطالة ،تنفرد بِمحاكاة تصوير التغشية ،بل لا يَبعُد إذا قلنا إن هذا الصوت كان له مشاركة كبيرة بالإيحاء بتلك الصورة البديعة .

[1]- الآية (16) من سورة آل عمران .

[2]-الآية (08) من سورة آل عمران.

[3]- ينظر:العقاد محمود عباس، أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، دار المعارف القاهرة ط6 دت، ص 43

[4]- الآية (145) من سورة آل عمران.

ومنه التقابل الجميل بيت صيغتي (**يُمَحِّصُ**) و(**يَمْحَقُ**) من قوله تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾[1] .

فالصيغتان تشتركان في جميع أصواتِهما سوى في الصوتين الأخيرين أي الصاد والقاف والصيغة الأولى جاءت في معرض الحديث عن المؤمنين، والثانية خطاب للكافرين، وكان بالإمكان استبدال إحدى الصيغتين بمرادف لها كأن يقال (لِيُطهِّر الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) ،ذلك أن معنى **مَحَّصَ** في اللغة:"تخليص الشيء وتنقيته ومَحَّصَه مَحْصًا،،خَلَّصَه من كلِّ عيب ،ومَحَّصَ الله العبد من الذنب طهَّره ونقَّاه ومحَّصه".[2] ومعنى **مَحَّقَ**:"النقصان ومنه مَحَقَه ،نقَّصه وكل شيئ نقُص وُصف بهذا"[3]؛ إلا أن بلاغة القرآن الكريم إقتضت أن تجتمع الصيغتان (يُمحص-يَمحق) بما تحملانه من مناسبة صوتية في موسيقاهما وبماتوحي به أصواتُهما ،سيما القاف والصاد؛ "**ففي تمحيص المؤمنين إهلاك لذنوبهم وتطهير لهم ،وفي محق الكافرين إهلاك لأنفسهم ومحوهم**" [4]. فانبساط الصَّاد وطول الصوت بها ،يوحي بفسحة للأمل للمؤمنين وطمأنة ودعم لهم ،وفي شدَّة القاف قوة واحتقان يوحي بسوء مرد الكافرين ومآلهم المخزي .

فالقرآن أعلى منازل البيان وإذا علا الكلام في نفسه كان له من الوقع في القلوب، والتَمَكُّن في النفوس، ما يُذهل ويُبهج،ويُقلق ويُؤنس،ويُضحك ويُبكي،ويُحزن ويُفرح،ويُسكن ويُزعج ويُشجي ويُطرب ويهُز الأعطاف ويَستميل نحوه الأسماع، ويورث الأريحية والعزة،وقد يبعث على بذل المُهج والأموال شجاعة وجودا ويرمي السامع من وراء رأيه مرمى بعيدا[5].

---

[1]- الآية (141) من سورة آل عمران .

[2]- المقاييس ،مادة (محص)ص300/5.

[3]- نفسه ،مادة (محق) ص301/5.

[4]- التفسير الكبير ،ص 17/9.

[5]- الباقاني أبي بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف، مصر ط.د.ت ص419.

من هذا يتضح أن الأصوت تَختلف قوة وضعفا، وتتباين في جرسها ورنتها ويتبع ذلك اختلاف الكلمات التي تتكون منها في وقعها على السمع، وفي مترلها في أداء المعنى وفي إشارتِها للإنفعالات الخاصَّة وألوان من الإحساس تؤَثِّر في الإبانة.

" فالأصوات اللينة الهادئة الجرس تبعث الارتياح، والقوية تناسب مواقف الزجر والتعنيف، والممدودة تناسب مواطن النصح والإرشاد إلى غير ذلك، ولكل هذا شأن في بلاغة القول وروعته، ومطابقته لمقتضى الحال وتَجد ذلك واضحا في الأسلوب المحكم المعجز للقرآن الكريم وبلاغته"[1].

ب-تشكيل الأصوات داخل الصِّيغة وأثره في الدلالة :

"إن الدَّلالات لاترجع إلى قيمة الصوت في حد ذاته بقدر ماتكون وليدة السِّياق وخليقته، فالسياق هو الذي حمَّل الصَّوت هذا المعنى ،وهوالذي استخدم الحرف أوالكلمة كصوت يُلبِسهما دلالة سياقية حينية مؤقتة ،وليست دلالة دائمة تستصحب في غيره من السِّياقات ،فكل سياق له دلالته التي يَجعلها على أصواته ،وكل قارئ أو سامع له ذوقه الخاص في استكناه دلالة تلك الأصوات وتأثره بِها ، وإن كان هذا لا ينفي وجود حسٍّ أو ذوق عام يكاد يشترك في فهم دلالات كثير من تلك الأصوات في السِّياقات والمواقف المختلفة. "[2]

ومن ذلك،المواقف التي تستدعي الحكاية الصوتية ونجد ذلك متمثلا بصورة واضحة في آيات النص القرآني أيَّما تمثيل، فمن حكاية الصوت لمعناه في سياقات **سورة آل عمران** في قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[3].

[1]- عبد الحميد حسن، الألفاظ اللغوية خصائصها و أنواعها، دار الكتب ،1971، د ط، ص16.

[2]- عبد الحميد هنداوي ، الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ،ط1428،1هـ/2004م،ص15.

[3]-الآية (117) من سورة آل عمران.

فقوله تعالى (كمثل ريح فيها صر)، أي كمثل مهب الريح،" **والصِّرُ البرد الشديد، قال به ابن عباس، قيل أصله من الصرير الذي هو الصوت، فهو صوت الريح الشديد، و قال الزجاج: هو صوت لهب النار الذي كانت في تلك الريح**"[1].

قال **ابن الأنباري** " **وإنما وصفت النار بأنَّها (الصِّر) بتصويتها عند الالتهاب، ومنه صرير الباب**[2] ،وكلمة (صر) تعكس حتى زمان هبوب هذه الريح "**إنَّها ريح شديدة البرد،وذلك بعصوف من الشمال في إعصار الطل والأنداء في صبيحة معتمة بعقب ليلة مصحية**"،[3] ولفظة (**الصِّر**) بهذا المعنى وردت في ثلاثة مواضع من الذكر الحكيم ، في قوله تعالى:﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾[4] ، وقوله: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا ﴾[5] وقوله : ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ [6] .

فهذه المادة في هذه الصيغ الثلاث:مرفوعة ومجرورة ومنصوبة وردت في القرآن الكريم على نحو وظيفي نلمس فيها اصطكاك الأسنان وترديد اللسان، **فالصاد** في وقعها الصارخ و**الرَّاء** المضعَّفة و التكرار للمادة في(صرصر)قد أضْفتا صفة الشدة وجسَّدتا صورة الرهبة، فلا الدِّفء بِمُتهيئ،ولا الوقاية متيسرة، وذلك ما يُهدد كيان الإنسان عند التماسه الملجأ فلا يجده أو النجاة فلا يصل شاطئها،أو الوقاية من البرد القارص فلا يهتدي لها.

فالصاد بفخامته يصور قوة تلك الريح،وهو بصفيره كأنه يُسمِعك صوت هبوب هذه الريح الباردة،والراء صوت مجهور مكرر بتكراره في هذا الموضع، يصور هبوب الريح المتواصل و المستمر باستمرار انطلاق هذا الصوت وترديده.

"**إنها لفظة رسم بِها القرآن الكريم صورة الحرث تأخذه الريح فيها برد يضرب الزرع و الثمار فيهلكها، فلا ينال صاحب الحرث منه ما كان يرجوا بعد الجهد فيه،**

---

[1]- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ص155.

[2]-الرازي، التفسير الكبير 182/8.

[3]- الطبري، جامع البيان 59/4.

[4]- الآية (117) من سورة آل عمران .

[5]-الآية (19) من سورة سورة القمر .

[6]-الآية (06) من سورة سورة الحاقة.

كالذي ينفق ماله و هو كافر،و يرجوا الخير فيما أنفق،فيذهب الكفر بما كان يرجوه".[1]

"إننا ننظر، فإذا نحن أمام حقل تهيئ الإخصاب، فهو حرث ثم إذا عاصفة تهب، إنها عاصفة باردة ثلجية محرقة تحرق هذا الحرث بما فيها من صر، و اللفظة ذاتها كأنها مقذوف يُلقَى بعنف، فيصور معناه بجرسه النفاذ، وإذا الحرث كله مدمر وخراب"[2].

لقد صوَّر القرآن الكريم في هذا المقطع من سورة آل عمران (116-120) حياة الكفار ومُنتهاهم،مُحذِّرا منهم ومُصورا مآلهم المخزي ولفظة (صر) من (الآية: 117) نموذج يعكس ما انطوى عليه هذا المقطع.

وقد يأتي التشكيل الصوتي بصيغة تحمل في دلالتها معنى الألم و اللين معا، فتجد مادة (**مَسَّ**) في القرآن بأزيزها الحالم وصوتها المهموس ونغمها الرقيق، نتيجة لتضعيف صوت الصفير، أو التقاء صوتيين متجاورين فمادة (**مَسَّ** أو **مَسَسَ**) في رقَّتها صوتيا وقوَّتها دلاليا، تجمع بين جرس الصوت الهادئ و بين وقع الألم الشديد، فالمسُّ يُطلق عادة ويُراد به كل ما ينال الإنسان من أذى ومكروه في سياق الآيات التالية في قوله تعالى: ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ﴾[3]،وقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ ﴾[4]وورد اللفظ جامعا لمدركي الخير و الشر، فقد ورد اللمس الجميل في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ﴾[5].

فأصوات الصفير، نتيجة عُلُوِّ رنينها بسبب ضيق مجراها فهي تندفع بقوة من خلال الأسنان مُحدثة ذلك الصفير، فهذه الأصوات ذات الجرس الصارخ، يُلحظ لدى استعراضها أنها تؤدي مهمة الإعلان الصريح عن المراد في تأكيد الحقيقة ، وهي بذلك تُعبر عن الشِّدة حينا وعن العناية بالأمر حينا آخر.

---

[1]- سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق القاهرة: د ت،دط ص 36.

[2]- سيد قطب : في ظلال القرآن،ص451/4.

[3]- الآية (140) من سورة آل عمران .

[4]-الآية (33) من سورة الروم .

[5]- الآية (120) من سورة آل عمران .

وصورة جميلة أخرى يرسمها القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾[1]،**فبينما حركة السقوط في حفرة النار متوقعة، إذ بالقلوب ترى يد الله،وهي تدرك وتنقذ وحبل الله وهو يمتد ويعصم،وصورة النجاة والخلاص بعد الخطر والترقب، وهو مشهد متحرك حي تَتَتَبَّعه القلوب واجفة خافقة،وتكاد العيون تتملاه من وراء الأجيال.**[2]

ولو استطاعت ريشة مُصوِّر بالألوان أن تبرز هذه الحركة المتخيلة في صورة صامتة لكانت براعة تُحسب في عالم التصوير، والمصور يمتلك الريشة واللوحة والألوان، وهنا الألفاظ فحسب يصور بِها القرآن. ثم ننظر إلى جمال التعبير من زاوية أخرى،إذ يرسم هذه الصورة ثم يجعل هذه الحفرة من نار، ويجعلهم على شفا منها، فيطوي الحياة الدنيا كلها وهي الفاصل بينهم وبين النار. ويجعلهم وهم بعد أحياء، وهم بعد في الدنيا، واقفين هذه الوقفة على شفا حفرة من النار حينما كانوا من الكفار[3]. و"**الشَّفا** حرف كل شيء مثل الركبة و حروفها"[4] ،و يُضرب به المثل في القرب من الهلاك،وأشفى فلان على الهلاك أي حصل على شفاه[5].

وكلمة (**شَفَا**) تنتهي بمد **الفاء**، وهي صوت شفهي يقع في حدود الفم، فهي تمثل أوصاف المعنى الحاملة له أيَّما تمثيل، و الفاء يشكل مع ما يتصل به من أصوات ثنائي يدل على الشق والفتح نحو: فَلَذَ، فَلَقَ، قال **البيضاوي** في تفسير قوله تعالى﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ

[1]- الآية (103) من سورة آل عمران .

[2]- سيد قطب، في ظلال القرآن ،ص443/4.

[3]- ينظر: سيد قطب، التصوير الفني في القرآن ص41.

[4]-أبو عبيدة معمر بن المثنى الليثي(210هـ)، مجاز القرآن، عارضه بأصوله و علق عليه ،محمد فؤاد سيزكين ،مكتبة الخارجي القاهرة د.ت.د.ط، ص98/1

[5]-ينظر: الأصبهاني الراغب (ت 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، ضبطه و راجعه محمد خليل عيتاني ،دار المعرفة بيروت لبنان ط3 1423هـ/2001م ص266.

الْمُفْلِحُونَ ﴾[1] والمفلح (بالفاء والميم) الفائز بالمطلوب،كأنه الذي انفتحت له وجوه الظفر.[2]

كذلك صيغة (**الوَهَن**) في قوله تعالى :﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[3]

فربُّ العزة ينفي الوهن عن عباده المؤمنين ،وهم في وضع أخبروا فيه أن نبيَّهم قُتل وعلى الرغم من ذلك ماضعفوا عن الجهاد بعده وماستكانوا للعدو ،وهذا تعريض بما أصابهم من الوهن والإنكسار عند الإرجاف بقتل رسولهم وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين ،واستكانتهم للكفار ،حتى أرادو أن يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن أُبي وطلب الأمان من أبي سفيان ،ويُحتمل أيضا أن يُفسَّر **الوَهَنُ** باستيلاء الخوف عليم ،ويفسر الضَّعف بأن يضعف إيمانهم ، وتقع الشكوك والشبهات في قلوبهم ،والإستكانة هي الإنتقال من دينهم إلى دين عدوهم.[4]

وكان من الممكن التعبير بصيغة **ضَعْف** ،**فالوَهَنُ** في اللغة هو الضعف، يقال:وَهَنَ الشَّيءُ يَهِنُ وَهَنًا، ضَعُفَ [5]؛إلا أن صيغة (وهن) تركَّبت من **صوت الواو** بما فيه من خفاء ورقة ولين مع قرب مخرجه لكونه شفهيا ، فينظر إلى مناسبة لينه ورقته وخفائه ،إلى معنى الضعف والوهن والإعياء ، **والهاء** صوت خفي عبارة عن هواء ،فكأنها تعبِّر عن تأوُّه الإنسان الواهن الَّذي لا يستطيع حمل جسمه ولا التحرُّك إلا بمشقة ، **والنون** صوت أنفي لا يتسرَّب الهواء معه من الفم بل يختار الخروج من الأنف على شكل غنة ممدودة يزيد من طولها اتصالها **بصائت الضم الطويل** ،ذو المخرج المنغلق والشفتين المستديرتين.

---

[1]–الآية (104) من سورة آل عمران .

[2]–ينظر: مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب 141/1.

[3]– الآية (146) من سورة آل عمران .

[4]– ينظر: التفسير الكبير ،ص24/9.

[5]– المقاييس ،مادة (وهن) ص150/6.

ومن ذلك أيضا المناسبة بين الأصوات المهموسة ومعنى الخفاء ، في قـــوله تعـــالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ ﴾[1]،وفي القاموس، "تَخفَّى:اسْتَتَرَ."[2]

فكل من **التاء والخاء والفاء** أصوات مهموسة خفية ،وكلمة (**تَخَفَّى**) هنا تشمل جميع مااحتوته السماوات والأرض ، بِما في ذلك ما استتر في نفوس العباد وصُمت عنه .

ومن أمثلة التناسب كذلك، اجتماع الأصوات الشَّديدة في قوله تعالى﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾[3].

فكل من **الكاف والباء التاء** أصوات شديدة ،يقف الهواء عند إصدارها في نقطة معينة ،فكأنه يُكبت ثم ينطلق على شكل انفجار ، وفي أساس البلاغة :"كَبَتَ الله عَدُوَّك ، كَبَّه وأَهْلَكَه ،ومن المجاز فلان يكبت غيظه في جوفه ولا يخرجه"[4]. وهي في هذا المقام تشكل جزءا من الإذلال والصَّرف عن الشَّيئ [5]. فالآية تصور كبت الله عزَّ وجل للكافرين للكافرين وإذلالهم وتخييب أمالهم .

كما أن تشكيل الكلمة من أصوات متناسبة من ناحية المخارج يساهم في إيضاح الدلالة وتجميلها ، ففي قوله تعالى ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[6].

فالله عز وجل يختار ويَجتبي ويصطفي من رسله من يشاء ،ليختصهم بحمل رسالته ويكلف بقية البشر بطاعتهم والعمل بما جاءوا به؛ وصيغة (**يَجْتَبِي**) مكونة أساسا من أربعة أصوات كل منها يقع في منطقة مخرجية معينة ،بحيث تلي كل منطقة الأخرى ، **فالياء**

---

[1]- الآية (05) من سورة آل عمران .

[2]-الزمخشري،أساس البلاغة،.تحقيق:محمدباسل عيون السود، دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1419،1ه/1998م، مادة (ضعف) ص260/1.

[3]- الآية (127)من سورة آل عمران .

[4]- أساس البلاغة مادة (كبت) ،ص 118/2.

[5]- ينظر: المقاييس مادة (كبت)،ص 152/5

[6]- الآية (179) من سورة آل عمران .

والجيم من وسط اللسان ،**والتاء** من طرفه،**والباء** مما بين الشفتين ،فالقارئ يتصعد ويرتقي في نطقه لهذه اللفظة من وسط الفم إلى غاية الشفتين ، كذلك إجتباء الله عز وجل لرسله تصعُّد وارتقاء بِهم .

"ومن إعجاز القرآن الكريم حروفه المقطعة، تلك الحروف التي تُقرأ مقطعة مفردة أو مركبة،فلا تعطي دلالة ما لكنها حين تأخذ مكانَها في القرآن يتجلى سرُّها البياني المعجز"[1]، ولم يستطع أحد حتى الآن تفسير مثل هذه الآيات بشكل مقبول يكشف عن أسرارها و علومها[2]، "والعجيب في هذه الأصوات وعددها أربعة عشر صوتا وهي نصف أصوات المعجم أنها قد جمعت نصف الأصوات المهموسة و نصف الأصوات المجهورة، ومثل ذلك بالنسبة للشدة و الرخاوة والإطباق والانفتاح"[3].

وقد ذهب العلماء في تفسير﴿الم﴾[4] ،مذهبا صوتيا جميلا فذكروا "**أنَّها جمعت المخارج الثلاثة الحلق واللسان والشفتين على ترتيبها، وذلك إشارة إلى البداية التي هي بداية الخلق والنهاية المعاد، والتوسط الذي هو المعاش من التشريع بالأوامر والنواهي،وكل سورة افتتحت بِها هي مشتملة على الأمور الثلاثة**"[5].

وهي هنا في(**آل عمران**)،إشارة إلى أن هذا الكتاب مُنزَّلا من الله الذي لا إله إلا هو، وهو مؤلف من أحرف وكلمات شأنه في هذا الشأن سابقه من الكتب السماوية، التي يعترف بِها أهل الكتاب المخاطبون في السورة، فليس هناك غرابة في أن يترل الله هذا الكتاب على رسوله بِهذه الصورة[6] .

ونختم هذه النَّماذج بأنموذج بديع لتناسب التشكيل الصوتي يعكس إعجاز القرآن ويصور براعة اللغة ورُقيَّها ،وذلك في لفظ الجلالة (**الله**) يقول **السهيلي** " **فالحكمة في**

---

[1]- عائشة عبد الرحمان، الإعجاز البياني للقرآن و مسائل ابن الأزرق دار المعارف مصر ،دط،دت ص166.

[2]- ينظر:حسام البيطار، إعجاز الكلمة في القرآن الكريم، وجه غير مسبوق في إعجاز الكلمة المفردة ، عمان الأردن،ط1، 1426 هـ/2005م،ص80.

[3]- ينظر: الباقلاني، إعجاز القرآن ص 66-68.

[4]- الآية (01) من سورة آل عمران .

[5]- السيوطي جلال الدين معترك الأقران في إعجاز القرآن ،تحقيق: على محمد البجاوي ،دار الفكر العربي،ط د،د ت ،ص71/1.

[6]-ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن ،ص 364/3.

وجود الألف في أوله أنَّها من أقصى مخارج الصَّوت قريبا من القلب الذي هو محل المعرفة إليه ،ثم الهاء في آخره مخرجها من هناك أيضا ،لأن المبتدأ منه والمعاد إليه والإعادة أهون من الإبتداء ، وكذلك لفظ الهاء أهون من لفظ الهمزة." [1]

هذه حالات حاولنا من خلالها استنطاق الأصوات الصَّامتة ومعرفة مدى مساهمتها في إظهار الدلالة وإبراز هذه الناحية الجمالية البديعة من **سورة آل عمران** .

[1]- نتائج الفكر ،ص 176.

2- دلالة الصوائت:

لاتقل إهمية الصَّوائت عن الصَّوامت في إظهار الدَّلالة ،وذلك ماسنعمل على تبيان شيء منه في سورة آل عمران.

أ التناسب الصوتي بين نوع الصَّائت والدَّلالة :

تساهم الصَّوائت بشكل كبير في رسم الحدود الدلالية للألفاظ،لاسيما حين يتعلق الأمر بوظيفتها النحوية، فهي إما علامات إعراب أو حركات بناء،وفي الموضعين تحمل دلالة معينة تعين على فهم سياق الكلام،"إذ الإعراب ليس في حقيقته سوى تجسيد للتحقيق الصَّوتي في العربية"[1]؛ ومن الناحية الصوتية تلقي الصَّوائت بخصائصها وسماتها الصوتية، بظلالها على دلالة الكلمات الحاملة لها، وإن يبقى ذلك رهين الاجتهاد دون تقنين ذلك،ففي **سورة آل عمران** يظهر تأثير نوع الصائت في رسم الدلالة في بعض الآيات دون سواها، وسنحاول تتبع ما برز منها.

أول ما يلفت الانتباه في هذا المقام، قوله تعالى: ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾[2].

فلفظه (**القَرْح**)في الآية الكريمة تحتمل دلالتين وإن كانت تَصُبَّان في بوتقة واحدة، يقول **الفراء**:"**وقَرْحٌ أكثر القُراء على فتح القاف،وقد قرأ أصحاب عبد الله:قُرْحُ،وكأن القَرحَ ألم الجراحات،وكأن القُرحَ الجراح بعينها**"[3]،والمعنى، "إن يمسسكم يوم أحد قَرحٌ فقد مس القوم يوم بدر قَرحٌ مثله"[4].

"لقد أصاب المسلمين القرح في هذه الغزوة وأصابهم القتل والهزيمة،أصيبوا في أرواحهم وأصيبوا في أبدانهم بأذى كثير،قُتل منهم سبعون صحابيا، وكُسرت رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشُجَّ وجهه وأرهقه المشركون، وأُثْخِن أصحابه

---

[1]-ينظر: مرتاض عبد الجليل ، في رحاب اللغة العربية ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر،ص115.

[2]- الآية (140) من سورة آل عمران .

[3]- الفراء، معاني القرآن ، ص234/2.

[4]- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ،ص193/4.

بالجراح، وكانت من نتائج هذا كله هزَّة في النُّفوس وصدمة لعلها لم تكن متوقعة بعد النصر العجيب في بدر،لقد قال المسلمون حين أصابَهم ما أصابَهم(أنَّى هذا) وكيف تجري الأمور معنا هكذا و نحن المسلمون"؟[1]

"وهكذا فإن القَرح وهم ألم الجرح في الجسد والنفس،وهو ألم قريب يُحس به الإنسان أكثر من أي ألم كبير، أو يُمكن القول أن القرح هو الألم القريب، أي أن العهد به قريب،وهذا أكثر ما يكون إيلاما وإيجاعا،وبعد مدة يبدأ الألم بالخفوت حتى يصل إلى التلاشي".[2]

والملاحظ أن **صائت الفتح**، وهو أوسع الصَّوائت مخرجا وأوضحها سمعا تُستعمل لما ظهر من الأمور،وما كان ملموسا ظاهرًا وجليًا،نحو القَرح وهوالجُرح في البدن،في حين أن **الكسرة والضمة** تستعملان في الأمور الداخلية نحو القُرح وهو الألم في النفس،يُعزز هذا الاستنتاج أن(**العَوج**) بالفتحة يكون للأشياء المادية، في حين أن سواه من (**العِوج**) بالكسر فهي للأمور المعنوية.

ففي قوله تعالى:﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [3] قال **أبو عبيدة** :"**تُقرأ مكسورة الأول لأنه في الدِّين وكذلك في الكلام والعمل،فإن كان في شيء قائم نحو الحائط والجذع،فهو عَوَجٌ مفتوح الأول**"[4]،وعلى هذا فالفتحة للظاهر من الأمور في حين أن الكسرة والضمة تشتركان في الدلالة على خفي الأمور و معنويها.

ومنه قوله تعالى الآية ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[5] حكى **الكسائي**(وما ضَعَفُوا) بفتح العين ، وذكر نقلا عن أبي الهلال العسكري أن الفرق بين الضَّعِف والضَّعُف أن

[1]- سيد قطب، في ظلال القرآن،ص 478/4.

[2]- حسام البيطار، إعجاز الكلمة في القرآن الكريم ص63.

[3]- الآية (99) من سورة آل عمران .

[4]- أبي عبيدة، مجاز القرآن،ص 98/1.

[5]- الآية (146) من سورة آل عمران .

الضُّعف بالضم يكون في الجسد خاصة ،وهو من قوله تعالى﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾[1]

"و**الضَّعف** بالفتح يكون في الجسد والرَّأي والفعل"[2] ،فالواضح أنَّ دلالة الضَّعف بالفتح أعم وأوسع من دلالة الصيغة بالضم أي الضَّعُف، يعزز هذا التخريج قراءة لفظة (رَمْزا)، في قوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾ [3] قال **الكسائي** :" رَمَز يرمُز ويرمِز وقُرئ "**إلا رَمَزا**" بفتح الميم و"**رُمُزًا**" بضمِّها" [4]،"ومعنى (إلارمزًا)إلا مترامزين ،كما يتكلم النَّاس مع الأخرس بالإشارة ويُكلمهم"[5]،"وذكر أبو عبيدة أن قوله (إلا رمزا) ،أي باللِّسان باللِّسان من غير أن يُبين ، ويخفض بالصَّوت مثل الهمس."[6]

ونحسب أن القراءة بالفتح (رَمزًا) تشمل الإيماء بمختلف الحركات والإشارات في حين أن (الرُمز)، يكون باللسان فقط ،وبكلام خافت جدا قريب من الهمس على حدِّ أبي عبيدة ، وإن كان المعجم لايعطي أي فرق بين الصِّيغتين [7].

وعلى هذا الأساس يمكن القول **أن الفتح ينبئ عن الكثرة ويشار به إلى السِّعة، لذلك تجد الأخرس والأعجم بطبعه إذا أخبرعن شيئ كثير فتح شفتيه، وباعد مابين يديه.**[8]

---

[1]- الآية (54) من سورة الروم .

[2]- معاني القرآن للكسائي ،ص108.

[3]- الآية (41) من سورة آل عمران .

[4]- الجامع لأحكام القرآن ،ص 72/4.

[5]- التفسير الكبير ،ص 41/8.

[6]- ينظر: مجاز القرآن ،ص93/1.

[7]- ينظر، المقاييس ،مادة (رمز) ،ص 439/2

[8]- ينظر:نتائج الفكر ،ص 71

ولهذا نجد الفتحة المفخمةكثيرا ماتعكس فخامة المعنى وجزالته على نحو ﴿ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ ﴾1، ﴿ بِالْقِسْطِ ﴾2،﴿ حَبِطَتْ ﴾3 ،﴿لا يُظْلَمُونَ ﴾،4﴿الْمَصِيرِ﴾ 5 ﴾،4﴿الْمَصِيرِ﴾ 5 ﴿ الأَرْضِ ﴾ 6 ، ﴿ صُدُورِكُمْ ﴾7 ،﴿ اصْطَفَى﴾ .8

في حين أن "**الضَّم ينبئ عن القلة والحقارة ،ولذلك تجد المقلل للشَّيئ يشير إليه بضم فم أو يد ،كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر الساعة،وأشار بيديه يقللها، لأنه ضم بين إبْهامه وأصبعه**"[9].

"أمَّا الكسر فعادة ما يكون دليل التحضر والرقة في معظم البيئات اللغوية، فهي حركة المؤنث في اللغة العربية؛ والتأنيث عادة محل الرقة أو ضعف الأنوثة،والياء علامة للتصغير في العربية والكسرة في عديد اللغات ترمز إلى الرقة وقصر الوقت"[10]،"كما أنها توحي بصغر الحجم"[11].

ويمكن تلمس ذلك نوعا ما في اختلاف القُراء في قراءة قوله تعالى﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[12]؛"**قرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي وخلف وحفص بكسر الحاء، وقرأ الباقون بفتحها**"[13]؛ "وهما واحد في المعنى، وقيل المكسورةاسم للعمل والمفتوحة مصدر"[14]؛وفي **المقاييس"الحَجُّ**:القصد،ثم

---

[1]- الآية (17) من سورة آل عمران .

[2]-الآية (18) من سورة آل عمران .

[3]-الآية (22) من سورة آل عمران .

[4]- الآية (25) من سورة آل عمران.

[5]-الآية (28) من سورة آل عمران .

[6]- الآية (29) من سورة آل عمران .

[7]- الآية (29) من سورة آل عمران.

[8]-الآية (33) من سورة آل عمران .

[9]- الجوزية ،ابن القيم ،بدائع الفوائد،تحقيق : سيد عمران ،عامر صلاح ،دار الحديث، القاهرة ،2002،ص44/1.

[10]- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية ص81-82.

[11]-إبراهيم أنيس، وحي الأصوات في اللغة: مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة مطبعة التحرير1958 ص435.

[12]-الآية (97) من سورة آل عمران .

[13]- النشر في القراءات العشر ،ص 181/2.

[14]- التفسير الكبير ،ص 141/8.

اختص بِهذا الإسم ،القصد إلى البيت الحرام للنسك"[1]،**وحِج** بكسر الحاء: "إسم جمع للحاج". [2] **فالحَج** بالفتح يدل على الفريضة ككل بِجميع مراحلها ومناسكها ، حين أن **الحِج** بالكسرتدل على جزء من هذه الفريضة ونعني به مؤدوا هذه المناسك وهم الحجاج؛ فكأن الكسر ساهم هنا في الإيحاء بالحدود الضيِّقة لصيغة (حِج) في مقابل الدلالة الواسعة لصيغة (حَج).

وتظهر إيحاءات الصوائت الثلاثة في قراءة قوله تعالى : ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾[3]فقوله (الربِّيون)،قُرئ بالصَّوائت الثلاث ،**والرَّبانيون** الأئمة والولاة و**الرِّبيون والرِّبيون** الرَّعية وهم المنتسبون إلى الرَّب[4]."**والرَّبُ** المصلح للشَّيئ، والله جل ثناؤه رَبٌ لأنه مصلح لأحوال خلقه ،و**الرِّبي** العارف بربه"[5]،"فأما (**رُبَّ**) فكلمة تستعمل في الكلام القليل الشَّيئ،تقول رُبَّ رجل جاءني" [6] .

هذا كله يؤكد تدخل الصَّائت بخصائصه الصَّوتية في إلقاء ظلاله على دلالة الكلمة، وإن كان ذلك يبقى رهين الشعور الذَّاتي ولا يمكن تقنينه أو ضبطه ،إذ للسياق الدور الكبير في رسم حدود ما يوحي به الصَّائت، والقول بأن الفتح دليل السِّعة وأن الضمة للقلة والكسرة للصغر؛ إنما هي اجتهادات ترتبط بالسِّياق الذي يرد فيه الصَّائت والدلالة المعجمية التي حدَّدها المعجم ،وشعور القارئ أو السَّامع وذوقه، وقد يرد كل من الفتح والضم والكسر في سياقات توحي من خلالها بدلالات ومعان غير ما لاحظناه نحن في النماذج المنتقاة من **سورة آل عمران** ، فبالنهاية يبقى ارتباط نوع الصَّائت بالمعنى رهين الذوق والشعور.

[1]- ينظر: المقاييس ،مادة(حج) ،ص29/2.

[2]- ينظر: المقاييس (الهامش) (مادة حج) ،ص 30/2.

[3]- الآية (146) من سورة آل عمران 146.

[4]- ينظر: التفسير الكبير :ص24/7.

[5]- المقاييس ،مادة (رب)،ص 382/2.

[6]- نفسه،مادة (رب) ،ص 384/2.

ب – أثر مد الصوائت في الدلالة :

أشار نحاة العربية إلى أثر مدِّ الصَّوائت في الدَّلالة فمن ذلك ما ذكره ابن جني من مطل المصوِّتات القصيرة للدَّلالة على التذكر يقول:"**وكذلك تمطل الواو إذا تذكرت في نـــحو: ضربوا، إذا كانت تذكر المفعول أو الظَّرف أو نحو ذلك،أي :ضربوا زيدا ... فتتذكر الحال** "،وقال أيضا :"**وإنما مُطلت، ومُدت هذه الأحرف في الوقف وعند التذكر من فقبل أنك لو وقفت عليها غير ممطولة ولا ممكنة المدة ، فقلت ضربا وضربوا واضربي ، وما كانت هذه حاله وأنت مع ذلك متذكر ، لم توجد في لفظك دليلا على أنك متذكر شيئا ،... لكنك لما وقفت ومطلت الحرف، علم بذلك أنك متطاول إلى كلام تال للأول منوط به** "[1].فمدُّ الصَّائت منح المستمع إمكانية إدراك أن الكلام لم ينتهي بعد ، إذ تمنح المتكلم فرصة للتذكر ومواصلة حديثه .

وفي القرآن الكريم ،مدُّ الصوائت يحمل بين جنباته ما يخدم الدَّلالة، فمدُّ الصائت إذا ماتصل بِهمزة أو بِمشدد ذكر له **ابن الجزري** سببان،سبب لفظي، وهو يتعلق بطبيعة الصوت، وسبب معنوي موضوعه الزيادة في المعنى وإيضاح الدلالة فذكر أنَّ المدَّ قد يكون للتعظيم ، وذلك في نحو قوله تعالى ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[2]، وقوله سبحانه ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[3].يقول **ابن الجزري** :"**ويقال له أيضا مد المبالغة ،وإنما سمي مدَّ المبالغة لأنه طلب للمبالغة في نفي إلهية سوى الله سبحانه وتعالى ،وهذا معروف عند العرب لأنَّها تَمد عند الدُّعاء وعند الإستغاثة وعند المبالغة في نفي شيئ**"[4]؛فالألف على حد قول **السهيلي**:"**لم تزد في أضعاف حروف الكلمة إلا لدخول معنى زائد بين أضعاف معناها.**[5]

---

[1]– الخصائص ،ص128/3.

[2]–الآية (01) من سورة آل عمران .

[3]– الآية (18) من سورة آل عمران 18.

[4]– النشر ،ص 269/1.

[5]–نتائج الفكر ،ص 253.

فمن مدِّ الصائت لوقوعه بعد همزة ؛المد في قوله تعالى :﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾[1]،فزيادة المد في لفظ (**السَّماء**) يُوحي برحابة هذه الأخيرة وباتساعها، والسَّماء على ما هي عليه من شساعة واتساع وما احتوته من أسرار وأخبار معلومات فإنَّها تقع في علم الله سبحانه وتعالى ،فهو العالم بمقادير الحاجات ومراتب الضرورات لا يشغله سؤال عن سؤال ولا يشتبه الأمر عليه بسبب كثرة السَّائلين [2].

كذلك فإن المدَّ للمبالغة يظهر بصورة واضحة عند مدِّ الصَّائت الذي يليه صوت مدغم وذلك في نحو قوله تعالى﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[3]؛ يعني"إن بالغنا في تقريرالدلائل وإيضاح البيِّنات،فإن تركتم الأَنَفَ والحَسد وتمسكتم بالبيناتكنتم أنتم المهتدون،وإن أعرضتم فإن الله تعالى من وراء مجازاتكم". [4]"فمع هذه الصَّوائت الطويلة يتسع البعد الزَّمني ويطول بسبب البطء النَّاتج عن إيقاع هذه الصَّوائت."[5]

وصورة جميلة يرسمها مدُّ الصَّائت وعدم مده خدمة للدلالة ،فعدم المد في قوله تعالى من سورة البقرة﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ [6]﴾،ثم المد في **سورة آل عمران** في قوله عز وجل﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ **"فكأنهم قالو أولا بطول المدة التي تمسهم فيها النار، ثم تراجعوا عنه، فقصَّروا تلك المدة".** [7]

---

[1]-الآية (05) من سورة آل عمران .

[2]-ينظر: التفسير الكبير ،ص158/7.

[3]-الآية (20) من سورة آل عمران .

[4]- التفسير الكبير ،ص204/7.

[5]-ينظر: صلاح يوسف عبد القادر ، الصَّوت والدلالة في النَّص القرآني ، مجلة العلوم الإنسانية جامعة الأمير عبد القادر،العدد3 ،رمضان 1124هـ/ نوفمبر 2003،ص 55.

[6]- الآية (80) من سورة البقرة .

[7]- درة الغوَّاص في أوهام الخواص ،ص67.

فالمدُّ في(**معدودات**) يمنح بُعدا واتساعا زمنيا لا يحده إلا علم الله عز وجل، وفي هذه الآية "**تكذيب للكافرين من اليهود والنصارى ،إذ كانوا يقولون أن مدة عذابهم سبعة أيام ،ومنهم من قال أربعون ليلة ، في حين قرَّر القرآن الكريم أن المخطئ في التوحيد والنبوة والمعاد عذابه دائم لأنه كافر والكافر عذابه دائم.** "[1]

ومن إيحاءات مدِّ الصَّائت قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [2]

"فإن المراد تصوير لين النبي صلى الله عليه وسلم لقومه،وإن ذلك رحمة من الله، فجاء هذا المد في (**ما**) وصفا لفظيا يؤكد معنى اللين ويفخمه، وفوق ذلك فإن لهجة النطق به تُشعر بانعطاف وعناية لا يبتدئ هذا المعنى بأحسن منها في بلاغة السياق،ثم كان الفصل بين الباء الجارة ومجرورها (وهو لفظ رحمة) ،مما يلفت النفس إلى تدبر المعنى وينبه الفكر على قيمة الرحمة فيه،وذلك كله طبيعي في بلاغة الآية كما ترى"[3].

فأنت تنادي من صدى الرحمة بأزيز الحلم،وتحتفل من صوتها بنداء يأخذ طريقه إلى العمق النفسي، يهز المشاعر ويستدعي العواطف، ناضحا بالرضا والغبطة والبهجة رافلا بالخير والإحسان والحنان.ولمغفرة من الله تعالى ورحمة خير مما تجمع خزائن الأرض وكنوزها، وهذا **محمد صلى الله عليه وسلم** ذو الخلق العظيم و الشَّمائل الفذَّة لولا رحمة ربه،لما لان لهؤلاء القوم الأشداء في غطرستهم وغلظتهم ،ثم هو لان لصحبه رحمة من رب العالمين ورغبة في التأليف بين قلوبهم حتى تقوى شوكتهم ويعينوا بعضهم على عدوهم، يظهر ذلك بقوة في الآيات التي جاءت في معرض الحديث عن غزوة أحد.

إن الصوائت بطبيعتها أصوات رحبة إنطلاقية فإذا زيد في مدها كانت أدعى إلى الوضوح في هدوء ولين ،وكانت أقدر على التعبير والإيحاء بمختلف الدلالات .

---

[1]- التفسير الكبير ،ص211/7.

[2]-الآية (159) من سورة آل عمران .

[3]- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ،ص231.

ثانيا/من دلالة الظواهر التشكيلية:

دلالة الصَّوت داخل التشكيل، كان محور المبحث الأول وما نعنيه هنا بالظواهر التشكيلية، مايشمل المماثلة والمخالفة، على أننا أضفنا إليه دلالة الصيغة الصرفية لكونها تعتمد عل مايلحق الصيغة من زيادة أو نقصان .

1-أثر الظواهر التشكيلية في الدلالة:

يبقى مفهوم الإدغام لغة فاصطلاحا ،يُلقي بظلاله على دلالة الألفاظ والصيغ الواردة به وهي دلالة الخفاء والستر،في حين أن فك الإدغام أو الإظهار أثَّر في الإيحاء على دلالة الجلاء والوضوح، وهذا أكثر ما رأيناه بارزا في دلالة الإدغام في **سورة آل عمران**؛ومن ذلك الإدغام في نحو قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ ﴾[1] وقوله:﴿ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾[2].

"ففي قوله تعالى (**أن يمدكم**) إشارة إلى أن الإمداد إمداد خفي،أما فك الإدغام في (**يمددكم**) فيشير إلى أن الإمداد جلي و ذلك بقرينتين:الأولى لفظية وهي الفك والثانية معنوية وهي التسويم في قوله بعد ذلك (مسومين)، أي معلمين بما يعرف به مقامهم في الحرب. "[3]

ومن أمثلته أيضا تكرار الباء في كلمة(**تحبون**)،(**يحببكم**) في قوله تعالى﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.

والملاحظ أن تكرار الباء في الموضع الأول قد جاء مع الإدغام عن طريق التشديد مما أضفى على الكلمة نوعا من الإجلال والوقار يزيد محبة العباد لربهم فهي ليست كمحبة الأزواج والأولاد ،أما في محبة الله تعالى لعباده التي جاءت على سبيل الجائزة والمكافأة لمحبتهم إياه فقد جاء التكرار بفك الإدغام في الصَّوت المشدد مناسبا ،لمضاعفته سبحانه

[1]- الآية (124) من سورة آل عمران .

[2]-الآية (125) من سورة آل عمران .

[3]- خالد قاسم بن دومة، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص181

تلك المحبة عليهم ،كما أن لهذا الفك للإدغام معنى آخر نستطيع أن نستشفه من الآية وهو أن في لفظ (يحببكم) بفك الإدغام من الرقة ما ليس في اللفظ المدغم، فالنَّاطق بالكلمة بهذه الطريقة يستشعر-ولله المثل الأعلى- في اللفظ تدليلا وتنغيما للمخاطبين،كما يوحي تكرر الباء الشفهية ذات المخرج القريب بزيادة تقريبه سبحانه إياهم ومضاعفة المحبة لهم إزَّاء محبته إياه.[1]

أما الإبدال الصوتي، فإن أكثر صوره بروزا في سورة آل عمران هو إبدال الميم باءا في (**بكة**) من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾[2]

ولعلماء التفسير إشارة إلى ربط هذا الإبدال بالدلالة فذكروا "أن **بكة** المسجد **ومكة** الحرم كله تدخل فيه البيوت" [3]،ومنهم من ذهب إلى أن" لاشتقاق بكة وجهان: أنه من البك الذي هو عبارة عن دفع البعض بعضا،يقال: بكه،يبكه بكا إذا دفعه وزحمه" [4]،"وقيل سميت مكة بكة،لأنها تبك أعناق الجبابرة إذا ألحدوا فيها بظلم "[5]، وهي في كلا المعنيين تحمل دلالة الشدة والضغط و القوة سواءا في ازدحام الناس أوفي دقِّ ودكِّ الجبابرة .

كذلك الإبدال في (**اصطفاك**) من قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾[6] فإبدال تاء الافتعال طاء جعل الصيغة تحمل صوتين من الأصوات المفخمة لتُعمق من دلالة المعنى الحاملة له هذه اللفظة في هذا المقام؛ فاصطفاء الله عز وجل للسيدة مريم كان بداية باختيارها لسدانة بيته وخدمته،ثم تفضيلها دون نساء العالمين لتكون أما للنبي عيسى عليه السلام[7]، وكلتاهما معنيين عظيمين فخمين ساهم كل من صوتي الصاد والطاء في إظهاره وإبرازه وتأكيده.

---

[1]- ينظر:الإعجاز الصوتي ،ص107،108.

[2]- من الآية (96) من سورة آل عمران .

[3]- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ص 121

[4]- الرازي، التفسير الكبير، 136/8

[5]- الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص67

[6]- الآية (42) من سورة آل عمران .

[7]- ينظر: البيان في روائع القرآن، ص291

2-من دلالة الصيغ الصرفية :

ترفُد الدَّلالة الصَّرفية علم الدلالة بنوع آخر من أنواع الدلالة التي أقرَّها علماء اللغة المحدثون، وأرسى دعائمها علماء اللغة العرب الأوائل ببحوث مستفيضة عن طريق المعاجم بصورة عامة والمعاجم الصَّرفية بصورة خاصة ،كمعجم (**ديوان الأدب**) **للفارابي**،حيث جمع فيه صاحبه أبنية العربية مقسِّما إياها إلى ستة كتب،كتاب للسالم ،وكتاب ثاني للمضاعف ،وثالث للمثال ،ورابع لذوات الثلاثة وخامس لذوات الأربع وسادس للهمز .[1]

وقد ذكر **سيبويه** أن من المصادر مايأتي على وزن واحد للدلالة على معنى مشترك فيما بينها،يقول :"**ومن المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني ،قولك النزوان والنقزان والقفزان ،وإنما هذه الأشياء في زعزعة البدن ، واهتزازه في ارتفاع ، ومثله العسلان والرتكان ،ومثل هذا الغليان لأنه زعزعة وتحرك ،ومثل ذلك اللهبان والصَّخدان والوهجان ،لأنه تحرك الحر وثؤوره فإنما هو بِمنزلة الغليان** ."[2]

فسيبويه إلتفت إلى المناسبة بين الصيغ والمعاني ، ووقف على ظاهرة مهمة ،وهي مجيئ مجموعة من الألفاظ المتقاربة المعنى على صيغة واحدة ،أو بتعبير سيبويه على (مثال واحد)، "**وكأنه بشير إلى الدلالة المركزية المشتركة بين هذه الألفاظ، التي استدعت مجيئها على تلك الصيغة، فالنزوان والقفزان والعسلان.....ونحوها تشترك في الدلالة على الحركة والإهتزاز والإضطراب ،ومن ثم يرى سيبويه أن هذه المصادر قد جاءت على ذلك المثال الواحد أو تلك الصيغة الواحدة (فعلان) حين تقاربت المعاني**" [3].

ومن ذلك زيادة المبنى لزيادة المعنى ،وقد فصَّل **ابن الأثير**(ت**637**هـ) في ذلك فقرر:"**أن اللفظ إذاكان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر أكثر منه ، فلا بد أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولا ، لأن الألفاظ أدلة على المعاني وأمثلة للإبانة عنها ،فإذا زيد في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني ،...وهذا لا يستعمل إلا في**

---

[1]- ينظر: الفارابي ،إبراهيم بن إسحاق ،ديوان الأدب –أول معجم عربي مرتب حسب الإسمية – تحقيق :أحمد مختار عمر ،وإبراهيم أنيس ، مجمع اللغة العربية 1350ه ،ص75/1.

[2]- الكتاب ،ص14/4 ،وينظر: الخصائص،ص256/3.

[3]-هنداوي عبد الحميد ، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم المكتبة العصرية ،صيدا بيروت ،1423ه/2002م، ص 32،33.

مقام المبالغة، فمن ذلك خشن واخشوشن فمعنى خشن دون معنى اخشوشن لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو نحو : فعل وافعوعل وكذلك قولهم أعشب المكان، فإذا رأوا كثرة العشب قالوا إعشوشب."[1] **فابن الأثير** يرى أن زيادة المعنى تقع تبعا لزيادة المبنى وهذه الزيادة مقيدة بما يعدل به من صيغة إلى أخرى ، والغرض البلاغي منها هو المبالغة التي يقتضيها المقام. [2]

كذلك جعلوا قوة اللفظ لقوة المعنى بتضعيف عين الفعل ،وقد ورد منه في **سورة آل عمران** في قوله تعالى:﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ ﴾[3]، "**وإنما خص القرآن بالتنزيل والتوراة والإنجيل بالإنزال، لأن التنزيل للتكثير والله تعالى نزَّل القرآن نجما نجما، فكان معنى التكثير حاصلا فيه، وأما التوراة والإنجيل فإنه تعالى أنزلهما دفعة واحدة فلهذا خصَّهما بالإنزال."** [4]

لقد شاع استعمال (**فَعَّلَ**) في الدلالة على التكثير،"**تقول كسَرت الشيء وقطَعته، فإذا أردت التدليل على كثرة العمل قلت:كسَّرته وقطَّعته، ومنه جرَّحته،أكثرت الجراحات في جسده** "[5]،وهي بِهذه الدلالة كَثُر استعمالها في القرآن الكريم، وقد وردت صيغة (مُّفَعِّل) في **سورة آل عمران** ست (06)مرات: ﴿ مُصَدِّقًا﴾ [6]،﴿ مُطَهِّرُكَ ﴾[7] ، ﴿مُصَدِّقٌ﴾ [8]،﴿ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [9].

---

[1]- ابن الأثير ، المثل السائر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ،بيروت ،1995،ص56/2.

[2]- ينظر:الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ،ص40.

[3]- الآية (03) من سورة آل عمران .

[4]- الرازي، التفسير الكبير 135/7،و ينظر، الجامع لأحكام القرآن، ص06، الزمخشري ،أبي القاسم محمود بن عمر (467-538ه) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ،دار الفكر ن دط،دت، ص 165/1

[5]- الكتاب،ص 64/4

[6]- من الآيات (03،39،50) من سورة آل عمران .

[7]- الآية (55) من سورة آل عمران .

[8]- الآية (81) من سورة آل عمران.

[9]- الآية (137) من سورة آل عمران .

ويَمنح التشديد صورة دلالية جميلة ، وذلك في قراءة من قرأ بالتشديد في قوله تعالى ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ يخرج الحي من الميت﴾[1]،فقد اختلف في الميْت والميِّت ،فقيل الميت –بالتخفيف– الذي قد مات، مات، والميِّت –بالتشديد– الذي لم يمت[2] ؛فصيغة (**ميِّت**) بالتشديد وتثقيل الياء ،معناها أنه يخرج الشَّيء الحيَّ من الشَّيء الذي قد مات ومما لم يمت ؛ ومن قرأ بتخفيف الياء ، فهي بمعنى أنه يخرج الشَّيء الحي من الشَّيء الذي قد مات دون الشَّيء الذي لم يمت؛[3] **"فأولى القراءتين في هذه الآية بالصواب قراءة من شدَّد الياء من (الميت) ،لأن الله جلَّ ثناؤه ، يخرج الحيَّ من النطفة التي قد فارقت الرجل ، فصارت ميتة ،وسيخرجه بعد أن تفارقه وهي في صلب الرجل ،(ويخرج الميت من الحي) ،النطفة التي تصير بخروجها من الرجل الحيِّ ميتا ، وهي قبل خروجها منه حيَّة ، فالتشديد أبلغ في المدح وأكمل في الثناء."** [4]

ومن باب **التَفَعُّل** قوله تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾[5] "فهو يدل على شدة اعتناء الفاعل بإظهار ذلك الفعل،كالتَّصبُّر والتَّجلُّد ونَحوهما فإنَّهما يفيدان الجدَّ في إظهار الصبر والجلادة، فكذا ههنا التقبُّل يفيد المبالغة في إظهار القبول."[6]

ومنه قوله تعالى﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ [7]،"**وقُرئ: (حتى يَمَّيَّزَ) بالتشديد من ميَّز وكذا في الأنفال،وهي قراءة حمزة**

---

[1]– الآية (27) من سورة آل عمران.

[2]– المشاجعي ، علي بن فضَّال (ت479ه) ، النكت في القرآن الكريم (في معاني القرآن الكريم وإعرابه ،دراسة وتحقيق ،عبد الله عبد القادر الطويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان،ط1،2007م/1428ه،ص177

[3]– ينظر: جامع البيان ،ص226/3.

[4]– نفسه ،ص227/3

[5]–الآية (37) من سورة آل عمران.

[6]– التفسير الكبير،ص 28/8

[7]– الآية (179) من سورة آل عمران .

والباقون (يَمِيزُ) بالتخفيف من ماز يميز"[1]،وقيل الشديد أقرب إلى الفخامة، وأكثر في الاستعمال [2].

ومن التشديد للمبالغة كذلك قراءة **هشام ابن عامر** ﴿ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [3].

" قرأ الجمهور: ما قُتلوا،بتخفيف التاء من القتل وقرأه هشام عن ابن عامر بتشديد التاء من التَّقتيل للمبالغة في القتل ،وهو يفيد معنى تعظيم ما أصاب إخوانهم من القتل طعنا في طاعتهم النبي صلى الله عليه و سلم". [4]

كذلك وردت لفظة (**مقنطرة**) على وزن **مفتعلة**،وهي من قنطار، "**والعرب تعتبر القنطار قدر وزن لا يعرفون له حدا** "[5]، وذلك في قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ [6]،"والقنطار معيار للكيل أو للوزن، واختلف في الكمية التي إذا بلغها الموزون قيل: إنه قنطار،قيل:وزن أربعين (40) أوقية من الذهب، و قيل ألف و مائة (1100) دينار، وقيل مائتان و عشرون (220) رطلا إلى غير ذلك من التقديرات المختلفة عبر العصور." [7]

"والنساء والبنون شهوة من شهوات النفس الإنسانية القوية، وقد قرن إليها (القناطر المقنطرة) من الذهب والفضة ؛ونَهم المال هو الذي ترسمه (القناطير المقنطرة)،ولو كان يريد مجرد الميل إلى المال لقال: والأموال،أوالذهب والفضة، ولكن القناطير المقنطرة تلقي ظلا خاصا هو المقصود،ظِل النَّهم الشديد لتكديس الذهب والفضة، ذلك أن التكديس ذاته

[1]- الجامع لأحكام القرآن، ص 255

[2]- البحر المحيط،ص 116/3

[3]- الآية (168) من سورة آل عمران .

[4]- التحرير والتنوير،ص 164/4

[5]- مجاز القرآن89/1

[6]-الآية (14) من سورة آل عمران .

[7]- اللسان مادة (قنطر)،ص 119/5

شهوة بغض النظر عما يستطيع المال توفيره لصاحبه من الشهوات الأخرى"[1]،وقد جاءت لفظة القنطار هنا للدلالة على التوكيد [2]

"فقد عدل بالاختيار الأسلوبي عن لفظ (المكدسة) مثلا إلى لفظ (المقنطرة) سعيا إلى إيجاد المناسبة بين الموصوف و صفته وإلى تحميل العبارة دلالة إضافية على معنى التراكم." [3]
3

كذلك وردت صيغة (**اسْتَفْعَلَ**) لتساهم في تبيان الدلالة وإيضاحها،"**وإذ تقول استعطيت أي طلبت العطية، واستعتبته أي طلبت إليه العتبى.**"[4]

ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [5]،"ومعنى (استزلهم الشيطان) استدعى زللهم، بأن ذكَّرهم خطايا سلفت منهم، فكرهوا الثبوت لئلا يُقتلوا، وهو معنى (ببعض ما كسبوا)، وقيل: استزلهم: حملهم على الزلل، وهو استفعل من الزِّلة والخطيئة وقيل زلَّ و أَزلَّ بمعنى واحد" [6].

وللنَنظُر إلى صيغة الرباعي المجرد المضاعف،وذلك في قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [7] "وهي (**مفعلل**) من (**زحزح**) الرباعي المجرد، أي مما عينه عينه ولامه الثانية من جنس فائه ولامه الأولى بمعنى ما كان حرفا عجزه، مثل حرفي صدره. "[8]

---

[1]- في ظلال القرآن،ص 374/3

[2]- ينظر : الكشاف ص 416/1.

[3]- البيان في روائع القرآن، ص305

[4]- الكتاب، ص 70/4

[5]- الآية (155) من سورة آل عمران .

[6]- الجامع لأحكام القرآن، ص214.

[7]- الآية (185) من سورة آل عمران .

[8]- العين،ص 55/1.

"والرباعي المضعف هو في أصله ثنائي تكرر عنصراه، فأدى إلى بناء كلمة ذات صوامت أربعة، وهو في أصله تقليد لصوت من أصوات الطبيعة. "[1]

وقد أشار **فليش** إلى أن التكرير هنا ليس مقصود لذاته، لكن من أجل هدف خاص، وهو إعطاء أسماء أصوات أو الإيحاء إليها والكلمات من هذا القبيل،مثل حركات وأصوات وضوضاء، وهي تستعمل أسماء لطيور أو حشرات أو أشجار أو نباتات أو أشياء خاصة من صنع الإنسان.[2]

"وحين تقرأ قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ ﴾ تجد كلمة (زحزح) تصور بظلها وجرسها مشهد الإبعاد والتنحية بكل ما يقع في هذا المشهد من أصوات، وما يصاحبه من ذعر الذي يمر بحسيس النار ويسمعه و يكاد يصلاه."[3]

"فكلمة(زحزح) تحاكي ،عملية الزحزحة وتصورها ؛ وذلك أن الزحزحة لا تتم دفعة واحدة ،وإنما تتم على مرات متكررة ،ومحاولات متعددة لتحريك شيء ثقيل من مكان ثابت، ولذا فإنه لا يتأتى نقله منه مرة واحدة ؛ ولذا يَحتال على ذلك بتحريكه شيئا فشيئا، وكذلك نجد أنَّ فعل (زحزح) مضعف المقطع (زح) يُعبر بتضعيفه وتكراره عن هذا الحدث ويصوره أتم التصوير."[4]

إن الصياغة العربية عامة ،والصياغة القرآنية ممثلة في سورة آل عمران بوجه خاص، تستثمر جميع عناصرها خدمة للدلالة، وما يلحق الصيغة من تغيير لا يمكن الخروج في تفسيره عن أمرين ،إما طلب الانسجام والابتعاد عن التنافر، وإما إيضاح الدلالة وإبرازها وتأكيدها .

[1]- لغة القرآن الكريم، ص109.

[2]-ينظر: العربية الفصحى،ص 105-106.

[3]- صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص335.

[4]- الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم ،ص64.

ثالثا/دلالة الظواهر ما فوق التشكيلية :

أثبتت الدراسات اللُّغوية الحديثة ، تدخُّل العناصر الأدائية للُّغة في الدلالة ،ولاحظوا كيف أنَّ الخلل في الأداء قد يؤدي إلى اللُّبس واختلال المعنى ،وسنعمل في هذا المبحث على تتبع شيئ من مساهمة الظواهر ما فوق التشكيلية في خدمة الدلالة في **سورة آل عمران** .

1- دلالة المقطع:

لاحظنا في الفصل الثاني عند دراستنا للمقطع أن النسيج المقطعي في القرآن الكريم يسير وفق ما يضمن تيسير التلفظ به وتلاوته؛ كما أنه لا يختلف عما قُعِّد للنسيج العربي، زد على ذلك فإن القرآن الكريم يتميز بما سمَّاه **تمام حسان** بالإيقاع المتوازن ويعني به، "**أنه كلما تقاربت أعداد المقاطع بين نبرين،أوانتظم اختلاف بعضها عن بعض،حَسُن إيقاعها، والعكس صحيح، بمعنى أن هذه الكميات بين نبر وآخر إذا تباينت ولم تتقارب، أحسَّ السامع كأن المتكلم يتعثر في مشيته،بل إن المتكلم نفسه، لابد أن يُحس هذا الإحساس، أما هذا التقارب وذلك الانتظام فهو الذي نجده في إيقاع الأسلوب القرآني**"[1].

ففي الآية التالية مثلا يحدث الإيقاع من تقارب الأطوال بين المسافات بين كل نبر وآخر وانتظام ائتلاف المقاطع في مجموعات فارقة بين مواضع النبر، في قوله تعالى ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[2]

زي/ي/ن/**لل**/نا/س/**حب**/ب ش/ش/ه/**وا**/ت/م/نن/ن/**سا**/ء/ول/ب/**ني**/ن

ول/ق/نا/**طي**/رل/م/قن/**ط**/ر/ه/م/نذ/**ذ**/ه/ب/ول/**فض**/ض/ه/ول/**خي**/لل/

م/سو/و/**م**/ة/و ل/أن/**ع** ا/م/و ل/**ح** ر/ث/**ذا**/ل/ك/م/**تا**/عل/ح/يا/ةد/د ن/**يا**/و

ل/**لا**/ه/**عن**/د/ه/ح س/**ن**/ل م/**ئاب** .

[1]- البيان في روائع القرآن، ص270.

[2]-الآية (14) من سورة آل عمران .

فبين النبر الأول والثاني مقطعين هما (ين) وبين الثاني والثالث مقطعان هما (ناس) وبين الثالث والرابع ثلاث مقاطع هي (بشهـــ)، وهكذا يستمر الفارق في هذه الحدود، فيكون الإيقاع، يقول **تمام حسان:"وسنعلم حينئذ أن المقصود بالإيقاع ليس هو الوزن المحكم وإنما هو التوازن الناشئ عن تقارب الشبه بين المسافات الفاصلة بين كل نبر ونبر، ثم ترى من بعد أن هذا التوازن هو مصدر رشاقة الأسلوب وسبب قوي من أسباب ارتياح النفس له و احتفاءها به."**[1]

لقد نزل القرآن بلسان عربي مبين، لسان موسيقي تستمتع الأسماع بلفظ كلماته، وتخضع مقاطعه في تواليها لنظام خاص يراعيه الناظم مراعاة دقيقة، ويعمد إليه عمدا... وتتردد في كلماته مقاطع بعينها فتستريح إلى ترددها الأذان ... وكل هذا يكسب الكلام جمالا وكمالا. [2]

فللمقطع وظيفتين أولهما تحديد حدود الصيغة الصرفية، والثانية خلق الإيقاع الخاص الذي يمتاز به النطق بلغة من النطق بلغة أخرى.

"فأما وظيفته في تحديد حدود الصيغة الصرفية فتتضح في التفريق بين (فعل) و(فاعل) مثلا إذا أن الفرق بين الصيغتين فرق بين المقطع الأول في هذه وبينه في تلك إذ هو قصير في (فعل)، متوسط في (فاعل). وأما وظيفة المقطع في خلق إيقاع خاص باللغة تتميز به عن غيرها، فذلك متصل بالنبر—كما رأينا-لأن النبر مرتبط ارتباطا أساسيا بترتيب المقاطع في النطق[3] .

كما أنه يمكن الربط بين أشكال المقاطع و إسهام كل منها في الدلالة العامة للسورة و دلالة كل آية على حدا.

[1]- البيان في روائع القرآن ، ص272

[2] - ينظر:إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر ،ص 306.

[3]- تمام حسان، مقالات في اللغة و الأدب،ص 332/1

- **المقطع (ص م) :**

يتميز هذا المقطع بوضوحه وبساطة تكوينه ،بالإضافة إلى حركته الإيقاعية البارزة والمثيرة للانتباه ، لبنائه على صورة واحدة صامت + صائت. [1] لهذا فهو عادة مايشيع في الاستعمال على اختلاف الأغراض والمعاني ، ومن إسهامه في الدلالة بروزه، في نحو قوله تعالى : ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .[2]

فتواجده في هذه الآية قوي ومركز ،إذ يصل تردده إلى خمسين(50) مرة مقابل ثمانية عشر(18) مرة للمقطع من النوع الثاني (ص م ـَ) ، و سبع وعشرين(27)مرة للمقطع من النوع الثالث(ص م ص) ومرتين فقط للمقطع الرابع (ص م ـَ ص).

والآية تتحدث عن سرعة استجابة الله سبحانه وتعالى لدعاء والدة مريم عليها السلام – تعكس الفاء في (تَقَبَّلَهَا) هذه السرعة – ورعايته سبحانه وتعالى لها ، ثم إن الآية تطوي الأحداث والزمن ، ابتداء من ولادة السيدة مريم ثم كفالة سيدنا زكريا عليهما السلام لها ثم تبتلها وكِبر مقامها عند رب العالمين ،وكل هذه الدلالات يساعد المقطع القصير (ص م) ذو الرتم السريع على إبرازها وإظهارها عاكسا تسلسل وتعاقب الأحداث.

وفي قوله تعالى : ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ [3]﴾ ، ومقاطعها كالتالي :

3 2 1 1 1 2 1 1 3 1 3 3 1 3 1 3 3 1 1 3 3 1 1 2 1 3 3 1 2 1 3 . 4 1 3 1 1 1 2 1 3 1

وتردد المقطع القصير يصل إلى عشرين(20) مرة ،وأربع عشر(14)مرة للمقطع المتوسط المغلق، وخمس (5) مرات للمقطع المفتوح ،ومرة واحدة للمقطع الطويل المغلق،

[1]–عبد القادر عبد الجليل ،هندسة المقاطع الصوتية وموسيقى الشعر العربي (رؤية لسانية حديثة)،دار الصفاء ،عمان،الأردن،ط1 ، 1998، ص30.

[2]– الآية (37) من سورة آل عمران.

[3]–الآية (124) من سورة آل عمران .

والملاحظ هيمنة المقطع القصير على الإيقاع وهو يلقي بظلاله على الدلالة ،حيث تحس بتسارع الأداء وخفته ؛وتشعر بالمقابل بسرعة إمداد الله عزوجل للمجاهدين ،وتتابع نزول ذلك العدد الكبير من الملائكة.

المقطع (ص م ـ) :

يكثر تواجده حيث تكثر المدود، مما يسمح برحابة المكان واتساع المساحة كنحو الدعاء في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [1]، ومقاطعها كالتالي :

1 1 2 1 1 1 1 2 1 3 2 1 1 1 1 1 1 1 2 1 5 1 2 2 1 1 1 1 2 1 3 . 4 2 3 1 3 2 1 1 3

حيث ورد المقطع (ص م ـ) عشر مرات من مجموع تسع و ثلاثين مقطعا تتشكل منه الآية، وهي نسبة كبيرة مقارنة بالمدى المعتاد لتواتر هذا المقطع في الكلام العربي عموما وفي القرآن الكريم على وجه الخصوص، فوظيفته قد انحصرت في وجوده في الكلمات المزيدة، أوفي الصيغ الاشتقاقية أو في كلمة حدث فيها إعلان، فدوره يكمن في زيادة معنى على المعنى الأصلي للكلمة[2].

ويسيطر هذا النوع من المقاطع على النسيج المقطعي في قوله تعالى :﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ [3]﴾

1 3 2 2 1 2 3 1 2 1 2 1 2 1 3 3 2 1 3 2 2 3 2 3 3 1 3 1 2 2 1 . 4 1 2 3 3 3 1 2 3 3 2 1 2 3 3 3 1 2

ويصل تواتر المقطع من نوع (ص م ـ) إلى سبع عشر(17) مرَّة ،وهو لطوله ورحابته يعكس بطءًا في الحديث، وتمهُّلا عند دُعاءٍ فيه الكثير من الخشية والأمل .

---

[1]- الآية (194) من سورة آل عمران.

[2]- صباح دالي، البناء الصوتي في سورة الكهف، دراسة صوتية تشكيلية،رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير،جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان 1422ه/2001، ص120

[3]- الآية (147) من سورة آل عمران .

فما كان من المقاطع فيه مدٌّ فدلالة على قبيله في المعنى وهو الطول في الغرض الذي جيء بالآية، والفاصلة له، وهو المتوافر في المقطع الثاني والرابع والسادس، إحداها أرفع درجة من الآخر، حسب طول الصَّائت الممطول[1].

- **المقطع(ص م ص):**

وهو دليل على انقطاع والتقطع، وهو متوفر في المقطع الثالث والخامس، والأخير أزيد دلالة من الأول لزيادة الصامت الذي فيه[2]،من ذلك وروده في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [3]

ومقاطعها هي : **3 3 1 1 2 1 3 2 3 2 1 4 1 3 2 2 1 1 1 2 1 4 1 3 2 . 4 1 3 3 1 3 1 1 2 4 1**.

والآية في مضمونِها دعوة بل أمر بالكف عن التعامل بأحد وسائل المعاملة المالية غير المشروعة وهي الربا ،فالآية تدعو المؤمنين إلى الانقطاع عن التعامل بالربا وتقوى الإله وذلك سبيل من أراد الفلاح والنجاة، فإذا حاولنا ربط هذه الدلالة بدلالة الانقطاع والتقطع التي يدل عليها المقطع (ص م ص) ،وجدناه يحتل في الآية الكريمة المرتبة الثانية بتواتر قدره تسع مرات ،مما يُجَوِّزُ القول بأنه أضفى شيئا من خصائصه عل دلالة الآية الكريمة .

وهذا النَّوع من المقاطع يساعد على الإسترخاء والتَّرنُّح في الأداء ،إنه وقفة بعد تتابع عدة مقاطع قصيرة مما يتيح أداء الصورة أداءً بالإيقاع[4] .

---

[1]-ينظر: محمد نجيب مغني صنديد، البناء التشكيلي لفواصل القرآنية و أثره في الدلالة، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، 1426ه/1427ه/2005-2006م، ص272.

[2]- نفسه، ص272

[3]- الآية (130) من سورة آل عمران .

[4]- ينظر:محمد إبراهيم شادي،البلاغة الصوتية في القرآن الكريم،دار الرسالة ،ط1409،1هـ/1988م ،ص58.

ففي قوله تعالى :﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ[1]﴾

1 2 3 3 2 1 1 2 1 1 2 3 3 3 1 3 3 3 3 1 3 3 3 3 1 3 3 3 3 3 3 3 1 2 1 2 3 1 2 1 1 3 3 1 1 1 3 1 2 1 1 1 2 1 3 2 3 1 3 1 1 .4 1 2

وتعداد مقاطع الآية الكريمة هو :خمس وعشرون مقطعا (25) من نوع (ص م)، وإحدى عشر مقطعا (11) من نوع (ص م ̄)، وثمان وعشرين(28) مقطعا من نوع (ص م ص)، وهذا المقطع الأخير يمنح في الآية الكريمة الكثير من التوازن بين المقطع (ص م) القصير السَّريع وبين المقطع (ص م ̄) البطيء الطويل ،فهو مقطع يساعد على الإسترخاء ، ووقوعه بعد تتابع عدد من المقاطع القصيرة يضفي إيقاعا متميزا .

- **المقطع (ص م ̄ص):**

إن المقطع الرابع، على قلة استعماله، فقد ظهر في مواضع متشابهة تتركز حول خطاب المؤمنين من جهة أو ذم الكافرين من جهة أخرى، ففي قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [2]

3 3 1 3 1 1 1 4 1 3 2 1 2 1 2 1 2 1 4 1 2 1 2 1 4 1 3 2 4 1

خطاب للمؤمنين وحثهم على الصبر و الجهاد، وقد ورد فيها هذا المقطع حوالي أربع مرات، وورد بمعدل مرتين في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴾ [3]وهذه الآية كما هو واضح توجه لأهل الكتاب باللوم والتأنيب، وذم لسلوكهم المشين اتجاه الدين الحنيف.

وهكذا فإن إلقاء أشكال المقاطع بظلالها على الصيغة التي تتردد فيها أمر يجب التنبه إليه ومحاولة اكتشاف أغواره، وما قمت به في هذه الأسطر هو اجتهاد مني، ومحاولة بسيطة للربط بين دلالة الآيات و دلالة المقاطع المكونة لها.

[1]- الآية (140) من سورة آل عمران .

[2]- الآية (200) من سورة آل عمران .

[3]-الآية (98) من سورة آل عمران .

2- دلالــة النـــبـــر:

إن النبر في الكلمة يلعب دورا تمييزيا في بعض اللغات، فيفرق بين الصيغ أو المعاني فيها، بحيث لا يفهم المراد إلا بوجوده،ومن هذا الصنف اللغات الهندوأوروبية القديمة، ففيها تميز النبرة بين الصيغ النحوية، أوبين الكلمات وذلك بحسب وقوعها منها أو بحسب جنسها،ولذلك عالج نحاة هنود ويونانيون ولاتينيون ،مسألة نبرة الكلمة الموسيقية وتَحديد مكانِها[1].

وتظهر الوظيفة الدلالية للنبر بصورة أساسية في لغات معينة أهمهما اللغة الصينية التي تستعمل الكلمة الواحدة في معاني مختلفة بطريق تغيير مكان النبر و درجاته[2]،"**فنطق الكلمة لايكون صحيحا إلا إذا روعي فيه موضع النبر، فالفرنسي حين ينطق بالإنجليزية يضغط على المقاطع الأخيرة من الكلمات متأثرا بعاداته اللغوية فتنفر الأذن الإنجليزية من نطقه الذي تشوبه لهجة أجنبية تؤدي إلى اضطراب في الفهم.**"[3]

لقد صنَّف العلماء الوظيفة الدلالية للنبر ضمن مهام ما اصطلحوا عليه، بنبر الجمل أوالنبر السياقي، وعنوا به أن يعمد المتكلم إلى كلمة في جملة فيزيد في نبرها ويميزها على غيرها من كلمات الجملة، رغبة منه في تأكيدها أو الإشارة إلى غرض خاص؛ [4]"إنه مرتبط بالأداء والمعنى العام المراد إيصاله إلى السامع، فإذا قلنا مثلا: نجح محمد في الإمتحان، فإن الغرض من الجملة يختلف باختلاف الكلمة التي ينبرها المتكلم، فإذا كان التركيز على الفعل (نجح)، فالمراد التأكيد على الحدث، حدث النجاح، و ليس غيره، و إذا كان التركيز على اسم (محمد)، فالمراد التأكيد على أن محمد نجح و ليس خالدا أو غيره. "[5]

---

[1]- ينظر:عبد الغفار حامد هلال، أصوات اللغة العربية، ص217

[2]- كمال بشر، علم اللغة (الأصوات)، ص163

[3]- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص171

[4]- ينظر:حسام البهنساوي، الدراسات الصوتية عند العرب و الدرس لصوتي الحديث، ص170

[5]- عبد الحميد السيد، دراسات في اللسانيات العربية، ص51

"وفي اللهجات يظهر هذا النوع من الاختلاف بوضوح، ففي جملة (محمد إجه) إذا كان النبر على المقطع الأخير من الكلمة الثانية، كانت تعني الاستفهام عن مجيء محمد، وإن كان النبر على مقاطع الكلمة الأولى، فيعني إثبات مجيء محمد. "[1]

"إنَّ النبر ينفث الحياة في هيكل الأصوات العظمي أو على حد تعبير مجازي لقدامى النحاة ، النبر (روح) الكلمة ،فهو الذي يعطي للكلمة طابعها وشخصيتها ،سواء أكان نبر علو أم نبر شدة ، ولكن النبر مع كل هذا لا يكفي لتحديد الكلمة ."[2]

وعلى الرغم من ذلك يبقى النبر في العربية من النوع غير التمييزي، أي لا تأثير له في المعنى،"**فمن الواضح أن اللغة العربية الفصحى،لا تعتمد على النبر في تصنيفها الصَّرفي، فلا علاقة بين النبر ومعاني الكلمات** "[3]،"وأنه وإن كان يَسهُل على السامع تمييزه، فإنه يصعب في الوقت نفسه على الدارس تحديده وتقعيده، وهو أمر عانى منه الأصواتيون المحدثون من العرب و غيرهم،"[4] حتى قال أحدهم وهو يناقش قضية النبر والتنغيم في اللغات:" ومن الأسلم ألا يحاول المرء وضع قانون صارم، يُحدد طريقة النطق."[5]

[1]- سامي عبد الحميد، تربية الصوت و فن الإلقاء، مطبعة الأديب البغدادية 1974، ص56 .

[2]- ينظر:فندريس ، اللغة ،ص87.

[3]- دراسات في اللسانيات العربية ،ص50.

[4]- غانم قدوري الحمد، المدخل إلى علم أصوات العربية، ص241

[5]- ماريوباي، أسس علم اللغة، ص95

3 – دلالـــة التـــنـــغـــيم:

"إن مادَّة الصَّوت هي مظهر الإنفعال النفسي ،وإن هذا الإنفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنويع الصَّوت ، بما يخرجه فيه مدا أو غنة أو لينا أو شدة ، وبما يهيء له من الحركات المختلفة في اضطرابه ،وتتابعه على تقادير تناسب ما في النفس من أصولها ،ثم هو يجعل الصوت إلى الإيجاز والإجتماع أوالإطناب والبسط ،بِمقدار ما يكسبه من الحلاوة والإرتفاع والإهتزاز وبُعد المدى ونحوها ،مما هو من بلاغة الصَّوت في لغة الموسيقى."[1]

فمتى تلا الإنسان القرآن أحس بذلك الإيقاع الداخلي في سياقه يبرز بروزا واضحا في السور القصار، والفواصل السريعة، ومواضع التصوير،والتشخيص بصفة عامة، ويتوارى قليلا أوكثيرا في السور الطوال، حتى تنفرد الدقة دونه في آيات التشريع، ولكنه على كل حال ملحوظ دائما في بناء النظم القرآني [2].

" فالنغم الموسيقي في القرآن يَختلف من سورة إلى أخرى وقد يَختلف في السورة الواحدة تبعا للانتقال من موضوع إلى موضوع،"[3] "**وهو يشكل نمطا من أنماط التصوير في الذكر الحكيم، ذلك أن التصوير الفني في القرآن، تصوير باللون، وتصوير بالحركة، وتصوير بالتخيل، كما أنه تصوير بالنغمة، تقوم مقام اللون في التمثيل ،وكثيرا ما يشترك الوصف والحوار وجرس الكلمات، ونغم العبارات، وموسيقى السياق، في إبراز صورة من الصور تَملأها العين والأذن، والحس و الخيال، والفكر والوجدان**" [4].

فالكلمة الواحدة أو الجملة قد تُقام بنغمات متعدِّدة ،فيتغيَّر معناها النحوي والدَّلالي مع كل نغمة بين الإستفهام والتوكيد والتقرير لمعان مثل الفرح والحزن والشَّك والتأنيب ، والإعراض والتحقير ،حيث تكون النغمة هي العنصر الوحيد الذي نشأت عنه المعاني المتباينة [5].

---

[1]– إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ،ص 216.

[2]– ينظر:سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص85.

[3]– بغدادي بلقاسم، المعجزة القرآنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،ص311.

[4]– التصوير الفني في القرآن، ص33.

[5]– علم اللغة بين التراث والمعاصرة ،ص 104.

وقد تنبَّه **ابن سينا** لذلك إذ يقول :" **وربما أعطيت هذه النبرات بالحدة والثقل هيئات تصير بها دالة على أحوال أخرى من أحوال القائل ،أنه متحير أوغضبان ، أوتصير به مستدرجة للمقول معه بتهديد أو تضرع أو غير ذلك ،وربَّما صارت المعاني مختلفة باختلافها،مثل أن النبرة قد تجعل الخبر استفهاما ،والاستفهام تعجبا وغير ذلك** "[1]

و**سورة آل عمران** من السور الطوال التي يظهر فيها الشكل التنغيمي من نوع النغمة الهابطة، وذلك منسجم مع مواقف التقرير الذي انتهجته سورة آل عمران في مواضعها، في حين أن النغمة الصاعدة، تظهر بصورة أقل مرتبطة بأسلوب الاستفهام بالهمزة في معظم أشكالها، وذلك مِما يَجعل النَّغم يسير على وتيرة واحدة رتيبة تتكشَّف بعض ملامِحه حينا وتَختفي حينا آخر.

أ- النغمة الصَّاعدة:

وقد ذكرنا أنَّها تظهر في الجمل الإستفهامية بالهمزة ،وفي الجمل المعلقة التي لم يتم معناها بعد إذ يشعر السَّامع وكأن المتكلم مازال لديه مايقوله.

ففي قوله تعالى:﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [2]؛ يبدأ تنغيم الآية من نوع النغمة الصَّاعدة من قوله تعالى (فَتَقَبَّلَهَا) إلى غاية (وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا) ،وفي خضم الحديث عن أحوال السيدة مريم عليها السلام والظروف التي كبُرت فيها يبدأ النغم بالتنازل شيئا فشيئا حتى تصبح النغمة ،نغمة هابطة مع نهاية الآية الكريمة حيث تمام المعنى .

ومنه في قوله ﴿ قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ[3]﴾؛ يظهر الشكل النغمي من نوع نغمة تصاعدية وعالية جدا في قوله جل ثناؤه(قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ)

[1]- ينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية ،ص266،نقلا عن الخطابة ،ابن سينا ،ص198.

[2]- الآية (37) من سورة آل عمران .

[3]-الآية (29) من سورة آل عمران .

ثم يتنازل شيئا فشيئا حتى تنتهي الآية بنغمة منخفضة تعكس تمام مدلول الآية ومعناها،ولو أن القارئ تلا بداية الآية ثم توقف عند قوله (أَوْ تُبْدُوهُ) لما تمَّ المعنى ولظلَّ السَّامع أوالقارئ يتساءل عمَّا سيُفضي إليه هذا الشرط فتأتي الإجابة بقوله تعالى (يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

ونَحوه في قوله تعالى:﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .[1]

"فهذه الهمزة همزة استفهام دخلت على واو العطف،فكأنه قال:(صنعتم كذا وكذا ولما أصابتهم) ثم أدخل على الواو وألف الاستفهام،"[2]والهمزة للتقرير والتقريع" [3]

ومنها قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ [4]، **"فهي صيغة سؤال استنكارية يقصد بها التنبيه بشدة إلى خطأ هذا التصور، تصور أنه يكفي أن يقولها كلمة باللسان، أسلمت وأنا على استعداد للموت، فيبلغ بهذه الكلمة أن يؤدي تكاليف الإيمان، وأن ينتهي إلى الجنة والرضوان."** [5]

وتبدو النغمة الصاعدة بوضوح في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [6]، **"حيث ينبض المشهد بالحياة والحركة والحوار،على طريقة القرآن بنغمة صاعدة على المقاطع الأولى من الآية (أكفرتم) ثم تليها هبوط في النغم، وعلى هذه الشاكلة، يطوي القرآن الكريم الأزمنة المتتابعة بين الرسل ويجمعهم كلهم في مشهد،والله الجليل الكبير يخاطبهم جملة، هل أقروا هذا الميثاق وأخذوا عليه عهد الله الثقيل: ﴿قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾ وهم يجيبون ﴿قَالُوا أَقْرَرْنَا ﴾ فيشهد الجليل على هذا**

---

[1]- الآية (165) من سورة آل عمران .

[2]- الأخفش، معاني القرآن، ص358

[3]- الكشاف ص447/1

[4] - الآية (142) من سورة آل عمران .

[5]- في ظلال القرآن،ص 483/4

[6]- الآية (106) من سورة آل عمران .

الميثاق ويشهدهم عليه ﴿ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾، هذا المشهد الهائل الجليل،يرسمه التعبير، فيجف له القلب، وهو يتمثل المشهد بحضرة البارئ الجليل، والرسل مجتمعين "[1].

والملاحظ أنَّ النغمة الصَّاعدة تتطلب الكثير من المشاهد المفعمة بالحركة والحوار، وهي تلائم مواقف السَّرد والحكي ،إذ الكلام يستدعي بعضه بعضا وكأنك بالسَّامع يقول (ثم ماذا؟) و(ماذا بعد؟) . ولأن سورة آل عمران سورة مدنية يكثر فيها التشريع وما تعلق بأحكام الجهاد ،والحوار العقلي المفعم بالبراهين والحجج العقلية ،فهي لهذا لا تتطلب الكثير من النغم التَّصاعدي ذو الدرجة الإسماع العالية .

ب- النغمة الهابطة:

وردت الجمل التقريرية، والجمل الاستفهامية بالأدوات الخاصة، والجملة الطلبية التي تحتوي على فعل أمر أو نحوه [2]،في سورة آل عمران وفق نغمة هابطة،إذ يمثل هذا النوع من التنغيم، النموذج الغالب على التشكيل النغمي لسورة آل عمران -كما ذكرنا آنفا-.

ومنه الاستفهام بـــ (كيف) في قوله تعالى: ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [3].

"(كيف تكفرون) معنى الاستفهام فيه الإنكار والتعجيب ،والمعنى من أن يتطرق إليكم الكفر والحال أن آيات الله، وهي القرآن المعجز المتلى عليكم على لسان الرسول غضة طرية، و بين أظهركم رسول الله ينبهكم و يعظكم و يزيح شبهكم "[4].

"ولعل السر في جمال أسلوب الاستفهام هنا، والعدول إليه عن أسلوب النفي، هو أن الاستفهام في أصل وضعه يتطلب جوابا يحتاج إلى تفكير يقع به هذا الجواب في موضعه

[1]- في ظلال القرآن،ص 420/3

[2]- كمال بشر، فن الكلام، ص165

[3]-الآية (111) من سورة آل عمران .

[4]- البحر المحيط،ص 15/3

ولما كان المسئول يجيب بعد تفكير وروية عن هذه الأسئلة بالنفي، كان في توجيه السؤال إليه حملا له على الإقرار بهذا النفي، وهو أفضل من نفي الابتداء."[1]

ومن النغمة الهابطة أسلوب الشرط في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ [2]،"**وما كان يفزع المسلم – حينذاك–ما يفزعه أن يرى نفسه منتكسا إلى الكفر بعد الإيمان، وراجعا إلى النار بعد نجاته منها إلى الجنة، وهذا شأن المسلم الحق في كل زمان، ومن ثم يكون هذا التحذير بهذه الصورة سوطا يُلهب الضمير ويوقظه بشدة لصوت النذير.**"[3]

ومن هذا القبيل نبرة التحسر الظاهرة في النغمة الهابطة التي وردت على لسان والدة مريم، حين رأت أنَّها وضعت أنثى لا ذكر ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى ﴾ [4].

يقول **الزمخشري: "فإن قلت: فلم قلت إني وضعتها أنثى، وما أرادت إلى هذا القول؟ قلت: قالته تحسرا على ما رأت من خيبة رجائها وعكس تقديرها، فتحزَّنت إلى ربِّها لأنَّها كانت ترجو وتقدر أن تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة، ولتكلمها بذلك على وجه التحسر والتحزُّن قال الله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بقدر ما وهب لها منه.**"[5]والحديث بنغمة هابطة في هذا المقام هو أكثر ما يناسب حالة الحزن والتحسُّر.

ومنه النغمة الهابطة في النداء المتوجه إلى السماء في قوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [6]، "فهي نداء خاشع في تركيبه اللفظي إيقاع الدعاء، وفي ظلاله المعنوية روح الابتهال، وفي التفاته إلى كتاب الكون المفتوح إستجاشة للمشاعر

[1]– أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن ، ص126

[2]– الآية (100) من سورة آل عمران .

[3]– في ظلال القرآن،ص 439/4

[4]– الآية (36) من سورة آل عمران .

[5]– الزمخشري، الكشاف ،ص 425/1

[6]– الآية (26) من سورة آل عمران .

في رفق وإيناس، وفي جمعه بين تدبير الله وتصريفه لأمور الناس، ولأمور الكون إشارة إلى الحقيقة الكبيرة، حقيقة الألوهية الواحدة القوَّامة على الكون والناس،"[1] تزيد لفظة (اللهم) هذا النغم فخامة وروعة[2].

"والدعاء بطبيعته ضرب من النشيد الصاعد إلى الله، ولا يحلو وقعه في نفس الضارع المبتهل لولا أن تكون ألفاظه منتقاة، فلا غرو إذا بدا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في دعاءه المأثور كالحريص على شيء من التقطيع المقصود من سجع لطيف أو طباق رشيق أورنة شافية، أما القرآن نفسه فلم ينطق عن لسان النبيين والصديقين والصالحين، إلا بأعلى الدعاء نغما،وأروعه سحر بيان،وإذا تذكرنا أن ابتهال الصالحين كثير في القرآن رغبا ورهبا، طمعا وخوفا، استعجالا للخير ودفنا للشر، أدركنا سر من أسرار التنغيم ينبعث من كل مقطع من كتاب الله. "[3]

ومثله الدعاء في قوله تعالى﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١)رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (١٩٢)رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ (١٩٣)رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤) ﴾[4].

يقول **صبحي الصالح:"ولقد استشعرنا هذا الجو الغنائي كله ونحن نتصور نبيا يبتهل وحده في خلوة مع الله، وكدنا نصغي إلى ألحانه الخفية تصَّاعد في السماء، فكيف بنا لو تصورنا جماعة من الصديقين الصالحين وصفهم الله أنهم من أولى الألباب ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾[5]**،

---

[1]- في ظلال القرآن 384/3

[2]-ينظر: من بلاغة القرآن، ص131

[3]- صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص337.

[4]- الآيات (191-194) من سورة آل عمران .

﴾[1]، كيف بنا لو تصورنا هؤلاء يشتركون ذكرانا وإناثا،شبانا وشيبا بأصوات رخوة متناسقة تصعد معا، وتهبط معا وهي تجأر إلى الله وتنشد هذا النشيد الضخم والجليل.[2]

وكل هذا إنما تم وفق نغمة هابطة ورزينة.

وفي قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [3]،تبدأ النغمة صاعدة ثم تنتهي منخفضة عند قوله تعالى (إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) ؛ومنه قوله عز وجل﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ [4]﴾ إذ تظهر النغمة متصعدة في بداية الآية ثم تبدأ بالإنخفاض تدريجيا حتَّى تتحوَّل إلى نغمة منخفضة في قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ) .

وهكذا فإن المجموعة الكلامية التامة المعنى، لابد من أن تنتهي بنغمة هابطة في أساليب التقرير والطلب والتأكيد والاستفهام بغير هل والهمزة، وأن المجموعة الكلامية غير التامة المعنى لابد أن تنتهي بنغمة صاعدة أو ثابتة أعلى مما قبلها، وكذلك الشأن في الاستفهام المبدوء بـــ هل و الهمزة[5].

لقد نزل القرآن الكريم في بيئة كان اهتمامها الأول إظهار البراعة في اللغة والاقتدار على الموازنة بين جرس الكلمات وإيقاعها من جهة ،والأحداث المصورة والأفكار المعبر عنها شعرا أو نثرا من جهة أخرى ،ولكنهم فوجئوا بكلام سمعوا من خلاله ضربا من الموسيقى التي لا قِبَل لهم بها ، لأن القرآن قد جمع بين موسيقى الشعر حيث النغم الموزون والاهتزاز النفسي ولكنه ليس بشعر ،وموسيقى النثر حيث الإيقاع العميق الذي يُحدثه حسن توزيع أصوات الكلمات في سياق الآيات ،فإذا بقوانين الموسيقا اللغوية تامة كاملة

[1]- من الآية (191) من سورة آل عمران.

[2]- مباحث في علوم القرآن، ص338.

[3]- الآية (08) من سورة آل عمران .

[4]- الآية (09) من سورة آل عمران .

[5]-ينظر:، أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص122.

بل ومعجزة أيضا، في القرآن الذي جاء في إحدى آياته ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [1]

والحديث عن تنغيم القرآن الكريم حديث شيق ومتشعب ،إذ يتظافر فيه جرس الكلمات وإيقاع المقاطع،ومواضع النبر في تحديد طبيعة النغمة والغرض الدَّلالي منها،لذلك فالبحث فيه يبقى مفتوحا وقابلا للكثير من الإضافات .

[1]- الآية (88) من سورة الإسراء .

لقد تمخضت عن هذا البحث مجموعة من النتائج هي كالتالي :

- أكدت عملية إحصاء الأصوات في سورة آل عمران ما قعَّد له العلماء من مراتب ورود الأصوات في النسيج العربي ،حيث لا يعدو أن يكون الفارق طفيفا جدا ، كما أن استقصاء ذلك في مجموع آي الذكر الحكيم سيساهم وبشكل كبير في التقعيد لظاهرة تأليف الأصوات في العربية .
- احتوت سورة آل عمران على نماذج من الإدغام عدها النحاة مما لا يجوز فيه الإدغام كنحو الإدغام في حروف الحلق، وان كانت الدراسات الصوتية الحديثة أكدت صحة ذلك وإمكانيته.
- نماذج الإبدال الواردة في سورة آل عمران إنما جاءت لداع صوتي بحت، وهو جعل اللسان يعمل في مستوى واحد.
- يحتمل النص القرآني الواحد ، الظاهرة الصوتية ونقيضها ،كالادغام وضده الفك، والامالة وضدها التفخيم ،عاكسا بذلك تنوع القراءة رغبة في التيسير ،مصداقا لقوله تعالى ﴿إِنَّا يَسَّرْنَاهُ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾
- الإمالة في القرآن الكريم ظاهرة اختيارية تتوقف على قراءة القارئ والهدف الرئيس منها هو التيسير والسهولة.
- يتميز القرآن الكريم بإيقاعه المتوازن الناشئ من الانسجام والتناسب بين مواضع النبر في آياته، مم يخلق نغما موسيقيا ينفرد به القرآن الكريم .
- لا يختلف النسيج المقطعي في سورة آل عمران عما أقره علماء اللغة من ناحية شيوع المقاطع وورودها مما يؤكد أن القرآن الكريم يسير وفق ما رضيته العربية لبنائها المقطعي .
- ساهمت أنواع المقاطع في إبراز الدلالة إلى حد كبير، فكانت المقاطع الطويلة تدل على استمرار المعنى والمقاطع القصيرة تدل على السرعة.

- في القرآن الكريم عامة وفي سورة آل عمران خاصة الكثير من المواضع التي تظهر من خلالها وبوضوح علاقة الصوت بالدلالة ، مما يؤكد ضرورة العناية بهذا الفرع من علم الدلالة .
- دراسة النبر في القرآن الكريم دراسة يافعة وفتية ،تحتاج إلى اهتمام العلماء وتنظيرهم، وإن كان التعامل معها- لاسيما في القرآن الكريم- يقتضي الكثير من الحذر والحيطة .
- تظهر مختلف الأشكال التنغيمية في القرآن الكريم، كما أنَّها تعمل بصورة واضحة على إيضاح المعنى والتمييز بين معاني الاستفهام والإخبار والأمر وغير ذلك .
- اختارت سورة آل عمران النغمة الهابطة كشكل تنغيمي غالب على النسق النغمي للسورة، وذلك لموافقة هذه النغمة للمواضيع التي تحملها السورة الكريمة.
- القرآن الكريم ، إضافة إلى كونه زاد معرفي وفكري وديني لا ينضح، فهو كذلك زاد لغوي لا حدود لوجوه الإعجاز فيه، مما يجعل التعامل معه، أمرا يستدعي الكثير من الحذر ،وإن كان ذلك لا يمنع من عدِّه الأنموذج الأمثل للتقعيد للعربية والرقي بها .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم ، دار الفجر الإسلامي دمشق ،ط6 ، 1414هـ

1. الأخفش، سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي ، معاني القرآن ، دراسة وتحقيق : محمد أمين الورد ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2002 .
2. إخوان الصفا وخلان الوفا ، رسائل إخوان الصفا ن منشورات عويدات ، بيروت ، باريس ، ط1، 1995م/1415ه .
3. ابن الأثير،المثل السائر،تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت ،1995.
4. الأزهري،أحمد عبد الرحمن،تهذيب اللغة ،دار الكتب العلمية ،بيروت،لبنان،ط1 2004
5. الاستراباذي ،رضي الدين محمد بن الحسن ، شرح شافية ابن الحاجب مع شرح شواهده عبد القادر البغدادي ،تحقيق وضبط وشرح :محمد نور الحسن محمد الزقزاق محمد محي الدين عبد الحميد دار الفكر العربي بيروت ،لبنان، 1975 .
6. إستيته سمير شريف ، القراءات القرآنية بين العربية و الأصوات اللغوية " منهج لساني معاصر " عالم الكتب الحديث ، الأردن ، 2005
7. الإشبيلي ابن عصفور ، (ت 669هـ) ،الممتع الكبير في التصريف ، تحقيق: فخر الدين قباوة ، مكتبة لبنان ،ط1996،1م.

-المقرب ،دراسة وتحقيق ، أحمد عبد الستار الجبوري ، ط1،1972.

9. أبو أسفير كايد ، تحليل أكوستيكي لوجوه الاختلاف الصوتي بين ورش وقالون في قراءة نافع المهدي ، عالم الكتب الحديث ، إربد، الأردن ، 2006 .
10. الأصبهاني ، أبو بكر أحمد بن الحسن بن مهران (ت 381 هـ) ،المبسوط في القراءات العشر، تحقيق : جمال الدين محمد شرف ، دار الصحابة للتراث ، طنطا ، 2004 .
11. الأصفهاني ، الراغب (ت502هـ) المفردات في غريب القرآن ، ضبط و مراجعة : محمد خليل عتاني ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 2001 .
12. الأعشى، الديوان، دار صادر، بيروت ط1 1374ه-1995م،ط2 1412ه-1992م.

13. الأنباري أبو بركات (ت 577هـ) ، أسرار العربية ، تحقيق : فخر صالح قدارة ، دار الجيل ،بيروت ، ط1 ،1995 .
14. الأندلسي أبي حيان ، (ت: 743ه) ، تذكرة النحاة ، تحقيق : عفيف عبد الرحمن ، مؤسسة الرسالة ، د.ط ، 1986م.
15. الأندلسي، أبي حيان محمد بن يوسف (654-754ه) ، تفسير البحر المحيط ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ط2 ، 1413ه/1992م .
16. الأنصاري ، زكريا بن محمد ،الدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية ، تحقيق : نسيب النشاوي ، مطابع ألف باء الأديب ، دمشق ، سوريا ، 1980
17. الأنطاكي محمد،المحيط في أصوات اللغة ونحوهاوصرفها،دارالشرق العربي، ط3،دت.
18. أنيس إبراهيم،- الأصوات اللغوية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط4 ، 1978 .
- في اللهجات العربية مكتبة أنجلو المصرية ، القاهرة ، ط3 .
- من أسرار اللغة ، مكتبة أنجلو المصرية ، ط7، 1985 .
- موسيقى الشعر ، مكتبة أنجلو المصرية ط2 1952.
22. أيوب ،عبد الرحمن ، أصوات اللغة ، مكتبة الشباب، القاهرة، دت.
23. البخاري أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ، صحيح البخاري ، شركة الشهاب، الجزائر ، د.ط ، د.ت
24. البدوي أحمد أحمد ، من بلاغة القرآن ، نهضة مصر ، دط ، دت .
25. ابن باذش،أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري (ت540ه) الإقناع في القراءات السبع،تحقيق:عبد المجيد قطامش،دار الفكر،دمشق،ط1، 1403هـ .
26. الباقلاني ، أبو بكر محمد بن الطيب إعجاز القرآن ، تحقيق : أحمد صقر، دار المعارف، مصر، دت، دط.
27. براجشتراسر Bergastrasser، التطور النحوي للغة العربية، ترجمة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط2، 1994 .

28. بركة بسام،علم الأصوات العام(أصوات اللغة العربية)، مركز الإنماء القومي ، دط،دت.

29. بشر كمال ، علم اللغة العام الأصوات ، دار المعارف . دط،دت.

ـــ علم اللغة الاجتماعي " مدخل" دار غريب ، القاهرة ، ط3 ، 1997 .

ـــ فن الكلام ، دار غريب ، القاهرة ، دط ، دت .

32. البطليوسي ،أبي محمد عبد الله (ت521)ه ، الاقتضاب في شرح أدب الكتاب،تحقيق : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1999.

33. بكوش الطيب،التصريف العربي من خلال علم الأصوات، المطبعة العربية ،تونس، 1981م

34. بلعرج بلقاسم، لغة القرآن الكريم" دراسة لسانية للمشتقات في الربع الأول"، دار العلوم ، باتنة ، دت .

35. بلقاسم بغدادي ،المعجزة القرآنية، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دت .

36. بني دومة خالد قاسم ، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم ، عالم الكتب الحديث ، أربد ، الأردن ، 2006 .

37. البنا الدمياطي ، أحمد بن محمد ، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر " المسمى منتهى الأماني و المسرات في علوم القراءات " ، تحقيق و تقديم : شعبان محمد إسماعيل ، عالم الكتب ، بيروت ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ط1 ، 1987 .

38. البهنساوي حسام ، علم الأصوات ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط1 ، 2002 .

ـــ الدراسات الصوتية عند العرب والدرس الصوتي الحديث، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2005.

40. البيطارحسام ، إعجاز الكلمة في القرآن الكريم، وجه غير مسبوق في إعجاز الكلمة المفردة ط1 عمان الأردن 1426هـ/2005م.

41. الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحرت (255ه) ، البيان والتبيين ، تحقيق : درويش جويدي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ط2، 1421ه/2000م.

- الحيوان ،وضع حواشيه ،محمد باسل عيون السود،دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان،ط2، 2003م/1424ه ،

43. الجوزية ،ابن القيم ،بدائع الفوائد،تحقيق : سيد عمران ،عامر صلاح ،دار الحديث، القاهرة ،2002

44. ابن الجزري ، أبي خيرة محمد بن محمد الدمشقي (ت833هـ) ، النشر في القراءات العشر، قدم له علي محمد الضباع، خرَّج آياته زكريا عميرات،دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ،ط3، 2002م .

- منجد المقرئين ومرشد الطالبين، خدمه وعنى به عبد الحليم بن محمد الهادي قابة ، دار البلاغ ، الجزائر ط1 1424 هـ/ 2003 م.

- غاية النهاية في طبقات القراء ، تحقيق ،برجستراسر ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،طبعة جديدة مصححة ،2006،

47. الجندي أحمد علم الدين ، اللهجات العربية في التراث ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ، دط ، 1978.

48. ابن جني أبي الفتح (ت392هـ) ، الخصائص ، تحقيق : محمد علي النجار ، عالم الكتب ، بيروت ، دط،دت.

ـــ المنصف في شرح كتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني ، تحقيق : إبراهيم مصطفى عبد الله أمين ، إدارة إحياء التراث القديم ، ط1 ، 1954 .

ـــ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات و الإيضاح عنها ،تحقيق : علي النجدي ناصف، عبد الحليم النجار، عبد الفتاح شلبي ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، 1999.

ـــ سر صناعة الإعراب ، تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل، أحمد رشدي شحاتة عامر، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 2007.

- التصريف الملوكي، تحقيق وتعليق: عرفان مطرجي ، مؤسسة الكتاب الثقافية ، بيروت لبنان ،ط1 ،2005 .

53. حجازي محمود فهمي،مدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث ،دار قباء ،القاهرة ، دط ، 1998 .

54. حركات مصطفى ، اللسانيات العامة وقضايا العربية ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ط1، 1998 .

55. الحريري أبو القاسم بن علي (ت516هـ) ، درّة الغوّاص في أوهام الخواص ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1997 .

56. حسان تمام ، البيان في روائع القرآن " دراسة لغوية أسلوبية للنص القرآني ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط1 ، 1993 .

ـــ اللغة العربية معناها ومبناها ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ـــ المغرب ، 2001 .

ـــ اللغة العربية بين الوصفية و المعيارية ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط4 ، 2001.

ـــ مناهج البحث في اللغة ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، 1986.

ـــ مقالات في اللغة و الأدب ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط1 ، 2006 .

ـــ الخلاصة النحوية ، عالم الكتب ،ط1 ،2000

62. حسن عبد الحميد ، الألفاظ اللغوية خصائصها وأنواعها ، دار الكتب ، 1971 .

63. حسنين صلاح الدين صالح ، مدخل إلى علم الأصوات " دراسة مقارنة " ، دار الإتحاد العربي ، ط1 ، 1981 .

64. أبي حفص عمر (1411ه 1991م)، فتح اللطيف في التصريف على البسط والتعريف ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط2 ، 1993 .

65. الحمد غانم القدوري ، رسم المصحف " دراسة لغوية تاريخية " اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن 15، العراق ، ط1 ، 1982 .

ـــ المدخل إلى علم أصوات العربية ، دار عمار ، ط1 ، 2004 .

67. الحملاوي أحمد بن محمد أحمد (ت1351هـ) ، شذا العرف في فن الصرف ، غالب المطلبي ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ط1، 2000 .

68. ابن خالويه ، أبي عبد الله الحسين بن أحمد ، إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، تحقيق : محمد إبراهيم سليم ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر، دط ، دت

ـــ ابن خالويه ، الحجة في القراءات السبع ، تحقيق و شرح : عبد العال سالم مكرم، دار الشرق ، دط ، دت .

70. الخفاجي الأمير أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان (ت 466هـ) ، سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان ، ط1 ، 1998 .

71. الداني أبو عمرو ،عثمان بن سعيد (ت444هـ)، التحديد في الإتقان و التسديد في صنعة التجويد، تحقيق و دراسة:أحمد عبد التواب الفيومي ،مكتبة وهبة،ط1 ، 1993

72. ـــ داود محمد محمد ، العربية و علم اللغة الحديث ، دار غريب ، القاهرة ، 2001.

73. ـــ ابن دريد أبي بكر محمد بن الحسين الأزدي البصري (ت: 321هـ)، جمهرة اللغة، دار صادر، بيروت،دط، دت .

74. ـــ دي سوسير فردناند ، محاضرات في الألسنية العامة ، ترجمة : يوسف غازي ومجيد النصر ، دار النعمان للثقافة ، جونيه ـــ لبنان ، دط ، دت .

75. ـــ الراجحي شرف الدين سامي عياد حنا ، مبادئ علم اللسانيات تقديم عبده الراجحي دار المعرفة الجامعية الإسكندرية 2003 .

76. ـــ الراجحي عبده، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1999.

77. ـــ الرازي ، فخر الدين محمد بن عمرو بن الحسن بن الحسن ابن علي التميمي البكري (ت604ه) ، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، تحقيق : سعد سليمان العودة ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2003 .

ـــ التفسير الكبير أو "مفاتيح الغيب" ، تحقيق : عماد زكي البارودي ، المكتبة التوقيفية ، مصر.دط ، دت .

79. رضا محمد رشيد ، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ، دار المعارفة ، بيروت ، لبنان ، ط2،دت.

80. الرافعي ،مصطفى صادق ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ،دار الكتاب العربي ، بيروت، لبنان ،دط،دت .

– تاريخ آداب العرب ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ط1 2000.

82. الرماني ، النّكت في إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق و تعليق : محمد خلف الله محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، مصر ، ط3 .

83. ابن رشد ، تلخيص الخطابة ، تحقيق وتقديم :عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، دار العلم ، بيروت ، لبنان ، دط،دت.

84. الزجاج، أبو إسحق إبراهيم السري (ت311هـ)، تهذيب معاني القرآن و إعرابه ، هذّبه و علّق عليه و أخرج أحاديثه : عرفان بن سليم العشا حسونة ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ط1 ، 2006 .

85. الزجاجي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد (ت 577هـ) ، الجمل في النحو ، تحقيق : علي توفيق الحمد ، مؤسسة الرسالة، دط ، دت .

86. الزركشي ،البرهان في علوم القرآن ،تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة،بيروت ، 1391ه

87. الزمخشري ، أبي القاسم محمود بن عمر (467-538ه) ، المفصل في علم العربية ، وذيّله كتاب المفضل في شرح أبيات المفصل للسيد محمد بدر الدين أبي فراس النعساني الحلبي، تحقيق : سعيد محمود عقيل ، دار الجيل ، بيروت ـــ لبنان ، ط1 ، 2003 .

– الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،دار الفكر، دط،دت

– أساس البلاغة،تحقيق:محمد باسل عيون السود،دارالكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ، ط1،1419ه/1998م.

90. ابن زنجلة أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد ، حجة القراءات ، تحقيق و تعليق : سعيد الأفغاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط5 ، 1997 .

91. سيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت180ه) الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، د.ت .

92. السعران محمود ،علم اللغة "مقدمة للقارئ العربي "،دار النهضة العربية ،بيروت دت
93. السعدني مصطفى ،البناء اللفظي في لزوميات المعري(دراسة بلاغية تحليلية) منشأة المعارف الإسكندرية ،دت .
94. سليمان الفياض ، استخدامات الحروف العربية ، معجميا- صوتيا-صرفيا -نحويا- كتابيا ندار المريخ للنشر ، الرياض ، السعودية ، 1418ه/1998م .
95. السهيلي أبي القاسم ، نتائج الفكر ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود ،علي محمد عوض ،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ،ط1 ،1416هـ/1992م،
96. السيرافي أبي سعيد (ت 318هـ) ، ما ذكره الكوفيون في الإدغام ، حققه وقدم له وعلق عليه : صبيح التميمي ، دار الشهاب ، باتنة ـــ الجزائر .
97. السيوطي جلال الدين (ت911هـ) ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، شرح وتحقيق : عبد العال سالم مكرم ، عالم الكتب ، القاهرة ، 2001 .
-الإتقان في علوم القرآن ،تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ، 2003.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، ضبطه وصححه ووضع حواشيه ، فؤاد علي منصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ،1998.
- معتـــرك الأقـــران في إعـــجاز القـــرآن تحقيق:على محمد البجاوي ،دار الفكر العربي ط د، دت.
- الأشباه والنظائر في النحو ، تحقيق : محمد عبد القادر الفاضلي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت، ط1 ، 1420 ه/1999م ،
102. السيد عبد الحميد ، دراسات في اللسانيات التطبيقية ، المشاكلة – التنغيم ، دار حامد ، عمان ، الأردن ، ط1، 2004.
103. ابن سينا ،أبو علي الحسين عبد الله ، رسالة أسباب حدوث الحروف ، تحقيق : محمد حسان الطيان ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ط1، 1983م.

– الشفاء الفن السابع (الشعر)،تحقيق: عبد الرحمن بدوي ،الدار المصرية ،القاهرة، 1966.

105. ابن السكيت (186-244ه) ، إصلاح المنطق ، شرح وتحقيق : أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، دار المعارض ، القاهرة ، ط4 ،دت .

106. شادي محمدإبراهيم،البلاغة الصوتية في القرآن الكريم،دار الرسالة ،ط1،1988م .

107. شاهين عبد الصبور ، المنهج الصوتي للبنية العربية "رؤية جديدة في الصرف العربي" مؤسسة الرسالة ،ط1400،1ه/1980م بيروت ،لبنان.

ـــ أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي،مكتبة الخانجي،القاهرة ،ط1 ، 1987م.

ـــ القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ، مكتبة الخانجي ، دت.

110. ابن شريح أبو عبد الله محمد (ت 476هـ) ، الكافي في القراءات السبع ، تحقيق وتعليق : جمال الدين محمد شرف ، دار الصحابة للنشر ، طنطا ، دت .

111. الشلقاني عبد الحميد ،رواية اللغة ، دار المعارف ،مصر ،د.ت ،د.ط

112. الشنقيطي أحمد بن الأمين(ت1331هـ) ، الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع ، وضع حواشيه : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، ط1 ،1999م.

113. الصابوني محمد علي ، قبس من نور القرآن الكريم سورة البقرة وآل عمران دراسة تحليلية موسعة لأهداف ومقاصد السورتين ، مكتبة الرحاب ، الجزائر، ط2، 1987م

114. الصديق محمد الصالح،البيان في علوم القرآن،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، 1994م.

115. صالح صبحي ، دراسات في فقه اللغة ، دار العلم للملايين ، ط1 ، 1960.

–مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط8 ، 1974.

117. الصغير محمد فتح الله ، الخصائص النطقية و الفيزيائية للصوامت الرنينية ، تقديم سمير شريف إستيته ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط1، 2008م.

118. الصيغ عبد العزيز ،المصطلح الصوتي في الدراسة العربية، دار الفكر، دمشق،1998.

119. الطبري أبي جعفر محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ،دار الفكر ، بيروت ،لبنان، 1984.

120. الطيان محمد حسان،محمد مرياتي ،يحي مير علم ، علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب ، تقديم شاكر الفحام ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، دط دت .

121. عبد التواب رمضان ، التطور اللغوي مظاهره علله وقوانينه ، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط2 1990م.

ـــ بحوث ومقالات في اللغة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط3، 1995.

ـــ لحن العامة والتطور اللغوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط2، 2000.

ـ المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة، دار الرفاعي ،الرياض ، ط1، 1982م .

125. عبد الحميد سامي ، تربية الصوت و فن الإلقاء، مطبعة الأديب البغدادية، 1974.

126. عبد الجليل عبد القادر،الأصوات اللغوية،دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1418/1998

- علم الصرف الصوتي ، دار أزمنة ، عمان ، الأردن ط1998،1.
- هندسة المقاطع الصوتية وموسيقى الشعر العربي (رؤية لسانية حديثة) دار الصفاء عمان ، الأردن، ط1،دت.
- الدلالة الصوتية في لهجة الإقليم الشمالي، دار الصفاء ،عمان ،الأردن،ط1997،1.

130. -ابن عبد ربه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت 328 ه) العقد الفريد ، تحقيق : محمد عبد القادر شاهين ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت.

131. بن العبد طرفة، الديوان، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي ،بيروت، لبنان ،ط1 1424ه/2003م

132. عبد الرحمن عائشة، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دار المعارف، مصر، د ط، د ت .

133. عبد المقصود محمد عبد المقصود ، دور علم الأصوات في تفسير قضايا الإعلال في العربية، مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة ، ط1 ، دت .

134. عبد الله بوخلخال ، الإدغام عند علماء العربية في ضوء علم اللغة الحديث ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2000.

135. عبابنة يحي ، دراسات في فقه اللغة والفونولجيا العربية ،دار الشروق عمان الأردن ط1،2000.

136. العقاد محمود عباس، أشتات مجتمعات في اللغة والأدب،دار المعارف، القاهرة،ط6 .

137. العناني محمد إسحاق ، مدخل إلى الصوتيات، دار وائل للنشر، عمان، 2006،

138. عيسى شحاتة عيسى علي ، العربية والنص القرآني ، دراسة للقضايا اللغوية في كتب إعراب القرآن ومعانيه في أوائل القرن 3ه ، دار قباء ، القاهرة ، 2001.

139. عمر أحمد مختار ، دراسة الصوت اللغوي ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1997

- البحث اللغوي عند العرب " مع دراسة لقضية التأثير والتأثر"، عالم الكتب، القاهرة، ط6 ،1988

- دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته،عالم الكتب،القاهرة ،ط1، 2001.

- علم الدلالة ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1989

143. عبد العبود،جاسم محمد مصطلحات الدلالة العربية ،دراسة في ضوء علم اللغة الحديث ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ط1 2007م /1428

144. العيني بدر الدين محمود بن أحمد، (ت855هـ)، شرح المراح في التصريف،حققه وعلق عليه : عبد الستار جواد ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، ط1 ، 2007 .

145. العك خالد عبد الرحمن ، تسهيل الوصول إلى معرفة أسباب النـــزول ، الجامع بين روايات الطبري والنيسابوري وابن الجوزي والقرطبي وابن كثير والسيوطي، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 1424ه/2003

146. العكبري أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (ت606هـ)، -إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن ، دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان.

– التبيان في إعراب القرآن ، وضع حواشيه ،محمد حسين شمس الدين ن دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1998.

148. بن عاشور الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر تونس ، دط،1984، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر دط، دت.

149. الغزالي ،أبو حامد (ت505ه) ، تهافت الفلاسفة المسمى معيار العلم ،تحقيق :سليمان دنيا ،دار المعارف ،القاهرة ،مصر ،1961.

150. – جواهر القرآن ، تحقيق : محمد رضا رشيد الفيائي ، دار إحياء العلوم، بيروت ، لبنان،1986

151. الفراء ،أبي زكريا يحي بن زياد بن عبد الله (ت207ه)، معاني القرآن ، عالم الكتب بيروت، ط1 ،1955 ،ط2، 1980.

152. الفارابي ،إبراهيم بن إسحاق ،ديوان الأدب –أول معجم عربي مرتب حسب الإسمية – تحقيق :أحمد مختار عمر ،وإبراهيم أنيس ، مجمع اللغة العربية 1350ه ،

153. الفارابي، ابو نصر محمد بن محمد بن طرفان، الموسيقا الكبير،تحقيق وشرح ،غطاس عبد المالك خشبة ،مراجعة محمود أحمد حنفي، دار الكتاب العربي ،القاهرة ،دط،دت.

154. فوزي الشايب، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2004.

155. فروخ عمر ، عبقرية اللغة العربية ،دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، 1401ه/1981م

156. فريحة أنيس ،اللهجات و أسلوب دراستها، دار الجيل،بيروت ط 1409،1ه/1989

157. فروخ عمر ، عبقرية اللغة العربية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ،لبنان ، 1981.

158. وفاءكامل فايد،تراكب الأصوات في الفعل الثلاثي الصحيح (دراسة استقصائية في القاموس المحيط)،عالم الكتب القاهرة،دت،

159. ابن فارس ، أبي الحسين أحمد بن فارس زكريا (ت:395ه) ،معجم مقاييس اللغة ، تح : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، 1411/1991م

160. الفاخري صالح سليم عبد القادر ،الدلالة الصوتية في اللغة العربية ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية 2007.

161. الفارسي، أبي علي الحسن (ت377ه) –التكملة وهي الجزء الثاني من الايضاح العضدي،تحقيق : جسن الشاذلي فرهود ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1984.

– الحجة للقراء السبع ،أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام ،تح: بدر الدين قهوجي ، بشير حويجاتي ،راجعه عبد العزيز رباح احمد يوسف الدقاق ،دار المأمون للتراث ط1 ، 1987.

163. الفراهيدي الخليل بن أحمد ، العـــيـــن ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، بيروت ، لبنان ، 2003

164. فليش هنري، العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد، تعريب وتحقيق :عبد الصبور شاهين،ط المشرق، بيروت،ط2 ،د.ت

165. فندريس جوزيف، اللغة ، تعريب : عبد الحميد الدواخلي ، مكتبة أنجلو ، دت .

166. فك يوهان ، العربية (دراسة في اللغة واللهجات والأساليب) ترجمة وتعريب : رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، مصر،ط1، 1980، ط2 ،1994 م

167. الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب (ت:817ه) ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، تحقيق : محمد علي النجار مطبعة نهضة مصر ط2، جمادى الآخرة 1406ه/ فبراير 1986م

168. القباقبي محمد بن خليل أبي بكر شمس الدين بن عبد الله (ت849ه) ، إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز ، الجامع للقراءات الأربعة عشر ،دراسة وتحقيق فرحات عيَّاش، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ، 1995

169. ابن قتيبة أبي محمد عبد الله بن مسلم ، أدب الكتاب، حققه وضبط غريبه، وشرح أبياته والمهم من مفرداته :محمد محي الدين عبد الحميد دار الطلائع ، القاهرة ، دط،دت

170. قدور أحمد محمد ، مبادئ اللسانيات ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ــ سورية ، ط1996،1ط2 ،1999م .

171. القرالة زيد خليل ، الحركات في اللغة العربية "دراسة في التشكيل الصوتي" ، عالم الكتب الحديث ، الإربد ،الأردن ،2004

172. القطامي ، الديوان ، تحقيق : إبراهيم السامرائي ، أحمد مطلوب ، دار الثقافة ، بيروت ، ط1 ، 1960.

173. قطب سيد ، التصوير الفني في القرآن ، دار الشروق ، القاهرة ، دت

- في ظلال القرآن دار الشروق ط2، 1982م.

175. القزويني الخطيب ، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق وتنقيح :محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل ، بيروت، ط3،1414ه/1993م

176. القالي أبي علي إسماعيل القاسم ،الأمالي، دار الكتب العلمية ، بيروت،لبنان ،دط .

177. قمحاوي ،محمد الصادق ،البرهان في تجويد القرآن ويليه رسالة في فضائل القرآن، المكتبة الثقافية ، بيروت ، لبنان ، 1987.

178. القيس ، امرؤ ، الديوان ، دار صادر بيروت ، دط ،دت

179. القيسي مكي بن أبي طالب ، (ت: 437 ه)، الرعاية لتجويد القراءة ، ولتحقيق لفظ التلاوة ، تحقيق : أحمد حسن فرحات ،دار عمار،الأردن،ط3 ، 1417ه/1996م.

180. كثير عزة ، الديوان،شرحه:عدنان زكي درويش،دار صادر، بيروت،ط1، 1994.

181. كانتينو جان ، دروس في علم أصوات العربية ، نقله إلى العربية : صالح قرمادي ، مركز البحوث والدراسات الاقتصادية والاجتماعية ، الجامعة التونسية ، تونس ، 1986

182. الليثي أبي عبيدة معمر بن المثنى (210هـ)، مجاز القرآن، عارضه بأصوله و علق عليه ،محمد فؤاد سيزكين ،مكتبة الخارجي القاهرة د.ت.د.ط.

183. اللغوي، أبي الطيب عبد الواحد بن علي، مراتب النحويين ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، دط ،دت

184. المبرد أبي العباس محمد بن يزيد (ت285هـ) ، المقتضب ، تحقيق حسن محمد ، مراجعة : إميل يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،لبنان،ط1، ،1420ه/1999.

- المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1999،.

186. مجاهد عبد الكريم ، علم اللسان العربي، دار أسامة عمان، الأردن ط2005،1.

187. محمد عبد الحسن ، رشيد عبد الرحمن طارق عبد العون تاريخ العربية مؤسسة دار الكتب دط ، دت

188. محمد جبر علاء ، المدارس الصوتية عند الغرب "النشأة والتطور" ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2006 .

189. مدكورعاطف ، علم اللغة بين التراث والمعاصرة ، دار الثقافة ، القاهرة ، 1987

190. المشاجعي ، علي بن فضَّال (ت479ه) ، النكت في القرآن الكريم (في معاني القرآن الكريم وإعرابه ،دراسة وتحقيق ،عبد الله عبد القادر الطويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان،ط2007،1م/1428ه

191. مرتاض عبد الجليل ، في رحاب اللغة العربية ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر،

192. المطلبي غالب فاضل ، في الأصوات اللغوية "دراسة في أصوات المد" ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1984 .

193. مكرم عبد العال سالم ، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ، دار المعارف ، مصر . 1968 .

194. موسى علي حلمي ،دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1978.

195. مارتيني أندري ، وظيفة الألسن و ديناميتها نادر سراج، دار المنتخب العربي، ط1 ،1996.

196. ماريوباي ، أسس علم اللغة ، ترجمة وتعليق : أحمد مختار عمر ، عالم الكتب القاهرة ط2 ،1983م

197. ابن منظور، الإفريقي ،لسان العرب، دار صادر، بيروت ،دط، دت.

198. نور الدين عصام ، علم الأصوات اللغوية الفونتيكا ، دار الفكر اللبناني ، لبيروت ، ط1، 1992م.

199. ابن النديم محمد ابن إسحاق أبي الفرج،الفهرست،دار المعرفة،بيروت،1970 م

200. النعيمي حسام سعيد ، الدراسة اللهجية والصوتية عند ابن جني ، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان

201. نهر هادي ، التفسير الإجتماعي للقراءات القرآنية ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الاردن ،ط1، 2008

202. هلال عبد الغفار حامد، أصوات اللغة العربية، مكتبة وهبة ط3، 1996م.

– اللهجات العربية ، نشأة وتطورا ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، دط،دت، 1998 .

204. هنداوي عبد الحميد ، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم المكتبة العصرية ،صيدا بيروت ،1423ه/2002م،

– عبد الحميد هنداوي ، الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ،ط1،1428هـ/2004م

206. أبو الهيجاء خلدون، فيزياء الصوت اللغوي وضوحه السمعي، عالم الكتب الحديث، الأردن ، ط1 ،2006.

207. –الواحدي النيسابوري أبي الحسن علي بن أحمد (ت: 468ه) ، أسباب النـــزول دراسة وتحقيق : السيد الجميلي ،دار الكتاب العربي ،مطبوعات ميمون ،الجزائر ، د.ت

208. ابن يعيش النحوي بن علي (ت643هـ)، شرح المفصل إدارة الطباعة المنيرية ،مصر ، دط، دت.

المراجع الأجنبية:

209. JONES daniel-,an outline of englich phonetics ,compblidge 1967

210. DE SAUSSURE Ferdinand , cours de linguistique général ,éditions talantikt, Bejaia, 2002.

الرسائـــل الجامـــعية :

1. بوروبة المهدي ، ظواهر التشكيل الصوتي عند العرب حتى أواخر القرن الثالث هجري، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان 2002م

2. دالي صباح ، البناء الصوتي في سورة الكهف(دراسة صوتية تشكيلية) ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان 2001م.

3. سيب خير الدين ،الأسلوب والأداء ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه ،جامعة أبي بكر بلقايد ،تلمسان ،2005

4. صنديد محمد نجيب مغني ، البناء التشكيلي للفواصل القرآنية وأثره في الدلالة رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان 2005-2006م.

5. طيبي أمينة ، الدرس الصوتي عند الفلاسفة ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس 2005م

الدَّوريـــات :

1. إبراهيم أنيس، وحي الأصوات في اللغة: مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة مطبعة التحرير،1958.

2. بوروبة المهدي ، الدراسة المقطعية في التراث (من إشارات النحاة واللغويين إلى تنظير الفلاسفة المسلمين) ،مجلة مجمع اللغة العربية الجزائري ،العدد01، 2005م.

3. بياتي سناء حميد التنغيم في القرآن (دراسة صوتية)، ،جامعة بغداد مركز إحياء التراث العلمي العربي،العراق ،دت

4. سلامي عبد القادر ، الفصاحة بين اللفظ والمعنى ، مجلة مجمع اللغة العربية ، دمشق ، صفر ، 1425هـ/ أبريل 2005.
5. صلاح يوسف عبد القادر ، الصَّوت والدلالة في النَّص القرآني ، مجلة العلوم الإنسانية جامعة الأمير عبد القادر،العدد3 ،رمضان 1124هـ/نوفمبر 2003.
6. المصري عبد الفتاح ، الصوتيات عند ابن جني ، مجلة التراث العربي ،العدد15، 1984م
7. اليافي نعيم ،عودة إلى موسيقى القرآن ،مجلة التراث العربي،دمشق،العدد 25،1407هـ/1986م

الموضوع	الصفحة
مـــقـــدمـــة	
المـــدخـــل: **دواعي نشوء الدرس الصوتي في العربية**	01
دواعي نشوء الدرس الصوتي في العربية	03
الفـــصـــل الأول: **البناء الصوتي لسورة آل عمران**	14
-التعريف بسورة آل عمران.....	15
أولا : مخارج الأصوات الصامتة وتنوعاتهـــا الصـــوتية الـــواردة في ســـورة آل عمران.....	21
-الأصوات الشفوية	21
-الصوت الشفهي الأسناني	26
-الأصوات الأسنانية	27
-الأصوات الأسنانية اللثوية	33

-الأصوات اللثوية	38
-الأصوات الغارية.....	45
-الأصوات الطبقية.....	47
-الأصوات اللهوية.....	49
-الأصوات الحلقية.....	50
-الأصوات الحنجرية.....	53
ثانيا: مخارج الأصوات الصائتة ونصف صائتة الواردة في سـورة آل عمـران وتنوعاتها الصوتية	57
1- الأصوات الصائتة	57
-الفتحة	63
الكسرة.....	64
الضمة.....	66
2- أنصاف الصوائت	69
-الواو نصف صائت.....	69
-الياء نصف صائت	70
ثالثا : الدراسة الإحصائية لأصوات سورة آل عمران.....	72

التحـــليل والتعليـــق	79
الفـــصل الثـــاني: **البناء التشكيلي وظواهره في سورة آل عمران**	85
أولا : طرائق تأليف الأصوات في سورة آل عمران.....	86
أ- المنهج الصوتي لائتلاف الأصوات في اللغة العربية.....	87
ب- المنهج الصوتي لائتلاف الأصوات في سورة آل عمران.....	93
ثـــانيا: الظـــواهر التـــماثـــلية.....	99
1- المـــماثلة بين الصـــوامت.....	100
أ- المـــماثلة التامة	100
ب- المـــماثلة الجزئية	111
2-المماثلة بين الصوائت	116
أ- الإمـــالة	116
ب- الإتـــبـــاع	124
3-المماثلة بين الصوامت والصوائت.....	127
- فتح الحرف الحلقي	127
ثالـــثا: الظواهر التخالفية.....	131

1- المخالفة بالإبدال	132
2- المخالفة بالحذف	135
رابعا: الظواهر ما فوق التشكيلية في سورة آل عمران	140
1- الدراسة المقطعية لسورة آل عمران	140
2- النبر	151
3- التنغيم	164
الفصل الثالث: **أثر البناءين الصوتي والتشكيلي في الدلالة**	172
أولا: أثر البناء الصوتي في الدلالة	173
1- دلالة الصوامت	177
أ- الإختيار الصوتي في سورة آل عمران وأثره في الدلالة.....	177
ب- تشكيل الأصوات داخل الصيغة وأثره في الدلالة.....	180
2- دلالة الصَّوائت.....	188
أ- التَّناسب الصوتي بين نوع الصَّائت والدلالة.....	188
ب- أثر مدِّ الصوائت في الدلالة.....	193
ثانيا: من دلالة الظَّواهر التشكيلية.....	196

1- أثر الظواهر التشكيلية في الدلالة.....	196
2- من دلالة الصيغ الصَّرفية.....	**198**
ثـــالثـــا: دلالة الظواهر ما فوق التشكيلية.....	204
1- دلالة المقطع.....	204
2- دلالة النبر.....	210
3- دلالة التنغيم.....	212
أ- النغمة الصاعدة	213
ب- النغمة الهابطة.....	215
الـخاتـمـة.....	220
فهرست المصادر و المراجع	223
فهرست الموضوعات	241

Résumé

Cette recherche intitulée ″ la constructions formelle de sourat El Omran et son impact sur la signification reliée au texte coranique .″ part du texte coranique comme support pour en extraire les règles phonétique et phonologiques et leur contribution dans les différents phénomènes phonétiques en vue de démontrer la signification .

- **Les mots clés:**

- Phonétique , Les phénomènes composés , la signification phonétique, les miracles phonétique dans le coran , les phénomènes supra – composés .

Summary

The starting point of this exposé is entitled: ″the formal building of surat Al Imran″ and its impact in Significance in the Quranic text “The aime is to extract phonetical and phonological rules of the Arabic, and their contribution phonetical in illustrating Significance of this text.

- **Key words:**

Phonetics, phenominal combinations, phonetical significance wira culous phonetics in extra combinational phenomena Quran .

الملخـــّص:

ينطلق هذا البحث المعنون ″البناء التشكيلي لسورة آل عمران وأثره في الدلالة ″، من اعتماد النص القرآني كمدونة لاستنباط القواعد الفونينيكية والفونولوجية للُّغة العربية ،ومدى مساهمة مـــختلف الظواهر الصوتية في إبراز الدلالة .

- **الكلمات المفتاحية** :

علم الأصوات ، الظواهر التركيبية ، الدلالة الصوتية ،الإعجاز الصوتي في القرآن الكـــريم ، الظَّواهر ما فوق التركيبية .

الجمـــهوريـــة الجزائـــريـــة الديـــمقراطيـــة الشعبيـــة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Université Abou Bekr Belkaid
Tlemcen Algérie
جامعة أبي بكر بلقايد
تلمسان الجزائر

كلية الآداب واللغـــات

قسم اللغة العربية وآدابها

ملخص

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الصوتيات العربية

تخصص: الصوتيات العربية بين التراث والمعاصرة

البناء التشكيلي لسورة آل عمران وأثره في الدلالة

إعداد الطالبة :

حجاري فاطمة

إشـــراف:

أ.د. بوروبة المهدي

السنة الجامعية : 1431-1432هـ/2010-2011م

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله الذي أنزل القرآن كلاما مؤلفا منظما وفصله سورا، وفصَّل سوره آيات ،والصلاة والسلام على رسوله محمد الذي تلقى عن ربه القرآن، فأحسن التلقي فأداه أوضح أداء، وبلَّغه أجمل تبليغ ، أما بعد

فإنّ من أهم ما يميز مجال العمل في الحقول اللغوية هو قابليتها للخضوع للدرس التطبيقي والذي يؤسس بدوره للدرس النظري ويدعمه، وحقل الصوتيات من أكثر الفروع اللغوية قابلية لهذا المنحى العلمي، بحيث يمكن العمل على نصوص مختلفة مع التركيز على جانبها الصوتي انطلاقا مما أقرّه علماء اللغة القدامى واللغويون المحدثون.

وأنا بدوري وقع اختياري على النص القرآني كمدونة انطلق منها في دراسة الجانبين الفونتيكي والفونولوجي لآيات الذكر الحكيم ،لأنه من أعلى الشواهد وأيسرها في استنباط قواعد اللغة ومعاييرها ،إلى جانب فصاحته ورقيٍّ بلاغته ،وغنى أساليبه وقلة الشواذ والغريب فيه.

وقد اخترت سورة آل عمران مجالاً للبحث والتوصيف ،مع محاولة ربط ذلك كله بالدلالة، وبهذا استقر العنوان على الصيغة التالية " **البناء التشكيلي لسورة آل عمران وأثره في الدلالة**".

أما وقوع اختياري على سورة آل عمران خاصة فذلك راجع إلى كونها سورة مدنية، ومعلوم أن السور المدنية تتسم بالطول إذا ما قورنت بنظيراتها من القرآن المكي، مما عددته ميزة تسمح باستكشاف أكبر قدر ممكن من الظواهر الصوتية الواردة في القرآن الكريم ،إضافة إلى احتواء سورة آل عمران على العديد من المعاني والدلالات ، وكان هدفي محاولة إيجاد الصلة بين البناء الصوتي والوظيفي وهذه الدلالات ،لتتبلور إشكالية بحثي كالتالي :كيف يتجلى توظيف القرآن الكريم –مجسدا في سورة آل عمران – للجوانب الصوتية ،وما مظاهر هذا التوظيف وما خصائصه ومستوياته ، وهل يمكن لهذا التوظيف أن يكون مظهرا من مظاهر الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم ؟ ما مدى

بروز الظواهر ما فوق التشكيلية في القرآن الكريم ؟ وهل يمكن تلمس علاقة مباشرة بين الدال (كمجموعة أصوات) والمدلول في القرآن الكريم ؟ وإن كان الأمر كذلك فهل يعزز ذلك من فرضية القول بوجود دلالة صوتية في اللغة العربية ؟

و قد تمَّ توزيع مباحث هذه المذكرة إلى مدخل وثلاثة فصول : فأما المدخل ، فكان تذكيرا بدوافع اهتمام العلماء بالظواهر الصوتية ،وكيف أن محور هذه النهضة العلمية كان دافعها الأساس هو القرآن الكريم ، مع التعريف بسورة آل عمران وموضوعاتها.

وعمدت في الفصل الأول إلى دراسة البناء الصوتي في سورة آل عمران، إذ تعرضت فيه لدراسة الصوت مفردا انطلاقا من مخرجه وصفاته مركزة على ربط ذلك كله بالأصوات التي تشكل بناء كلمات وآي سورة آل عمران مع دراسة إحصائية لأصوات السورة الكريمة.

وشمل الفصل الثاني معالجة الظواهر التشكيلية ومافوق التشكيلية الواردة في سورة آل عمران وقد تنوعت مابين طرائق تأليف الأصوات في السورة الكريمة،وظواهر مماثلة ومخالفة مع تحليل للبناء المقطعي لأصوات سورة آل عمران وما يحمله من ظاهرتي النبر والتنغيم، وأخيرا الفصل الثالث الذي يشكل الجانب الفني في المذكرة إذ هو محاولة للربط بين بعض الكلمات ودلالاتها انطلاقا من علاقة صوتية بحتة، وانتهى البحث إلى خاتمة أجملت فيها النتائج المتوصل إليها.

وإن سُبقت هذه الدراسة بدراستين تلتقيان مع بحثي هذا في عديد من النقاط فأما الأولى فرسالة الماجستير الموسومة البناء الصوتي لسورة الكهف وقد أغفلت صاحبتها تناول الجانب الدلالي، وأما الثانية فهي كذلك رسالة ماجستير، تناولت البناء التشكيلي للفواصل القرآنية وأثره في الدلالة . وهذه المذكرة تلتقي مع الرسالة الأولى في تناولها لسورة كاملة من الذكر الحكيم ، وتلتقي مع الثانية في تناولها للجانب الدلالي.

لقد أحاط المسلمون القرآن الكريم بدراسات عديدة ومتنوعة ، وكان ذلك سببا في تفتق علوم جديدة، يعنيني في هذا المقام الدراسات التي تناولت الجانب الصوتي للقرآن ونظمه، ككتب القراءات القرآنية نحو الرعاية في تجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة للمكي القيسي ،وكتاب التحديد في الإتقان والتسديد في صنعة التجويد للداني، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر للبنا الدمياطي.إضافة إلى كتب التقعيد النحوي والصوتي، كالكتاب لسيبويه، والخصائص وسر الصناعة لابن جني ،وغيرها كثير؛ إضافة إلى كتب التفسير الزاخرة بالمعلومات الصوتية والجوانب الفنية في القرآن الكريم ،على نحو البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ،ومن المحدثين في ظلال القرآن لسيد قطب ، إضافة إلى كتب علم الأصوات الحديث ابتداء بالأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس،ومناهج البحث في اللغة لتمام حسَّان وأثر القراءات في الأصوات والنحو العربي لعبد الصبور شاهين وغيرها كثير.

وعلى الرغم من غزارة المادة وسهولة تهيئها إلا أنني عانيت من اختلاف القراءات القرآنية، حيث شكَّل ذلك صعوبة لي في ضبط الظاهرة ، فقارئ يدغم وقارئ يفك،وإن كان ذلك انطلاقا من مبدأ التيسير إلا أنه يعيي الباحث ويجعله مجبرا على الأخذ بقراءة دون سواها ، إضافة إلى صعوبة استكناه الظواهر ما فوق التشكيلية في القرآن الكريم لاسيما النبر والتنغيم.

وقد اعتمدت في ذلك كله على المنهج الوصفي حين جنحت إلى وصف الأصوات اللغوية والظواهر التشكيلية واعتمدت التحليل كإجراء منهجي في تحليل مقاطع أصوات سورة آل عمران، و لجأت إلى العملية الإحصائية عند دراسة أصوات السورة الكريمة ومقاطعها.

وفي الأخير أشكر الأستاذ الدكتور المهدي بوروبة الذي شجعني على اختيار هذا الموضوع والذي لم يبخل عليَّ بتوجيهاته العلمية والمنهجية فأشكره جزيل الشكر وعسى

أن يكتب له ذلك كله في ميزان حسناته .

ولقد تمخضت عن هذا البحث مجموعة من النتائج هي كالتالي :

- النطق السليم للأصوات في القرآن الكريم إنما يحكمه التلقي المباشر عن طريق المشافهة، ولاسيما أن الصوت اللغوي يطرأ عليه أحوال داخل التركيب تُغير من بعض خصائصه وسماته فيظهرمثلا ،شيئ من التفخيم في بعض الأصوات المرققة وهكذا ،مما يؤكد أن التوصيف السليم لأصوات الذكر الحكيم ،لا يتم إلا أن طريق السماع من قارئ مجيد مع الإلتزام بقراءة واحدة دون سواها .
- أكدت عملية إحصاء الأصوات في سورة آل عمران ما قعَّد له العلماء من مراتب ورود الأصوات في النسيج العربي ،حيث لا يعدو أن يكون الفارق طفيفا جدا ، كما أن استقصاء ذلك في مجموع آي الذكر الحكيم سيساهم وبشكل كبير في التقعيد لظاهرة تأليف الأصوات في العربية .
- ظاهرة التأليف بين الأصوات في العربية ، ظاهرة تعكس مدى جمال العربية وحرصها على السهولة والتيسير في قراءة أصواتها من جهة ،ثم البحث عن الموسيقية والنغم المريح ، إذ تجتمع مجموعة من الأصوات في كلمات لتؤدي معنى من المعاني وهي في ذلك الإجتماع تقع موقعا سهلا في النطق والسمع على السواء، والقرآن الكريم خير مثال لغوي عربي فصيح يحتذى ويؤلف على منواله ، إذ لايظهر في سورة آل عمران نسيج صوتي مشعر بالثقل أو العسر في النطق بل تتزاحم الأصوات في تراكيب محددة تعين على استشعار معنى من المعاني ، لذلك يمكن القول أن التنظير والتقعيد لظاهرة تأليف الأصوات في العربية ينبغي أينطلق من القرآن الكريم ،ذلك أن المعاجم العربية ، وإن كانت تقدم مادة ضخمة بما ارتضته أو رفضته العرب في كلامها إلا أن القاموس اللغوي العربي يمكن أن يوظف كعامل يعزز النتائج المتوصل إليها من دراسة التأليف الصوتي في القرآن الكريم.

- ظاهرة المماثلة شكل من أشكال المناسبة الصوتية في اللغة العربية وهي تتخذ عدة أشكال كما أنها تشمل الصوامت والصوائت على السواء ، والقرآن الكريم تظهر في كثير من تراكيبه هذا الجنوح نحو المناسبة ، فالمماثلة التامة في سورة آل عمران تجسدها ما يعرف بالادغام، ووصوره في سورة آل عمران يغلب عليها أن تكون من نوع التأثر الرجعي وهو الأصل في اللغة العربية ،وإن ورد فيها نماذج من التأثر التقدمي ، كما ورد فيها نماذج من المماثلة التي وجد لها الدرس الصوتي الحديث تفسيرا علميا في حين اعتبرها القدامى مما لا يجوز أ ومما هو نادر حدوثه. عدها النحاة مما لا يجوز فيه الإدغام كنحو الإدغام في حروف الحلق، فالدراسات الصوتية الحديثة أكدت صحة ذلك وإمكانيته.
- والإبدال كشكل من أشكال اللماثلة الجزئية ، يتنوع وجوده في سورة آل عمران ما بين إبدال لداع صوتي أو إبدال وقع لداع لهجي ، وهو بذلك يعكس استيعاب العرب لمختلف اللغات واللهجات العربية ،وإنما ذلك من باب التيسير على الأمة .
- نماذج الإبدال الواردة في سورة آل عمران إنما جاءت لداع صوتي بحت، وهو جعل اللسان يعمل في مستوى واحد.
- يحتمل النص القرآني الواحد ، الظاهرة الصوتية ونقيضها ،كالادغام وضده الفك، والامالة وضدها التفخيم ،عاكسا بذلك تنوع القراءة رغبة في التيسير ،مصداقا لقوله تعالى ﴿إِنَّا يَسَّرْنَاهُ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُذَّكِرٍ﴾
- كذلك فظواهر والإتباع وفتح الحرف الحلقي ظواهر تعكس التعدد اللهجي وتنوعه كما أنها تعكس الإختلاف في القراءات القرآنية والتي لم يكن إلا لداع التيسير على الأمة في تلاوة الذكر الحكيم.
- الإمالة في القرآن الكريم ظاهرة اختيارية تتوقف على قراءة القارئ والهدف الـــرئيس منها هو التيسير والسهولة.

- أداء ظاهرة المخالفة في العربية أداء محتشكم مقارنة بعمل المماثلة ، ولعل ذلك الراجع إلى أن العربية لا تجنح لظاهرة المخالفة إلا إذا لم يكن هناك من سبب لعمل الإدغام أو الإبدال الصوتي .
- نسيج العربية من ناحية المقطع لا يتجاوز خمسة مقاطع ، وهي في ذلك، انتهجت لغة القرآن الكريم للتخلص من تشكل المقاطع المرفوضة في العربية ، فعمدث مثلا إلى ظاهرة التخلص من التقاء الساكنين ، وما رفض تلك المقاطع إلا لكونها تشكل عثرة في طريق السلسة الكلامية وتفسد موسيقية الكلمة في النسيج العربي ،كما أن توزع المقاطع الجائزة في العربية يمكن تنظيمه والتقعيد له ، وهويخدم الدلالة بشكل كبير ،فتجد المقاطع القصيرة تكثر حيث الحركة والحوار السريع ،والمقاطع الطويلة حيث الدعاء والنداء ، ولعل ذلك لما يتطلبه ذلك المقام من مد الصوت .
- يتميز القرآن الكريم بإيقاعه المتوازن الناشئ من الانسجام والتناسب بين مواضع النبر في آياته، مم يخلق نغما موسيقيا ينفرد به القرآن الكريم .
- لا يختلف النسيج المقطعي في سورة آل عمران عما أقره علماء اللغة من ناحية شيوع المقاطع وورودها مما يؤكد أن القرآن الكريم يسير وفق ما رضيته العربية لبنائها المقطعي .
- ساهمت أنواع المقاطع في إبراز الدلالة إلى حد كبير، فكانت المقاطع الطويلة تدل على استمرار المعنى والمقاطع القصيرة تدل على السرعة.
- النبر في القرآن الكريم لا يظهر رونقه وجماله إلا من خلال ذلك الإيقاع الذي يمنحه توزعه داخل المقاطع ، إذ يعد نقطة ارتكاز وضغط تخفف من عبئ توالى المقاطع بصورة متصلة فهو وقفة تأتي بعد سلسلة من المقاطع محدثة إيقاعا يتميز بأنه متوازن إذ يقع النبر في سورة آل عمران بين مجموعة من المقاطع عادة ما يكون عددها متساويا أو متقاربا .

- في القرآن الكريم عامة وفي سورة آل عمران خاصة الكثير من المواضع التي تظهر من خلالها وبوضوح علاقة الصوت بالدلالة ، مما يؤكد ضرورة العناية بهذا الفرع من علم الدلالة .
- دراسة النبر في القرآن الكريم دراسة يافعة وفتية ،تحتاج إلى اهتمام العلماء وتنظيرهم، وإن كان التعامل معها- لاسيما في القرآن الكريم- يقتضي الكثير من الحذر والحيطة .
- تظهر مختلف الأشكال التنغيمية في القرآن الكريم، كما أنَّها تعمل بصورة واضحة على إيضاح المعنى والتمييز بين معاني الاستفهام والإخبار والأمر وغير ذلك .
- التنغيم القرآني تنغيم يعكس الدلالة بشكل كبير ويعزز أغراض الكثير من الأساليب اللغوية ،وهو يتشكل من مجموع نغمات ، بحيث يمكن من خلال موضع النغمة التي تنتهي يها السلسلة الكلامية تحديد طبيعة التنغيم ، وسورة آل عمران يكثر فيه التنغيم من نوع النغمة الهابطة ، وربما ذلك لملائمتها موضوعات السورة الكريم ، إذ هي سورة مدنية يكثر فيها التشريع ،ورسم منهاج الدين الإسلامي وعرض لأحكامه ، ومواضع النغمة الصاعدة تكثر حيث القصص والإخبار عن أحداث معينة .
- اختارت سورة آل عمران النغمة الهابطة كشكل تنغيمي غالب على النسق النغمي للسورة، وذلك لموافقة هذه النغمة للمواضيع التي تحملها السورة الكريمة.
- الدلالة الصوتية فرع يعكس فنية اللغة ، وهو في القرآن الكريم مظهر من مظاهر الإعجاز الصوتي ، وتتبعه يحتاج إلى نوع من القراءة ، تتجاوز دلالات الكلمات إلى دلالات الأصوات وإن كان المعجم يمنح بعض إرهاصات هذه الظاهرة الصوتية ، على أن التقنين لهذه الظاهرة ، قد يكون أمرا لا جدوى منه ، إذ أن علة دلالة الصوت إنما تكمن في انتضامها ، مع مجموعة من الأصوات ، كم أن الدلالة الصوتية لا تضبط المعنى الدقيق للفظة بقدر ما تكسبها ناحية جمالية ،وفنية مبدعة .

- القرآن الكريم أعلى مراتب البيان ، وأي دراسة يكون فيه النص القرآني هو مدونة العمل إنما هي دراسة للإعجاز ، فكل الأنظمة اللغوية في القرآن الكريم معجزة في تنظيمها بما في ذلك الأنظمة الصوتية .

وقد اعتمدت في عملي هذا على مجموعة مهمة من المصادر والمراجع تنوعت ما بين كتب النحو والقراءات القرآنية وكتب علم الأصوات الحديث ومرورا بكتب التفسير القديم منها والحديث ،إضافة إلى كتب الإعجاز وانتهاءا بالمعاجم اللغوية .

فمن **كتب النحو والصرف واللغة:**

- سيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت180ه) الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، د.ت .
- ابن جني أبي الفتح (ت392هـ) ، الخصائص ، تحقيق : محمد علي النجار ، عالم الكتب ، بيروت ، دط،دت.
- سر صناعة الإعراب ، تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل، أحمد رشدي شحاتة عامر، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 2007.
- الحملاوي أحمد بن محمد أحمد (ت1351هـ) ، شذا العرف في فن الصرف ، غالب المطلبي ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ط1، 2000 .

ومن القراءات القرآنية:

- ابن الجزري ، أبي خيرة محمد بن محمد الدمشقي (ت833هـ) ، النشر في القراءات العشر، قدم له علي محمد الضباع، خرَّج آياته زكريا عميرات،دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ،ط3، 2002م.
- ابن زنجلة أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد ، حجة القراءات ، تحقيق و تعليق : سعيد الأفغاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط5 ، 1997 .

ومن كتب الأصوات الحديث:

- أنيس إبراهيم،- الأصوات اللغوية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط4 ، 1978

- أيوب ،عبد الرحمن ، أصوات اللغة ، مكتبة الشباب، القاهرة، دت
- بشر كمال ، علم اللغة العام الأصوات ، دار المعارف . دط،دت.

ومن كتب التفسير:

- الرازي فخر الدين التفسير الكبير أو "مفاتيح الغيب"، تحقيق : عماد زكي البارودي ، المكتبة التوقيفية، مصر.دط ، دت .
- رضا محمد رشيد ، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ، دار المعارفة ، بيروت ، لبنان ، ط2،دت.
- الزمخشري،الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،دار الفكر، دط،دت.

ومن كتب الإعجاز ،القديم منها والحديث :

- الباقلاني ، أبو بكر محمد بن الطيب إعجاز القرآن ، تحقيق : أحمد صقر، دار المعارف، مصر، دت، دط.
- الرماني ، النّكت في إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق و تعليق : محمد خلف الله محمد زغلول سلام ، دار المعارف،مصر ،ط3.
- الرافعي ،مصطفى صادق ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ،دار الكتاب العربي ، بيروت، لبنان ،دط،دت .
- هنداوي عبد الحميد ، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم المكتبة العصرية ،صيدا بيروت ،1423ه/2002م،
- الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم ،الدار الثقافية للنشر ،القاهرة ،ط1،1428هـ/2004م

وفي الأخير فإن القرآن الكريم ، إضافة إلى كونه زاد معرفي وفكري وديني لا ينضح، فهو كذلك زاد لغوي لا حدود لوجوه الإعجاز فيه، مما يجعل التعامل معه، أمرا يستدعي الكثير من الحذر ،وإن كان ذلك لا يمنع من عدِّه الأنموذج الأمثل للتقعيد للعربية والرقي بها .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

Résumé

Cette recherche intitulée ″ la constructions formelle de sourat El Omran et son impact sur la signification reliée au texte coranique .″ part du texte coranique comme support pour en extraire les règles phonétique et phonologiques et leur contribution dans les différents phénomènes phonétiques en vue de démontrer la signification .

- **Les mots clés:**

- Phonétique , Les phénomènes composés , la signification phonétique, les miracles phonétique dans le coran , les phénomènes supra – composés .

Summary

The starting point of this exposé is entitled: ″the formal building of surat Al Imran″ and its impact in Significance in the Quranic text “The aime is to extract phonetical and phonological rules of the Arabic, and their contribution phonetical in illustrating Significance of this text.

- **Key words:**

Phonetics, phenominal combinations, phonetical significance wira culous phonetics in extra combinational phenomena Quran .

الملخـــّص:

ينطلق هذا البحث المعنون ″البناء التشكيلي لسورة آل عمران وأثره في الدلالة ″، من اعتماد النص القرآني كمدونة لاستنباط القواعد الفونيميكية والفونولوجية للُّغة العربية ،ومدى مساهمة مـــختلف الظواهر الصوتية في إبراز الدلالة .

- **الكلمات المفتاحية** :

علم الأصوات ، الظواهر التركيبية ، الدلالة الصوتية ،الإعجاز الصوتي في القرآن الكـــريم ، الظَّواهر ما فوق التركيبية .